مجلة ليتورجية

المجلة الليتورجية

مجلّة فصليّة راعويّة

Liturgical Magazine

Liturgical and Pastoral Quarterly Issued By
Jesus The Redeemer's Brothers Congregation
In The Syrian Catholic Archdiocese
of Mosul , Kirkuk and Kurdstan-Iraq

السنة العاشرة ـ العدد (٣٧-٣٨) ـ ٢٠١٧

10th Year no. (37-38) -2017

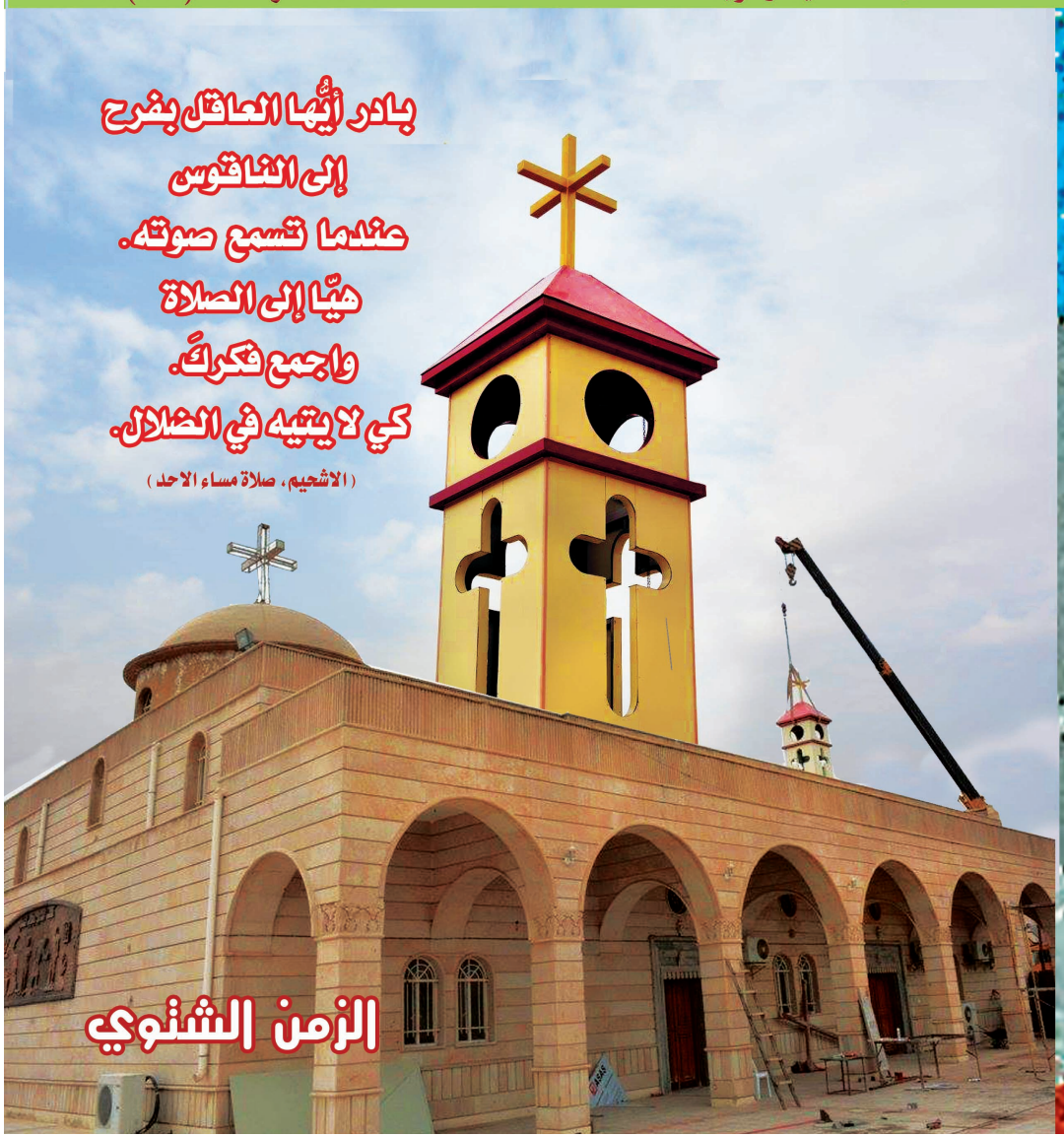

"كان يَنتَهِز
الفُرصَةَ ليَتَحَدّث
إلى مَن تَملأ الماء،
هل كان فعلاً
يُريد أن يَشرَب
الماء؟
أو لعَله كان
يُحاولُ أن يُعطي
ماءَ الحياة؟"

(السروجي
ميمر٤٦: ٦٢-٦٣)

المجلة الليتورجية

السنة العاشرة / العدد (٣٧-٣٨) الزمن الشتوي

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٨١ لسنة ٢٠٠٩

مجلّة فصليّة راعويّة
تصدر عن جمعية اخوة يسوع الفادي الرُهبانية
في أبرشيّة الموصل وكركوك وكردستان
للسريان الكاثوليك-العراق

صاحب الامتياز: المطران مار يوحنّا بطرس موشي
رئيس التحرير: ربانا وسام كرو
نائب رئيس التحرير: الأب رائد جبو
الإدارة: إخوة يسوع الفادي
تصميم لوكو المجلة: الفنان مثنى البهرزي: Muthana al Bohrzy
التنضيد والإخراج: رواء بوسا
شركة الديوان للطباعة / 07705897666

العنوان البريدي Mail Office

العراق-محافظة نينوى-قضاء الحمدانية-قره قوش — *Iraq-Mosul-Qaraqoush*

دير يسوع الفادي — *Jesus The Redeemer's Monastery*

البريد الإلكتروني: E-mail: *liturgicalmagazine@yahoo.com*

خلوي: ٠٠٩٦٤(٠) ٠٧٧٠٥٢٣٦٣٣٤ — Cellular: 00964(0)07705236334
٠٧٧٠٦٤٣٠٧٢٠ — 07706430720

محتويات العدد

صورة الغلاف: مجرسيّة كنيسة مار يعقوب الجديدة -(بغديدا - العراق)

الافتتاحيّة: الليتورجيا لمسة حب الله — رئيس التحرير (١-٤)

القسم التعليمي

ماء الحياة: قراءة في إنجيل يوحنا(٧/٣٧-٤٤) — الأخت لمى جحولا الدومنيكية (٥-٨)
عرس الدم على الجلجلة — الأخ ياسر عطالله (٩-١٥)
صوت المسيح الخلاصي في النصوص الليتورجية السريانية — الأب عماد عناي (١٦-٢١)
رتبة تكريس الكنيسة في الطقس الماروني — الخوري دانيال زغيب (٢٢-٣٣)
نافور مار ثيودورس — الأب منصور المخلصي (٣٤-٤٢)
رتبة السلام الاحتفالي لعيد القيامة بحسب طقس كنيسة المشرق — الأب إسحاق أدونيه تمرس (٤٣-٥٠)
دور الجسد في الليتورجيا — الاب رائد جبو (٥١-٥٧)
التعليق ليتورجي على نص عربي مسيحي من القرن الثامن — د. أفرام عبّود اسحق (٥٨-٦٦)
الليتورجيا في التقليد الكنسي اللاتيني — الراهب تشارلو كاميليري (٦٧-٧٢)
نشيد كتابي ليتورجي (اشعيا ٦٣/١-٦) — الأخت نازك خالد الدومنيكية (٧٣-٧٧)

القسم الاحتفالي

تحدث ليتورجي: اعمال اللجنة الليتورجية البطريركية — جاك مراد (٧٨-٨١)
صلاة العائلة: لجنة الصلاة (الاب اسطيفانوس الكاتب، أخوات يسوع الصغيرات، رواء بوسا، سحر لبو، بان رحماني) (٨٢-٩٩)
تأمّل ليتورجي — الاخ ياسر عطالله
الغلاف الأخير: المرأة السامرية

تأمُل ليتورجي

الاخ ياسر عطالله

ܗܘܿܕܝܼܢ ܟܬܝܼܫܘܿܬܐ ܒܟܠܗܿܝ ܠܐ ܡܫܬܘܿܥ. ܘܒܗܿܝ ܙܒܢܐ ܠܐ ܡܫܬܟܚ ܐܦ ܚܕ ܡܢ ܟܢܝܼܫܬܐ ܘܡܢ ܟܠ ܡܢ ܕܒܗ ܡܫܪܪ ܪܘܿܚܐ ܩܕܝܼܫܐ ܕܐܠܗܐ ܚܝܼ. ܘܟܕ ܐܬܝܼ ܒܥܝܼܢ ܠܡܫܒܚ ܠܐܠܗܐ ܒܫܘܿܒܚܐ ܘܒܬܫܒܘܿܚܬܐ ܕܝܼܠܗ ܐܦ ܗܘ ܡܫܬܟܚ ܒܝܼܢ ܐܢܫܐ ܕܐܝܼܬ ܒܗ ܪܘܿܚܐ ܩܕܝܼܫܐ ܘܡܫܒܚ ܠܐܠܗܐ ܒܪܘܿܚܐ ܘܒܫܘܿܪܪܐ. ܗܕܐ ܗܘ ܕܟܬܝܼܒ ܒܫܘܿܒܚܬܐ ܕܫܒܚܐ ܕܐܬܝܼ ܡܢ ܦܘܿܡܗ ܕܬܠܡܝܼܕܐ ܕܐܡܪ ܠܗ ܡܪܢ ܒܟܠ ܙܒܢ ܕܬܫܒܘܿܚ ܠܐܠܗܐ ܡܬܠ ܕܟܬܝܼܒ ܒܡܙܡܘܿܪ ܐ ܕܐܡܪ ܠܐܠܗܐ ܐܢܬ ܐܒܝ ܘܐܢܐ ܒܪܟ ܐܢܬ ܐܠܗܝ ܘܐܢܐ ܪܘܿܡܡ ܐܢܬ ܐܠܗ ܦܘܿܨܝ ܘܐܢܐ ܫܒܚ ܠܟ ܐܠܗ ܚܝܼ ܕܒܪܝܼܬ ܟܠ ܫܒܚܬܐ ܘܬܫܒܘܿܚܬܐ ܘܟܠ ܬܫܒܘܿܚ ܠܫܡܗ ܩܕܝܼܫܐ ܘܪܘܿܡܡ ܠܗ ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܼܢ ܐܡܝܼܢ.

((ملا وإيمحص حبلا)كتاب الاشحيم بحسب الكنيسة السريانية الارثدوكسيّة، صلاة سوتار يوم الثلاثاء، ص٨٨)

هلاّ نَعرف كيف يَعمل الله معنا؟ وفي أيّ طَريق يَقودنا؟ لماذا يختار أَضعَف وأَبسط ما لدينا؟! الله يَسكن في الإنسان، بِهذه البَساطة والعفويّة المباشرة يجاوب النص عن اسئلتنا. سُكنى الله في الإنسان، من ناحية، يُعطي (للإنسان) النعمة والبركة ليكونَ مُميزًا في حياته وفي تواجده الانساني على الارض؛ ومن ناحية ثانية، يُعطي (الإنسان) لنفسه القيمة الحقيقيّة التي يَستحقّها دون مُغالاةٍ أو تكبُّر.

الإنسان كائن المفارقات والتناقضات. "ما الإنْسانُ حَتَّى تَذكُرَه وابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفتَقِدَه؟دونَ الإلهِ حَطَطتَهقَليلاً بِالمَجدِ والكَرامةِ كَلَّلتَه" (مز ٨/٥-٦). إنّه مجرّد غبار ورماد ليس في مَقدوره أن يَعمل او يَعلم كلَّ شيء، ولا أن يتحكّم في كلِّ شيء، لكن الله "خلق العالم له". وضعَ الله روحَهُ ساكِنَةً في قَلبِ هذا الضّعف والهباء، ومنه تأتينا القوّة والنِّعمةَ لِنَعمَل لا من أجل أنفُسِنا فَقَط بل من أجل العالَم المحتاج لنا. لنَجعل العالَم، ولو قليلا، مكانًا للرحمة والبركة، وللفخر، رغم كونِنا غُبار ورماد، فإنّنا أحِبّاء في عَينِ الله.

ما يُميّز النّص أنّ "رَحمَةَ الله" هي الفاعِلة. وكأنّي به يقول: الله ليس إلاّ رَحمة، رحمة الله هي الله نَفسَه. هنا لا نَتَكلّم عن عاطِفَة خاصّة بالله أو ميزة من مُميّزاته، بل عن اسم آخر لله يُعبّر عن خصوصيّة إلَهنا وهُويّته الحقيقيّة.

هذهِ الرحمة، أيَ الله، اختار مكانًا صغيرًا في الإنسان، بحرّيته لأنّ الإنسان حبيبُ الله وعزيزٌ في عينيه. وبِهذا الحضور فان الله يَجعل من النفس بيتًا كبيرًا لسُكناه ومن القلب مَذبحًا مُقدّسًا. في الكتاب المقدّس والفكر الرّوحي الشّرقيّ، القلب هو مرَكز شَخصيّة الإنسان كلّه، يأتي منه كلّ ما هو عَميق من الأفكار والمشاعر والقرارات، إن كانت موجّهة للخير أو للشّر، بمعنى هو الإنسان في أعمق واصدق حقيقته وتواجده "قَلبًا طاهِرًا أخلُقْ فِيَّ يا ألله" (مز ١٢/٥١). لِماذا يَطلُب أن يَخلُق له قَلبًا نَقيًّا؟ ليكون مَسكنًا لله، وليس فقط اي مَسكن ولكن مَذبحًا، اي أقدس مَكان وأطهره، فيه ومنه نَنال رحمة الله وبركته (قربانه) ومنه نَرفع لله قُربانا، صَلاتنا وطلباتنا، فالله يَجعل من قلب الإنسان، هذا المكان الصَغير، هَيكلا له ومَسكنا دائمًا لِحضوره في الإنسان والعالم.

سُكنى الله في قلوبنا ليسَ كقوّةٍ إلَهيّة فحسب، بل هوَ يَسكُنُ فينا شخصيًّا. وهذا ما يجعل منّا "هَيكَلُ اللَّهِ الحَيّ" (٢ قور ١٦/٦؛ ١ قور ١٧/٣ و١٩/٦).

إلى ماذا يَقودنا رمز الهيكل؟ إنّه المكان الذي فيه يَلتقي الإنسان بالمَجد الإلَهي "كذلِكَ في القُدسِ شاهَدتُكَ لأَرى عِزَّتَكَ ومَجدَكَ" (مز ٣/٦٣)، "أَحبَبتُ، يا رَبُّ، جَمال بَيتِكَ ومُقامَ سُكْنى مَجدِكَ" (مز ٨/٢٦). عندما نتحوّل إلى هيكل الله الحيّ، وقلبنا يُصبح المذبح، الذي يَسكنهُ الله، فإنّنا نَقترب من الاتصال بِمَجدِ الله، أي نتحوّل الى صورة مَجدِه المباركة تلك الصورة التي كلّمنا عنها بولس الرسول في رسالته الثانية لأهل قورنثس "نَحنُ جَميعًا نَعكِسُ صورةَ مَجْدِ الرَّبِّ بِوجوهٍ مَكشوفةٍ كما في مِرآة، فنَتَحوَّلُ إلى تِلكَ الصُّورة، ونَزدادُ مَجْدًا على مَجْد، وهذا مِن فَضْلِ الرَّبِّ الَّذي هو روح" (١٨/٣)، "فإِنَّ اللّهَ الَّذي قال: "لِيُشرِقْ مِنَ الظُّلمَةِ نُور" هو الَّذي أَشرَقَ في قُلوبِنا لِيَشُعَّ نورُ مَعرِفَةِ مَجْدِ اللّه، ذلِكَ المَجْدِ الَّذي على وَجْهِ المسيح" (٦/٤).

الليتورجيا لَمسَة حُبّ الله

الإنسان كائن ثلاثيّ الأبعاد؛ جَسَد ونَفس وروح، وتَمتَزِج هذِهِ الأبعاد الثلاثة مَعَ بَعضِها البَعض بشكلٍ مُذهلٍ وعَجيب. صَحيح إنّنا نُميّز البُعد الجَسَدي بسهولة أكثر، لكن هذا لا يعني أنّنا لا نَستَطيع تَمييز البُعدَين الآخرين، رَغم انهُما يَحتاجان إلى جُهدٍ أكبر وتأنٍ وصَبر طَويلين. يُشبه هذا الأمر صورَة جَبَل الثّلج؛ حيثُ أنّ الجُزء الّذي نَراه فوقَ سَطح المياه لا يُشكّل إلاّ جُزء بَسيط مِن ذاكَ الّذي تَغمرُه المياه ولا نَستطيع رؤيته، مع انه يحمل الكثير من الغنى والكنوز. تُحاول الليتورجيا بجَميع عَناصرِها مُحاكاة تلك الأبعاد الثلاثة، وأن تَجعل الجزء المَخفي من جَبَل الثلج يَظهَر ويكبَر أكثر فأكثر، فكُلّما ظَهَرَ وبان سيُضفي على بقيّة الأبعاد رونقًا وجَمالاً خلابًا، وسيَجعل من الكائن البشري أيقونَة الله على الأرض. إنَّ احد المناهج التي ترتكز عليها الكثير من الروحانيات سواء المشرقية او الغربية هو منهاج المنازل او الدرجات الثلاث والذي يعتمد اساسا على تلك الابعاد الثلاثة (جسد -نفس -روح)، وقد اعتمده على سبيل المثال يوحنا الافامي (القرن الخامس ب.م)، وايضا اسحق النينوي (القرن السابع ب.م) مع تغييرات بسيطة، ولا يزال الكثيرون يعتمدون هذا المنهاج ويوظفونه بحسب الخبرات الانسانية الجديدة، وما يخدم النمو الروحي والنضج الانساني، حتى ان البعض اصبح يتكلم ببعد شمولي اكثر من خلال حضور الابعاد الثلاثة (الجسد -النفس -الروح) في المراحل الثلاثة في آن واحد: المرحلة الاولى: انسانية، بمعنى اعطاء لكل بعد من تلك الابعاد الثلاثة حقه، دون الاخلال بالتوازن القائم بينها. المرحلة الثانية: مسيحية، بمعنى الذهاب ما وراء تلك الابعاد وعدم الوقوف على ما يُرى فقط. المرحلة الثالثة: شمولية، بمعنى الاهتمام لا يكون فقط بشخصي انا او بمن هو مثلي، ولكن الاهتمام بالجميع والبيئة وكل ما خلقه الله. اعتمادا على ان الانسان وحدة واحدة متكاملة ذات ابعاد ثلاثة، لا يمكننا فصل بعضها عن البعض الاخر.

يومَ خَلَقَ الله الإنسان مارَسَ ليتورجية خاصّة، لم يَفعَلها مُطلقًا مع اي من بقيّة المخلوقات، فقط مع الإنسان. فالقصّة الأولى للخَلق (تك١/١+) والّتي هي مِن التّقليد الكهنوتي، تَصِف ليتورجيتها كيف أنّ الله هيّأ كُلّ شيء للإنسان، بكلِمَةٍ مِنهُ، قَبل أن يَصنَع الإنسان على صورتِهِ ومِثالِهِ.

هيّأ الارضَ والسّماء؛
هيّأ البحارَ واليابسة؛
هيّأ الكواكب والمجرّات؛
هيّأ النباتات والحيوانات.

أمّا القصّة الثانية والّتي هي من التّقليد اليهوهي (تك ٢/٤+)، فليتورجيتها تختَلِف إذ تَصِف الله وكأنّه نَحّاتٌ أو فخّاري يقوم بجَبلِ الإنسان مِن التُراب ويَنفَخ فيه مِن روحِهِ، ومن ثم يأخذ ضلع من اضلاعه ليخلق له من يؤنسهُ ويكون رفيق حياته ويفرح معه. فالقصّتان تؤكِدان على تمازُج الأبعاد الثلاثة التي تُكوِّن الإنسان، وعلى أنَّ الليتورجية الّتي احتَفَل بها الله أثناء خَلقِهِ للإنسان، ما هي إلا خيرُ دَليل على مَدى مَحبّتِهِ واهتِمامِهِ واحترامِهِ للإنسان في جَميع أبعادِهِ تِلك وأن قيمته ومكانته تفوق قيمة ومكان جميع بقية المخلوقات. وليس هذا فحسب، بل أعطاه السُّلطة ليُمارِس هو أيضًا ليتورجيّته الخاصّة تجاه الخليقة كُلّها!

ويبقى السؤال مطروحًا: يا تُرى هل الليتورجيا الّتي نُمارِسُها، تجاه خالقِنا والهنا وبقية الخليقة التي نعيش معها والمحيطة بنا، يَليقُ بها أنْ تَكونَ كجوابٍ على ليتورجية الله التي يمارسها معنا وتجاهَنا؟

لَم يَتَوَقّف الله عن الاحتِفال بليتورجيّته، ففي الأزمنة الأخيرة، كما تَقول الرِّسالة إلى العبرانيين (عب١:١+)، ها هو الله الآب يَحتَفِل باعظَم ليتورجية عِندما قرّر أن يَتَجَسّد بابنِه الوَحيد الكلِمة الأزليّة (يو١/١+)، والذي بِسَببِ فَرطِ مَحَبّتِهِ الكَبيرة لبَني البَشر، فالكلِمة صارَ بَشرًا وسَكَنَ بَيننا؛ سَكَنَ خِيمًا، سَكَنَ بيوتًا، سَكَنَ كرفانًا، سَكن بناياتٍ مَهجورة ومُدمَّرة ومَحروقة، ولكنه استَمَرَ في الاحتفال بليتورجيّته إينما كان وإينما حلّ، مُتأقلِمًا مَعَ الظّروف ومُتجاوزًا كُلَّ العَقَبات، وقابلاً بأبسط الامور، مُتخلّيًا عن عَرشِهِ الملوكي والكاتدرائيات الفَخمَة والجميلة، مُتخلّيًا عَن طقوسِهِ واتِّشاحِهِ بالحُلل المُطرّزة والمُزركشة، مؤكِّدًا بذلِكَ عن مَدى حُبِّه للجميع بدون تَميُّز أو إقصاء لأحد، إلاّ ذاكَ الّذي رَفَضَ المُشارَكة بإرادَتِهِ وإصرارِهِ، مُتخلّيًا عن لَمسَةِ الحُبّ الّتي حَباهُ اللهُ بها.

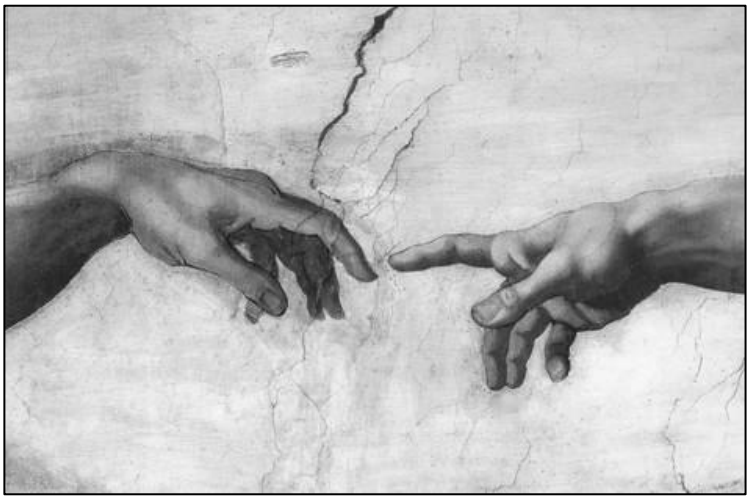

هكذا فالليتورجيا هي لَمسَة حُبّ تُرافِق الإنسان في جَميعِ مراحلِ حياتِهِ، مُنذُ ولادَتِهِ وحتّى مَماتِهِ. ففي ليتورجيا العِماد، يُحاط المُعمّد بحُبٍّ وحنانٍ لا يوصَفان، وخاصّةً مَعَ حَركَة الكاهن الّذي يَقوم بتَغطيسِهِ في الماء بكُلِّ اعتِناء وحرص، تُرافِقُهُ الصّلوات والأناشيد الشجيّة، لينهضُه بَعدَها رَمزًا للقيامة مِن بينِ الأموات على مِثالِ مُعلّمِهِ ورَبِّه. اما الرّوح القُدُس في سرِّالميرون (التّثبيت) لا يتوانى مِن النّزول ومَلء كيان المُتقدِّم للسرّ، بمجانيّة وفَرَح تَصِفهُما الليتورجيّة بشَكلٍ رائِع، ليَهَبَهُ مَواهِبَهُ مِن: مَحبّة، فَرَح، سَلام، صَبر، لُطف، كَرَم الأخلاق، إيمان، وَداعة، عَفاف، حِكمَة وتَمييز مَشيئة الله (غلا٥/٢٢-٢٣). أمّا سرّ الافخارستيّا ففيه تَتَجَسّد ملء المَحبّة والحنان، ملء الطيبَة والغُفران، حيثُ تأخُذُنا الليتورجيا إلى أسمى دَرجات السمو، حتّى تَصل بنا إلى الاتِّحاد بالرّب مُصيّرةً إيانا جَسَدًا واحِدًا رأسهُ يَسوع المسيح (افس٥: ٢١+/قو١: ١٨+). وهكذا بقيّة الأسرار مِن خِلال ليتورجياتِها وحركاتِها المليئة بالرموز والمعاني، تُحيط المُشارِك بها بالحُبّ والحنان، وتَدعوهُ ليَختَبر مَدى مَحبّة الله ورَحمَتِه اللّتان لا توصفان أبدًا.

قد يَكون هُناكَ مَن لا يَستَطيع استِشعار تِلكَ اللّمسة الحَنونة في الليتورجيا، فتراه يَدخُل ويَخرُج منها ولكن من دونَ اية جَدوى تُذكَر، لا نلمس ذلك التغيير الذي يهز الكيان وويقلبهُ رأسًا على عقِب! عِدّة أسباب تَقِف وراءَ تِلكَ الحالة مِنها:

- عَدَم القُدرة على مَزج الليتورجيا بالحياة وبالعَكس، مُعتَبرين الأولى عالَم لا عَلاقَةَ له بالثاني، وهذا ما يؤدي إلى وجود شَرخ بين الاثنين، حتّى تَصِل الحالة أنّ الشَرخ يُصبح واسِعًا جدًا عندَ البَعض ليصِلَ بهم الأمر إلى قَطع عَلاقتِهِم باللّيتورجيا وكأنّها أمرٌ لا يَعنيهُم البتّة! أيضًا مِن الأسباب ما يَرجَع إلى طبيعة الليتورجيا ذاتها والمتميّزة بالحسّ المُرهَف والمُحتاجة إلى حواس مُنتَبِهة تَستَشعِر ما لا يُرى، بعكس ما اصبحنا متعودين عليه اليوم نريد ان نرى كل شيء وبثواني

معدودات! هُناك مَن يَعزو السّبب إلى اللُّغة! ويبدو هذا صَحيحًا مِن جهة وخاطئا من جهة أُخرى؛ صَحيحًا لانّ الليتورجيا تَستَعمل لُغَة رَمزيّة، لُغة تأخُذُنا إلى أبعد مِمّا نَقول، ولكن ايضا الليتورجيا مُضطرّة إلى استِعمال اللُّغة البَشريّة والّتي هي مَحدودة جدًا ولا تَستَطيع التّعبير عَن كُلّ الحقيقة الّتي تُقدِّمُها الليتورجيا، أما كونَها خاطِئة لأنّ مَن يَمتَلِك لُغَة القَلب لايَحتاج إلى لُغة أُخرى فهو يَستَطيع الاندِماج والتّخاطُب بلُغةِ القَلب! أيضًا مِن أسباب عَدَم الإحساس بتِلكَ اللّمسة، هو مَن يَنتَظِر أن تَكون الليتورجيا مَنبرًا لحلّ مَشاكل إجتماعيّة، نفسيّة، سياسيّة وربُما اقتصاديّة؟ فالبطبع مَن يَنتَظِر هذا لَن يَندَمِج ولَن يَستطيع أبدًا فَهم الليتورجيا ولا رِسالَتها الّتي هي بيان لَمسَة حُبّ الله وحَنانَه للبشر. المزاجية؛ وباء العصر الذي يُصيب الكل دون استثناء وإن بدرجات مختلفة، هو الاخر من تلك الاسباب التي لا تسمح لنا الشعور بتلك اللمسة، فالليتورجيا تتطلب تحديد موقف إما ان تكون حارا وإما ان تكون باردا، اما اذا لم تكنْ لا حارا ولا باردا فهي ستتقيئك كما يقول الروح لملاك الكنيسة في اللاذقية (رؤ٣: ١٤ -١٦). الإعادة والتكرار الموجودان في الليتورجيا قد يَكونا عِندَ البَعض حجّةً ومُبرِّرًا لِعَدَم التّواصل مَعها، وتَراهُم يُطالِبونَ بالتّجديد والتّغيير بالرُّتَب والطّقوس، كي تُصبح مُلائِمة لِعقليّة هذا الزّمان الّذي يوهِم نَفسَه بالتّفتيش عَن الجديد، ويَنسى حِكمَةَ كاتبِ سفرِ الجامعة (قوهَلث) القائِل: "باطل الأباطيل... فلَيسَ تَحتَ الشَّمسِ شَيءٌ جَديد"(جا١/١+). فإذا كان لا بُدّ مِن تَجديد فهو يَجب أن يَتم في عَقليتنا نَحنُ أولاً وقبلَ كُلَّ شَيء، ومن ثَمَّ في الأمور المُحيطة بنا. كما يَحدث اليوم؛ عُدنا من بعدِ ثلاث سنوات من النزوح القسّري، وهذِهِ نِعمة كَبيرة وفَرحة عَظيمة، عُدنا وجَدّدنا بيوتَنا وأثاثنا، محلاتنا وعُدَدِّنا، كنائسنا وأديرتنا وتِباعًا سَنُجدِّد بقيّة الأمور، ولكن هل يا تُرى جَدّدنا عُقولَنا وافكارنا قبلَ ذلِك!؟

ما نَحتَاجُهُ إذًا، كي نَلمَس مَحبّة الله في الليتورجيا، هو تجديد كِيانِّنا كله بابعاده الثلاثة الجسدي - النفسي والروحي، وتنمية جميع مهاراتنا التي وهبنا اياها الله ليساعدنا على لمس مدى محبته وحنانه لنا، منها:

الإصغاء الفعّال والمُشارَكة الحيّة، العَيش بانسِجام بينَ ما نَحتَفل به وما نَعيشُه في واقعِ الحياة، احترامِ كُلّ حَرَكَةٍ وكُلِّ وقفَةٍ، احترامُ أوقاتِ الصّمت وأوقات الكلام الابتعاد عن المزاجية قدر الامكان من خلال الصبر والتأني وطول البال، هذا هو الجَديد القَديم، الّذي نَحتاجُهُ لِنَشعَر بتِلكَ اللّمسة المُحيّة أثناء احتِفالَنا في الليتورجيا سواء مع خالقنا والهنا أو مع بعضنا البعض!

رئيس التحرير

ماء الحياة

قراءة في إنجيل يوحنا

(٣٧/٧ـ ٤٤)

الأخت لى جحولا الدومنيكية

مقدّمة

تَقتَرِب الكنيسة من سَنةٍ طقسيّة جَديدة، والتي تَبدأ بتَقديس وتَجديد الكنيسة. هذهِ الاعياد الكنسيّة هي مُناسبة للتأمُّل بقدسيّة الكنيسة وبأبنائها المدعوين لعَيشِ هذهِ القُدسيّة، من خلال حياةٍ تَليقُ بالآب القدّوس. إنّ زَمن تَقديس وتَجديد الكنيسة يَتزامَن مع عيد يهودي احتَفَل بهِ يَسوع في حياته الأرضيّة، هو عيد الأكواخ أو المظال (مُفرد مظلة) الوارد ذِكرُهُ في انجيل يوحنّا (٣٧/٧-٤٤)، حتّى انّ يَسوع يَستَغِل زَمَن هذا العيد المُهم ليُلقي التّعليم على مَسامع الجّموع المُحتَشِدَة. في هذا التّعليم لا يَتَوقّف يَسوع عِندَ رَمز الماء الّذي هو جِزءُ أساسيّ في طَقس العيد لأنّه يَرمز إلى الماء الّذي أُعطي لشعب اسرائيل في البريّة، بل يَقول عن نَفسِه أنّه ينبوع هذا الماء. والمُلاحَظ في نهاية النّصّ أنّ هُناكَ مِمّن سَمِعوا كلامَهُ ولَم يَقبلوا به، لا بل حتّى أنّه وَقَعَ شِجارُ بين الشّعب بسبب يسوع.

أولاً: مُناسَبَة النّص

المُناسبة التي يَذكُرها نصّ يوحنّا (٣٧/٧-٤٤) هي عيد الأكواخ، وإلى اليوم يُعتَبَر هذا العيد مِن أحد أهمّ الأعياد الثلاثة اليهوديّة العظيمةِ (الفصح، الأسابيع أو ما يُسمى بعيد الحصاد، والمظال أو الأكواخ). عيد الأكواخ هذا كَانَ قَدْ أَصْبَحَ مُناسبَةً للصلاةِ من أجلِ المَطر. ويُحتفلَ به في نِهايةِ أيلول أو أوائل تشرين الأول ويَدومَ العيد سَبعَةَ أيامٍ في إسرائيل وثمانية أيامٍ خارج أورشليم.كان حضور اليهود مِن الذكور البالغين إلزاميًّا لكُلّ الذين عاشوا قريبين من أورشليم، أي في أرضِ إسرائيل. كَانَ للعيد أهمية تأريخية وهي تَذكيرُ الشّعب بالخيَم التّي سَكَنها بني إسرائيل في الصّحراء لِذلِكَ يُسمّى أيضًا بـ "سكوت" كلمة عبريّة تعني الخيمة أو المظلة. إضافَةً الى ذلِك كان للعيد أهمية زراعيّة فهو مَهرجان شُكرٍ لِحصادِ الخريف من عِنبٍ وتمورٍ وغيرها (خر ١٦/٢٣؛ ٢٢/٣٤).

مَجيءُ المَطر في وقتِ العيد اعتُبرَ كضمانٍ بأنَّ الامطار خلال السّنة القادِمة تَكون كافيةً للمحاصيل. وتَمّ تَرتيب رُتبة صَلاة المطرِ باسلوب جَميل خلال الأيامِ السّبعة مِنْ المهرجان. مَوكب الشّعب مع الكاهن يَنزل إلى بِركَةِ سلوم على الجانبِ الجنوبي الشّرقيّ لتَلّة الهيكل. هناك يَملأ

الكاهن الإبريق الذّهبي بالماءِ، والجوقة تُكرّرُ كلماتَ أشعيا (٣/١٢) "وتَستَقونَ المياهَ مِن يَنابيعِ الخلاصّ مُبتَهجين"، مع الموسيقيّين وصَوتِ الشوفار (قرن الكبش) حيثُ يُنفَخ فيه ثلاث مراتٍ. ثمّ يَصعد الموكب كُلّ صَباح من أيام العيد السّبعة إلى الهيكل من باب الماء. عِندما يَصلَ الحشدَ المَذبَحَ أمامَ الهيكل، يُلوِّح الشّعب بإحدى أيديهم حاملينَ أغصانَ الآسِ ونباتَ الصفصافِ مَربوطَةً سويّةً بالنّخلةِ (الفروعَ والأغصانَ تُذكِّر الشّعب بالخيَم التي بَناها الشّعب في البريّةِ)،أمّا في اليد الأُخرى فيَحملونَ الليمون أو إشارَةً إلى الحصادِ. يَصْعدُ الكاهن إلى المذبحِ ويَلتَفُ حَولَ المَذبَح سَبعَ مَرّاتٍ ثُمّ يَصْبُ الماءَ عليه ليَتَدَفّق على الأرض والشّعب كُلّه يُرتّل مَجموعة منا لمزامير (١١٣- ١١٨).

الهدف الاساسي من هذه المراسيم كان تذكّير شعب إسرائيل بعجائِب الله وإخراجِه الماءِ من الصّخرِ عِندما عَطشَ الشّعب في الصّحراءَ (خر ١٧/١-٧؛ عدد ٢٠/١-١١؛ تث ٨/١٥؛ حك ١١/٤). غير انّ حَدَث إخراج الماء من الصّخرة، بالنسبة إلى الشّعب الاسرائيلي، كَانَ أكثر مِن حَدَث تأريخي حَدَثَ في الماضي وانتهى ومُرتبطَ بتجربةِ البريّةَ، إنّه يَحمل أبعاداً مُستقبليّة، فالكُتُب المُقدّسةُ صَوّرت الله مِراراً وتِكراراً كالّذي يُزوّدُ الماءَ الروحيَ للعِطاشِ روحيًّا وهُم يَتَطلّعون إلى المُستقبَل عِندما يَروي الله عَطَشَهُم نهائيًّا (مز ١٠٧/٩؛ أش ٣٥/٧؛ رؤ ٧/١٤، ١٧؛ ٢١/٦).

ثانيًا: بُنية النّصّ الكتابيّ (يوحنّا ٧/٣٧- ٤٤)

يُمكن تَقسيم النّصّ الى جزئين أساسيّين:

١. أنهار الماء الحيّ (٧ / ٣٧-٣٩)

يَختار يَسوع اليومِ الأكثر أهميةً مِنْ العيد وهو اليوم الاخير،لإعلان كلماته فيقول: "إنَ عَطِشَ أحدٌ فليُقبِل إليّ ومَن آمَنَ بي فليَشرَ ب." يَدعو يسوع العِطاش للمجيء إليه والارتواء. فالكاتب يُؤكّد أنّ يسوع هو الماءِ الحيّ ويعني بالماء في الحقيقة روحَ الله. يَعد يسوع الّذي يأتي ويَشرَب مِنهُ، أنّه"سَتجري مِن جَوفِه أنهارٌ مِن الماء الحيّ" (٣٧/٧). السؤال هو:مِنْ مَن ستجري أنهار الماء الحيّ؟ مِن يَسوع أم مِن المؤمن العطشان الّذي يُقبل إلى يسوع؟ هناك طريقتان لِفَهم الجزء الأخير من هذِهِ الآية.

أ. إمّا أنّ الكاتب يُشير إلى يَسوع؛ أي من جوف يسوع سَتَتَدَفّق أنهار الماءِ الحيّ. إستنادًا إلى نصوصٍ أُخرى رَبطَت يَسوع دائمًا بالصّخرةِ التي أعطَتْ ماءً للإسرائيليين في البريّةِ (خر ٦/١٧) فأَخذَ بولس هذِهِ الصّورةِ ليُعبّر عن المسيح (١كور ٤/١٠) "كُلُّهُم شَربوا شَرابًا رُوحِيًّا واحِدًا، فقَد كانوا يَشربونَ مِن صَخرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَتبَعُهم، وهذه الصَّخرَةُ هي المسيح"وهكذا بولس يَعتبرُ يسوع الينبوع الذي مِنهُ يَتَدَفّق جَدولِ التّطهُّر والروح. فكما أنّ الإنسان لا يُمكِنُه العَيش بدونِ الماء

فكذلك لا يُمكِنُه أن يعيشَ ملءَ الحياة بدون يَسوع.

ب. أو أنّ الكاتب يُشيرُ إلى أي شَخص يَجيءُ إلى المسيح ويَقْبلُ المسيح. وكنتيجة لايمانِه بيَسوع يجري منه نهرٌ من الماء. هذا يَعني أنّ يَسوع يُعطي للمؤمن قُدرّة أن يُصبح يَنبوعًا للروحِ القدس. وَضعَ اليهود كُلّ الأفكار والعواطف في بَعْض أجزاءِ الجسمِ. فالقَلب كَانَ مركزَ الفكرِ أمّا الكِلى والبطن فكَانا مركز المشاعرِ العميقة. هذا يَعْني أنّ يسوع وعد بالتطهير واعطاء الحياة من الروح القدس لكي تكون للمؤمن أفكارًا ومشاعرَ مُطهَّرة تُنعِش الحياة وتُعطي الرّوح. وكأنّ يَسوع يَقول: تَعال إليّ واقبلني وأنا أضعُ بك روحي وحياةً جديدة تُعطيكَ نقاوةً.

في كلا التّفسيرين يَسوع هو يَنبوع الرّوح والقوّةَ والطهارة، والقادر أنْ يُعطي الحياة للذي يؤمِن به. فقط عندما نَعرف يَسوع نَعرف الروح- حضور يَسوع الدّائم مَعنا. يوحنّا لا يقول بأنّ الروح لَم يكُن مَوجودًا لكن بحياة وموت يَسوع فُتِحَت الأبواب للروحِ ليُصبحَ حَقيقةً وقوّةً لِكُلِّ شَخصٍ.

ثلاثُ كلمات تُلخِّص دَعوةَ يَسوع الإلهيّة في هذا الجزء مِن النص (عطش، يقبل، يشرب). **العِطاش**: هم الّذين يَعْرِفونَ عَطَشَهم الرّوحيَ (أش ١/٥٥؛ مت ٦/٥) وأمثالهم يأتون إلى يَسوع المَصدر الوحيد للماءِ الحيّ. لكن لَيسَ كُلّ الّذينَ **يُقبِلونَ**: الى يَسوع يُروَى عَطشُهم وهناك أمثِلة في العَهد الجَديد. فمثلاً الشّاب الغَني ذَهَب إلى يَسوع بلَهْفة لكن في النّهاية مضى حزينًا (مر ١٠/٢٢) لأنّه لَم يَقبَل أن يَتَخَلّى عن أملاكِه. فقط أولئك الّذين يَتجاوبونَ لِدَعوَة يَسوع **يَشربون**: الماءَ الحيّ.إذًا من أي نوعٍ نحنُ؟

٢. نهاية النص (٧ / ٤٠ ـ ٤٤)

مِن المهم مُلاحظَة كيفَ يَنتَهي النّص (يو٧/٤٠-٤٤). فهو يَنتَهي بخلافٍ بين الشّعب وانقسام الجَمع.فلم يَقتَنِع الجَميع بأصالةِ يَسوع، بينما كانَ البَعض مُستَعِدّون لقَبُولِهِ كَنَبيّ عَظيم وَعَدَ به موسى (تث ١٥/١٨)، أو حتّى كالمسيح المُنتَظَر- مَسيح الله ، لكن آخرين بَقوا شكّاكين يَعودون إلى الكُتُب التاريخيّة وما تَقول به الوعود من أنّ المسيح يأتي من بيت لحم:"أفترى من الجليل يأتي المسيح؟"سَألوا بطريقةٍ مُحتَقَرة والجواب المتوقّع هو جواب سلبي. فِكرَة المَسيح المُنتَظَر والّذي يُمكن أَنْ يَجيءَ مِنْ الجليل بَدت باهتة للبعض (يو١/٤٦؛٧/٥٢). يشير الكتاب المُقدّس بأنّ يسوع يَجيءُ مِنْ نَسل داود (٢صم ٧/١٢؛ مز ٨٩/٣-٤؛ أش ١١/١، ١٠؛ إر ٢٣/٥؛ مت ٢٢/٤٢)، وبأنَّ المسيح المُنتَظَر يَجيءُ مِنْ بيت لحم (ملا ٥/٢؛ مت ٢/٣-٦).لكنّ الشعب بسبب الاستعجال بالحُكم على الاخرين افتَرَض أنّ يسوع ولِدَ في النّاصرة، المدينة الّتي، بالحقيقة، تَرعرَعَ وكَبَرَ فيها يسوع (مت

٢١/٢-٢٣؛ لو ٣٩/٢، ٥١؛ ١٦/٤؛ يو ٤٥/١).

انقِسام الشّعب بسبب "مَن يكون يسوع" هو مأساة. فقد أضاعَ الشّعب التّجربة الدّينية العَظيمة الّتي يَختَبرها في هذا الاحتفال ويَنتَهي بشجارٍ لاهوتيّ. والمأساة تكمُن في أنّ الشّعب غير قادرٍ على رؤية حَقيقة يَسوع والّذي يُحاول مِن خِلالِ هذِهِ المناسبة الدينية إرشادَهُم الى الينبوع الحقيقي للماء والرّوح. حاول البَعض الآخر إمساك يَسوع، يقول النّص، لكنّهم لم يَبسطوا عليه يدًا (٤٤/٧). وهذهِ ثالث مُحاولة فاشِلة للقَبْض على يَسوع منذُ أنْ وَصلَ إلى أورشليم (٣٢/٧،٣٠،٤٤). لكن لا أحد يَضع يَدهُ عليه، لأنّ الوقتَ ما كَانَ صحيحًا في خُطّةِ الله.

الخاتمة

يلعب الماء دورًا مهمًا في طَقس عيد المظال. فهو رَمز لخيرات الله ورَمز التّقديس والطّهارة والبَركة. وللماء أيضًا دور مُهم في عبادتِنا بحسب طقوسنا المشرقيّة، فالماء المُقدّس من خلال صَلاة خاصّة، يُستعمَل لِتَقديس الكنائس والمذابح والبيوت والأشخاص. حتى دخولنا للكنيسة نبدأهُ برَسمِ علامَةِ الصليب على أنفُسنا وأصابعنا مَغموسة بالماءِ المُقدّس، كعلامَةٍ لِتَطهيرنا واستعدادِنا لِتناول جَسَد الرّبّ وشُربِ دَمِه والاتحاد به. والماء أيضًا مادة أساسيّة عند الاحتفال بسرّ المعموديّة.

بينما عيد المظال مُناسبة لِشُكر الله على إحساناتِهِ وخيراته خلال السّنة الكاملة ومناسبةً لاستمطارِ نِعَمِه وبَركاتِه للسنة المُقبلة، فإن عيدي تَقديس وتَجديد الكنيسة، واللذان يَبدأن السّنة الطقسية، هما مُناسبة لِشُكرِ الله على السّنة الليتورجية الجديدة وللبدء من جديد بمسيرةٍ إيمانية تتمحور حول الرب يسوع. لِنسأل انفسنا هل نَحنُ مستعدون للاقتراب من يسوع والارتواء من ماء الحياة، من ينابيعه، لنصبح نحن ايضا مُقدّسون ومُطهّرون تليق حياتنا كأبناء للآب القدوس أم نَكتفي بالشكليّات الطقسيّة. الطقوس والاحتفالات هي لِتُقربنا إلى الله خلال حياتِنا اليوميّة، وعِندما نَفصل يَسوع عن يومياتنا فممارساتنا الكنسية لا يبقى لها أي معنى لانّنا نَبتَعِد عن مَصدر اليَنبوع الحيّ.

عُرس الدّم على الجُلجُلة

الأخ ياسر عطاالله

مقدمة

"لكِنَّ واحِدًا مِنَ الجُنودِ طَعَنَه بِحَربَةٍ في جَنبِه، فخرَجَ لِوَقتِه دَمٌ وماء" (يو ١٩/٣٤). تَصِفُ هذهِ الآية المُميّزة مِن انجيل يوحنّا طعنَ جَنبِ المسيح على الصّليب، وهي بمثابَةِ نُقطةٍ مَركزيّة للغِنى المُدهِش وللارتباطات الواضِحة في التّفسير التيبولوجي[1] في الشّعر السُّرياني المُبكِّر، كمثلِ ولادَةِ حواء من جَنبِ آدم الأول في بداية التّاريخ الكتابيّ "فأَوقَعَ الرَّبُّ الإلهُ سُباتًا عَميقًا على الإنسانِ فنام. فأَخَذَ إِحْدى أَضْلاعِه وسَدَّ مَكانَها بلَحْم. وبَنى الرَّبُّ الإلهُ الضِّلْعَ الَّتي أَخَذَها مِنَ الإِنسانِ امرَأَةً، فأَتى بِها الإِنسان"(تك ٢/٢١-٢٢)؛ وإغلاق الفردوس أمام آدم وحواء، بسبَب السّقطة، بواسطة سيفِ الكاروب "فأَخرَجَه الرَّبُّ الإلهُ مِن جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَحرُثَ الأَرضَ الَّتي أُخِذَ مِنها. فطَرَدَ الإِنسانَ وأَقامَ شَرقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الكَروبين وشُعلَةَ سَيْفٍ متقلِّبٍ لِحِراسةِ

طَريقِ شَجَرَةِ الحَياة" (تك ٣/٢٣-٢٤). صورةُ الجَنبِ المَطعون تُشير، في الوقتِ نَفسِه، إلى ولادَةِ الكنيسة والأسرار مِن خلالِ رَمزيّة الدّمِ والماء المُتدَفِقانِ من جَنبِ المسيح، آدم الثاني، والّذي مِن خلالِه أزال السّيفَ الّذي مَنَعَ الإنسانيّة من دخولِ الفِردوس.

أولا: المسيح وعَروسُه في التّقليد السُّرياني

شُعراء القَرن الخامس والسّادس قدّموا مَجموعةً جَديدةً مِن الصّور لِهذا التّرابُط التيبولوجي أي صورَة العروس، والّذي أخذَ بالأساس وَجهين مُختَلفين:

١) جنبُ آدم الثّاني يَلِد العَروس، الّتي هي "أُم الحياة" (الأسرار). كما أنّ جَنب آدم الأول ولدَ حواء "أُمُّ كُلِّ شيء حي" (تك ٣/٢٠). هذه كانت الصّورة الأكثر انتشارًا من الصّورتين، وقد يَكون واضِحا مِن مَقاطِع عَديدة في الشّعر اللّيتورجي للكنائس السُّريانيّة. نَقتبس بَعض المُقتَطَفات من المَيمر ٥٣ لِمار يعقوب السّروجي (+٥٢١)، وهي مأخوذة من طبعَة القسّ بولس بيجان (النّصّ السّرياني) مع تَرجمَة القسّ بهنام سوني (النّصّ العربي):

"١٤٦٦ تَمددّ (المسيحُ) على الصّليبِ وتَدفّقَت المعمودية مِنهُ[2]،

١- **التّفسير التيبولوجي** (*typology*) (أو التّفسير باستِخدام النموذج أو الرموز الكتابيّة) هو التّفسير الّذي اعتَمَدَتهُ مدرسة انطاكيّة، وهو قريب من التّفسير التّاريخيّ. يَعتَمِد هذا التفسير على نَماذجَ أو رموزٍ من العهد القديم (حدث تاريخي) تُشير إلى حقيقةٍ عَظيمة أُخرى في العهد الجديد (فعل خلاصي). مثلاً: الأيام الثّلاثة ليونان في بَطن الحوت هي نَموذج للأيام الثّلاثة للمسيح في القبر. الحيّة النُّحاسيّة الّتي رَفَعَها موسى في البريّة كنموذج لِرَفع المسيح على الصّليب (راجع يو ٣ /١٤-١٦).

٢- ١ قورنثية ١٥/٤٥-٥٠.

١٤٦٧ كان قد ثُلِمَ جَنبُ الختَنِ الغـارِقِ في النّـوم
فولَدَ العروس مِثل حواء عَلى نَمط آدم،
١٤٦٨ هَبَطَ عليه نومُ[٣] المـوتِ علـى الصّـليب،
وخَرجَت مِنهُ الأُم الّتي تَلِدُ جَميعَ الرّوحيّين،
١٤٦٩ رَبُّ آدم أَثْمَر في نَومِهِ حواءَ الجَديدة لِتَصير
أُمًّا لِبَني آدم بدلَ حواء،
١٤٧٠ من جَنبِ ذاكَ الحيّ الّذي ماتَ ليُحيـي آدم
جَرى دَمٌ وماء لِصورَةِ الأجنةِ الرّوحيين"[٤]

مِن المؤكّد أنّنا لا نَجِد هذِهِ الصّورة مُقتَصِرةً عند المؤلّفين السُّريان، بل نَجِدَها أيضًا عِند المؤلّفين اليونانيّين واللاتين، مَعَ أنّهم كثيرًا ما يُشيرونَ إلى ولادَةِ الكنيسة مِن جَنبِ المسيح المَفتوح، لكِن بدونِ مُماثلَةِ الكنيسة على أنّها العروس.

٢) الماءُ والدّم لَم يعُد يُمثّلا العِماد والافخارستيا فقط، بل تُصبح هَدية الخِطبة المُعطاة مِن العَريس للعروس.

في الصورة الأولى العَروس تُؤخَذ في الأصل من جَنبِ المسيح، بينما في الصّورة الثانية هي بالفِعل مَوجودة. هذهِ الحقيقة في آنٍ واحِد تُعطينا دليلاً يُركّز على مَصدر هذِهِ الصّورة الدّقيقة أو الخاصّة، والّتي ارتَبَطَت على نحوٍ ثانويّ بتَرابُط تيبولوجي غَني مَع انجيل يوحنا ١٩/٣٤.

مَلامح صورَة عَروس المَسيح في شعرِ افرام نَجِدَها في نَصّين مُختَلِفين: الأوّل في **عِماد المسيح**، إذ أنَّ أحد أدوار يوحنّا المعمدان هي أن يَكشِفَ عن العَريس للعروس (مدراش ضد الهراطقة ٦/٢٤ على اساس يو ٢٩/٣)؛ والثّاني في **الدّخول الى أورشليم**، عندما يُصوِّر أفرام نيّة العَريس للعَروس (اسرائيل) كَرفض لِخِطبَتها وكونَهُ استَبدَلَها بعَروسٍ جَديدة هي كَنيسة الوثنييّن (مدراش القيامة ٣). عند أفرام يوجَد مَرحلتين: اسرائيل الخطيبة تَرفُض قَصدَ عَريسها الملكي (الله) في سيناء، ولكنّه يعطيها فُرصَةً ثانية؛ والفُرصَة الثّانية هي أن تَتَزَوّج من ابن المَلِك الّذي تَرفضُهُ أيضًا عِند دخولِه أورشليم.

سيناريو تَبديل العَروس، أي اسرائيل بالكنيسة، عادَةً بقى في الدّخول الى أورشليم في التّقليد السُّريانيّ المُتتابع، بالرغم مِن أنّ المَشهَد رُبّما أحيانًا يَعودُ لِلعماد. هذا ما نَجِدُهُ في ميامر يَعقوب السّروجي في العماد. على أيّة حال عِند يَعقوب لَم يَقتَصِر المَضمون على مَشهَد تَبديل العَروس إلى مَشهدَي عِماد المسيح والدّخول إلى أورشليم، بل وصفِهِ أيضًا كحَدَث خِلال الصّلب، لِهذا أبدَعَ لنا الشّكل الثاني: الألم هو العُرس الاحتفاليّ للعَروسِ الجَديدة، والدّم المُتدفّق مِن جَنب المَسيح هو هَدية العَريس لعروسته الجديدة. من الواضح ان الافخارستيا هي المقصودة هُنا، كما أنّ الخَمر في عُرس قانا هو استِباق للافخارستيا (راجع: مدراش الايمان ١٤ لمار أفرام، مع أنّه لم يقدم الرابط مع يوحنا ١٩/٣٤ والالام).

٣- تك ٢/٢١.

٤- مداخلة مسيحية وهذه سحقت وهذه- وحماة ميامر مختارة لمار يعقوب السّروجي ج٢، جَمَعَها القس بولس بيجان، ١٩٠٦، ص ٥٨٩ (سرياني)؛ بهنام سوني (الأب د.)، ترجمة من السُّريانيّة إلى العربيّة ودراسة على ميامر الملفان مار يَعقوب السَّروجي-ج ٢ الميامر ٤١-٧٧، بغداد، ٢٠٠٣ (عربي).

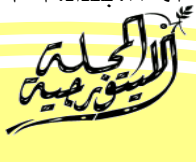

ثانيًا: تمزيق بُرقع بنت العبرانيين

لِنَعُد للميمر ٥٣ لِمار يعقوب السّروجي ونَقتَبِس منه[٥]:

١٤٤٦ العَروسُ جُنَّت وصَلَبَت الخَتَن، فغَضِبَ أبوهُ ودَخَلَ ومَزّق ثيابَها وطَرَدَها من مِيراثِه،

١٤٤٧ كَشَفَ رأسها لأنّها احتَقَرَت رَئيس البَيت وجَعَلَها سُخريَةً بين الجماعات لأنّها أذنَبَت كثيرًا،

١٤٤٨ جَعَلَها مُحتَشِمةً بالحجاب كما لو كان بِبُرقع المَخطوباتِ لِتكونَ عَفيفَةً في خِدرِها،

١٤٤٩ ولَمّا أذنَبَت مَزّقَ غِطاءَها وتَفَلَ في وَجهها وَكَشف رأسها[٦] لِتكونَ أضحوكَةً في العالَمِ كُلِّه،

١٤٥٠ أيُّها اللاويون، مِن الآنَ وصاعِدًا، هوذا بَيتُكُم متروكٌ لَكُم خَرابًا بلا حَبرويّة وبلا ذَبائح[٧]،

١٤٥١ ابنُ المَلِكِ صَنَعَ على الجُلجُلة عُرسًا عَظيمًا وخطَبَ هُناكَ بِنتَ النّهارِ لِتَصيرَ خاصّتَهُ،

١٤٥٢ خاتَمُ المَلِكِ كان يُصاغُ بِمسامير يَديه، وكانت تُعطى الخُطوبَةُ بدَمِه الغافر،

١٤٥٣ خَطَبَها هُناك لأنّها أحبّتهُ وَقتَ إهانَتِه، وعَبَرَ وَوَضَعَها على يَمينه لِتكونَ مَعهُ،

١٤٥٤ قادَها لِيُدخِلَها إلى الجَنّة: الخدرِ الّذي أتقَنَه أبوهُ، والتقاهُ رأسُ الرُّمحِ الموجودِ هُناك،[٨]

١٤٥٥ الحارسُ سَمِع ضَجّةً تَدخُلُ إلى الفَردوس وجَلَبَ الرُّمحَ لأنّه كان يَقظًا وقائما على حِراستِه،

١٤٥٦ لَما كانت عَروسُ النّور تَدخُلُ طُعِنَ الخَتَنُ وهولاء الّذينَ طَعنوا لَم يكونوا يَعرِفون مَن طُعِنَ،

١٤٥٧ قَبِلَ الرُّمحَ في جَنبِهِ وأخذها مِنَ الحارسِ وأطلَقَهُ لِيَخرُجَ وفَتَحَ الباب لِجَميعِ الدّاخلينَ،

١٤٥٨ رَبُّ الجَنّةِ طُعِنَ بالرُّمحِ لَمّا فَتَحَها لأنّها كانت تُحرَسُ بحَذَرٍ منذُ عَهدِ آدم،

١٤٥٩ بَدَلَ السّارِقِ الّذي خَرَجَ مِنها دَخَلَ اللّص، وطُعِنَ رَبُّه وهو يُدخِلُهُ وفَتَحها أمامَهُ،[٩]

١٤٦٠ عقب آدم عادَ ورَجَعَ لِيَدخُلَ إلى الجَنّة، وطُعِنَ رَبُّه لِئلا يَتضَرّرَ أثناءَ دخولِه،

١٤٦١ قامَ الصّالِبونَ ورَموا الرُّمحَ على الجَميل وثَلَموا جَنبَهُ وجَرى مِنها ماءٌ ودَم،[١٠]

١٤٦٢ فُتِحَ بِئرٌ جَديدٌ على الجُلجُلة وهذا هو يَنبوعُ عَدنِ المُبارَك،

١٤٦٣ النّهر العَظيم وَزَّعَ نَفسَهُ إلى الجهات الأربع لِتَشرَبَ مِنهُ كُلُّ البرية المُتضايقة،

١٤٦٤ موسى ضَرَبَ الصّخرة بالعَصا في آشيمون وأعطَت شَرابًا للعساكر بسرٍ عَظيم،[١١]

١٤٦٥ المسيح ذاتُهُ صارَ يَنبوعًا مُتدفّقًا حياةً لأنّهُم ثَلَموهُ كما لو كان بالعصا وروى الأرض.

في هذا المَقطع وفي مَقاطع مُشابِهة يَطرح يَعقوب السّروجي ثلاثةَ مَواضيع أساسيّة مُنفصِلة عن بَعضِها تَمامًا:

١ -تفسير تيبولوجي ليوحنّا ٣٤/١٩ يُرى كانعِكاس لتكوين ٢٤/٣؛

٥- المرجع السابق، ص ٥٨٧-٥٨٨.

٦- يَستَعمِل يعقوب عِبارة قويّة من اختراعِهِ: بصَقَ يَسوع في وجهِ بنت العبرانييّن.

٧- هذا البيت تُردِّدُه الليتورجيّة السُّريانيّة طيلَةَ أسبوع الآلام على هذهِ الشّاكِلة: (ܘܐ ܝܗܘܕܝܐ ܗܐ ܡܫܬܒܩ ܠܟܘܢ ܒܝܬܟܘܢ ܚܪܒܐ ܠܐ ܡܠܟܘܬܐ ܘܠܐ ܟܗܢܘܬܐ ܘܠܐ ܢܒܝܘܬܐ: أيُّها اليهود هوذا بَيتُكُم يُترَكُ لَكُم خَرابًا، لا مُلكٌ ولا كَهنوتٌ ولا نُبوَّةٌ)، ويَقصد باللاويّين في النّص الأصلي قادَةَ الشَّعب اليَهودي. لاحظ الفَرق بين النصّين!.

٨ - تكوين ٢٤/٣.

٩- آدم هو سارِق (للثمرة) فخَرَجَ مِن الجنّة، ولِصُّ آخر هو لصّ اليَمين دَخَلَ الجنّة.

١٠- يوحنا ٣٤/١٩.

١١- خروج ١/١٧-٧، ١قورنثية ٤/١٠.

٢ - خَطيبَةُ المسيح هي عروسٌ مَوجودةٌ بالفعل وقد استبدَلَها بالعَروسِ الأولى؛

٣ - الإفخارستيا كحفلَةِ عُرس (هذا الموضوع كامِنٌ في خلفيّة النّصّ)؛

بالرّغم من أنَّ كُل هذهِ العناصر المُختَلِفة توجَد مِرارًا وتِكرارًا في الشّعر الليتورجيّ السُّريانيّ، إلا إنّ الجَمع بينَها نادِرٌ. لكنّ يعقوب السّروجي يَميل بوضوحٍ إلى دَمجِ هذهِ الصّور، وهي تَظهُر فَقَط مرةً عند نرساي. ومن ثمَّ بشكلٍ مُتَقطِّع في الأشعار الليتورجيّة المُتأخِّرة لِكلا التّقليدين السُّرياني‌يّن الشّرقيّ والغربيّ.

ثالثًا: السيناريوهات المتنوعة للعروس والدم والعروسة

مِن الجدير بالذّكر أنّ التنوّع في المفاهيم المُختلِفة في الشّعر الليتورجيّ السُّريانيّ يُعطي سيناريوهات مُختَلِفة ولكِنّها مَقصودَة في ذات الوقت. في مُعظَم الحالات الدّم هو الرّابط مع مَهر العَروس الّذي يُعطى من قبل العَريس. وهذا له دلالات متنوعة:

١ -**الدّم هو ثَمَن العَروس:** العَروس هي مُشتراة أو مُفتداة. بالطّبع هذا شائِع في عَقيدَة الكفّارة. عبارَة "مُشتراة بالدّم" (ܟܝܢܐ ܕܒܝܬܐ) و "مفتداة بالدّم" (ܦܕܝܢܬܐ ܕܒܝܬܐ) تَتَرَدّد بكثرَة في الشّعر الليتورجيّ، مُشيرَةً إلى الكنيسة بالعموم، في خلفيّة الحَدَث يُمكِنُنا أن نَجِد التّرابُط مع دَم الحَمَل الفِصحي الّذي يَفدي إسرائيل في مصر (راجع: خر ١٢/١٣ و١٥/١٣). ما ليس شائِعًا هو الارتباط المباشر لِهذِه الجُمَل مَعَ صورَة الزّفاف، كما في الأمثلة الآتية: (ܡܢ ܗܘ ܕܝܢܐ ܕܝܗܒ ܠܡܫܝܚܐ ܕܐܝܬ ܠܗ ܟܢܝܫܬܐ) "مَن ذا الّذي مِن بدءِ العالَم، أعطى دَمَهُ مَهرًا للعَروس"[١٢]. وأيضًا: "ܟܒܐ ܕܟܢܝܫܬܐ ܘܡܫܬܡܫ ܒܗ ܡܫܝܚܐ ܒܗ ܟܠܝܠܐ" "الكنيسة خَطيبَةُ المَسيح، الّتي فَداها مِن اللّعنة بدَمِهِ" (فنقيث الموصل، ج٢، ص ٥٠ عامود ١).

وفي التّقليد السُّريانيّ الشّرقيّ: "أيَّتُها الكنيسة خَطيبَة المسيح، مَن فداكِ مَعَ دَمِهِ مِن الأثم وأعطاكِ طَعامًا للحياة جَسَدَهُ، الّذي قُتِلَ على الجُلجلة، بين يَديكَ هو وَضعُ كأسِ الخلاص، الدّم الثّمين الّذي أُهرِقَ مِن جَنبِهِ بطَعنَةِ الحَربَة. أصغي وانتَبِه إلى صَوت العَريس، وَقَفَ الضّالُ بلا جَدوى بعدَ الخطأ، ونادى فاديكَ مَعَ الشُكر: المَجدُ لَكَ". (الحوذرا، ج٣، ص٦١٠).

٢ - **الدّم هو هَديَة الخطوبة (المَهر):** هذا رُبّما في بَعض الأحيان يَكون خاصّ كهدية المَسيح في الافخارستيا للكنيسة/ العروس.

أحيانًا لا يُرى الدّم كمَهر (ثَمَن) للعَروس (مع إيحاءَات مِن الخروج ١٢) لكن كهديّة العُرس المُقدَّم من قبلَ العَريس للعَروس، هذهِ الهَديّة هي بالطّبع

١٢- هذا هو حتما ما يحدث في سيامر مُختارَة لِمار يعقوب السّروجي ج٣، جَمَعَها القس بولس بيجان، ١٩٠٧، ص ٢٩٠ (سرياني)؛ بهنام سوني (الأب د.)، ترجمة من السُّريانيّة إلى العربيّة ودراسة على ميامر الملفان مار يَعقوب السَّروجي-ج ٣ الميامر ٧٨-١٢١، بغداد، ٢٠٠٣ (عربي).

الافخارستيا: "لا يوجَد رَجلٌ فَعلَها مِن قَبل لِخطيبَتِه، إذ أعطاها جسَدَهُ ودَمَهُ" و"أيّتُها الكنيسة أعطي الشُّكرَ لابنِ الملك الّذي خَطَبَكِ لِتَكوني لَهُ مَلِكة. لقد جَلَبَكِ إلى خِدر عُرسِهِ، إذ أهرَقَ الدّم من جَنبِه كهديّة العُرس وألبسَكَ ثَوبَ المَجد البهي الّذي لا يَزول وَوَضَعَ على رأسكِ تاجَ المَجد" (الحوذرا، ج٣، ص ٥٦٩ و٦٠٩).

٣ – وثيقة أو صَكّ الزّواج (ܦܪܢܝܬܐ) كُتِبَت بالدّم بمَعنى أنّها أبديّة. وهي رُبما تُشير إلى "هاءَنذا على كفَّيَّ نَقشتُكِ وأسْوارُكِ أمامَ عَينَيَّ في كُلِّ حين" (أش ٤٩/١٦). هذِهِ الصّورة البلاغيّة نَجدها في الكُتُب الليتورجيّة السُّريانيّة سواء الشّرقيّة أو الغربيّة:

"ܟܰܠܬ݂ܳܐ ܕܡܰܠܟܳܐ ܫܡܰܝܳܢܳܐ. ܒܨܠܺܝܒܶܗ ܡܟܰܪܟܬܳܐ. ܕܢܰܦܫܶܗ ܕܺܝܠܶܗ ܝܰܗ݈ܒ ܠܶܟܝ. ܒܕܶܡܶܗ ܘܡܦܰܠܛܳܐܝܬ. ܗܘܳܐ ܐܶܠܳܗܳܐ ܦܳܪܽܘܩܳܐ. ܘܐܶܬܟܰܬܒܰܬ ܕܝܠܗ ܚܝܳܐ. ܒܡܰܟ݂ܬܒ݂ܳܢܘܳܬܳܐ ܕܢܘܼܗܪܳܐ. ܐܰܝܟ ܕܒܦܶܢܩܝܬܳܐ ܠܟܘܪܣܳܘܳܬܳܐ. ܟܽܠ ܦܽܘܡܳܐ ܐܰܚܪܳܢܳܐ. ܘܡܰܠܦܳܐ ܒܗ̇ ܢܰܦܫܶܗ. ܘܠܐ ܐܝܬ ܕܡܢܐ ܠܗ: أيّتُها العَروس اهتِفي المَجدَ في مَقتلِ خَطيبكِ، لأنّه ذَبحَ نَفسَهُ وأعطاكِ إيّاها في وليمَتكِ. وها أنتِ تَتناولينَ جَسَدَهُ وتَشربينَ دَمَهُ الحيّ. آمني بأنّه صُلِبَ لأجلك وَوَسَمَ وثيقَة زواجكِ على راحةِ يَديه، وختَمها بدمهِ ولا يوجَد مَن يفسَخه" (فنقيث الموصل، ج٧، ص ٢٨٨ عامود ٢) (راجع: فنقيث الموصل، ج٢، ص ٢٨ عامود ٢).

"أيّتُها الكنيسة المُختارة، خَطيبَة يَسوع العَروس السّماوي، زيّني نَفسَكِ لأجلِه، هو الّذي في حُبِّه خَطَبَكِ ومَعَ صَليبِهِ أعطاكِ الميراث. كَتَبَ لكِ صَكَّ الزّواج مَعَ دَمِهِ المُحيّ وألبَسَكِ ثَوبَ الرّوح الّذي لا يَفسَد. جَلبَكِ مَعَهُ إلى نورِ خِدرِ العُرس" (الحوذرا، ج٣، ص ٥٨٥–٥٨٦).

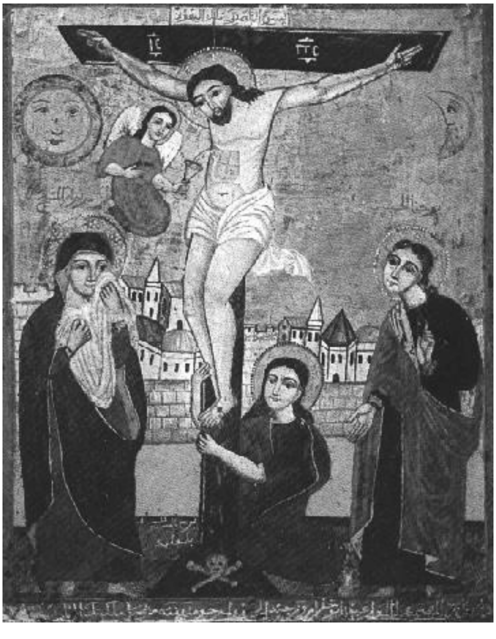

٤ – العَريس لَم يَرغَب أن يُعطي العَروس دَمَهُ (الافخارستيا) كما في النُّقطة الثانية أعلاه، لكن هو بنَفسِه قدّم الطّعام لِحفلَةِ عُرسِهِ (والّذي هو الافخارستيا أيضًا).

المُفارَقة في العَريس أنّه ذُبحَ لكي يُهيّء حَفلَ العُرس لِعروسَتِه. نَستَطيع أن نَرى ذلِك كتَطوّر درماتيكي لِلنُقطة الثّانية. يُسهب يَعقوب السّروجي في هذا الموضوع في عِدّة ميامر، لاسيما في مَيمَرِه على البُرقع الّذي على وجهِ موسى (خر ٣٤/٣٣–٣٥)[١٣]: "في أيّ عُرسٍ صارَت وَليمَةٌ، وبدَلَ الخُبز كَسَروا للمَدعوين جَسدَ الخَتَن إلاّ هُنا؟"

١٣– وهذا الميمر يَحمل الرقم ٧٩، ويأتي في الجزء الثالث من طبعة بيجان: ܡܐܡܪ̈ܐ ܓܒܝ̈ܐ ܕܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܕܣܪܘܓ- ܘܣܦܘܠܘ ميامر مُختارَة لِمار يَعقوب السّروجي ج٣، جَمَعَها القس بولس بيجان، ١٩٠٧، ص ٢٩٠ (سرياني)؛ بهنام سوني (الأب د.)، ترجمة من السُّريانيّة إلى العربيّة ودراسة على ميامر الملفان مار يَعقوب السَّروجي–ج ٣ الميامر ٧٨–١٢١، بغداد، ٢٠٠٣ (عربي).

وفي الميمر ٩٥ من المُجلّد الثّالث يوجَد تَوصيف شَبيه بذلك:

١٧٨ العَروس التي خَطَبَ تُغلِقُ الأبواب وتأكُل الخَتَن ولا يَذوقُهُ أحدٌ غَريب ولا تُعطيه لَهُ،

١٧٩ مَن رأى ختَنًا مَذبوحًا في الوَليمة أو عرائِسَ يأكُلنَ عِرسانَهُنّ؟

١٨٠ ابن الله صَنعَ عَملاً جَديدًا في العالَم لَم يَصنعُهُ أحدٌ سِواه منذُ الأزل،

١٨١ صفّ جَسَدَهُ ودَمَهُ في العُرس أمامَ المَدعوين ليأكلوا مِنهُ ويَحيوا مَعَهُ بدونِ نهاية"[14]

لا نَجِد هذهِ النّصوص مع واقعيّتِها الجاذبة فقط في النّصوص السُّريانيّة لكن أيضًا في النّصوص الليتورجيّة، مثل:

"ܟܰܠܬܳܐ ܕܫܰܪܺܝܪܳܐ ܫܽܘܒܚܳܐ. ܒܩܶܛܠܶܗ ܕܡܰܟܺܝܪܶܟܝ. ܕܢܰܦܫܶܗ ܕܒܰܚ ܫܰܘܝ ܠܶܟܝ. ܒܡܫܬܽܘܬܶܟܝ. ܘܗܳܐ ܐܳܟܠܳܬܝ ܦܰܓܪܶܗ. ܘܐܶܫܬܳܝܳܬܝ ܕܡܶܗ ܚܰܝܳܐ: أيّتُها العَروس اهتِفي المَجدَ في مَقتلِ خَطيبكِ، لأنّه ذَبَحَ نَفسَه وأعطاكِ إيّاها في وَليمَتكِ. وها أنتِ تَتناوَلينَ جَسَدَهُ وتَشربينَ دَمَهُ الحيّ" (فنقيث الموصل، ج٧، ص ٢٨٨ عامود ٢).

٥ - ردّة الفعل الأكثر عموميّة للسيناريو المتوخّى للعَريس المَذبوح في حفلَةِ عُرسِه تُقدَّم مِن خِلال سلسلة أسئلة بلاغيّة: أيُّ خَتَنٍ ماتَ... ؟ في أيّ عُرس...؟

في مَيمَرِه على البُرقع على وجهِ موسى، الّذي ذَكرناهُ سابقًا واستشهدنا بِبَعضِ مَقاطعِهِ، يَربط يَعقوب السّروجي جوانبَ ذَكرناها مُسبقًا، النُّقطة الأولى والرّابعة، في سلسلةٍ من الاسئلة البلاغيّة:

٧١ أيُّ خَتَنٍ ماتَ لأجلِ العَروس ما عدا ربّنا، وأيّةُ عروسٍ طَلَبَت القَتيلَ لِيَصير رَجُلَها؟

٧٢ مَن ألقى دَمَهُ كمَهرٍ منذُ الأزل ما عدا الصّليب الّذي خَتَمَ العُرسَ بضرباتِه؟

٧٣ مَن شاهَدَ جُثّةً مُلقاةً في الوليمة، وتَحتضِنُها العَروس وتَقِفُ لِتَتَعزّى بها؟

٧٤ في أيّ عُرسٍ صارَت وليمةٌ، وبَدَلَ الخُبز كَسَروا للمَدعوينَ جَسَدَ الخَتَن إلاّ هُنا؟

٧٥ نساءُ الرجال مَفصولاتٌ عن أزواجِهِنّ بالموت، وهذِهِ العَروسُ اختَلَطَت مَعَ حَبيبِها بالمَوت،

٧٦ ماتَ على الصّليب وأعطى جَسَدَهُ للمَجيدة، وها إنّها تأكُله وتَتناوَلُهُ كُلَّ يوم مِن مائدَتِهِ،

٧٧ ثَلَمَ لَها جَنبَهُ[15]، ومَزَجَ كأسَهُ بدَمِهِ الغافر وأعطاهُ لِتَشرب وتَنسى أصنامَها الكَثيرة. (الميمر ٧٩)[16]

أيضًا، عند نَرساي، مُعاصر مار يعقوب السّروجي، نَجد ذات الأسلوب من حيث الأفكار والكلمات. كما نَجد ذاتَ الموضوع في النّصوص الليتورجيّة أيضًا، كما في مِدراش (ܐܝܟ ܕܢܘܚܐ) من صَلاةِ ليلِ الأحد الثّاني والتّاسع بعدَ الفنطيقوسطي (فنقيث الموصل، ج٦، ص ٣٣٤ عامود ١ وج٧، ص ١٠٩ عامود ١).

" أيُّ خَتنٍ ماتَ لأجلِ العَروس ما عدا رَبّنا؟ وأيّةُ عَروسٍ بَحَثَت لِتكونَ للقَتيل ما عدا واحِدة هي الكَنيسة الّتي خُطِبَت للصَليب؟ ومَنْ ألقى دَمَهُ لِخَطيبَتِه في الكتاب ما عدا الوَحيد الّذي مِن الآب، الّذي بموته كَتَبَ وخَتَمَ مَهرَ بنتِ النّور؟ أينَ وَجدتُم وَليمةً فيها جُعِلَ الخَتَن طَعامًا للمَدعوينَ؟ عِوضَ مَلذاتِ الخَمر الكَثيرة سَكَبَ الكأس الّتي مِن

١٤- المرجع السابق، ص ٦٦٣.

١٥ - يوحنا ٣٤/١٩.

١٦- المرجع السابق، ص ٢٩٠-٢٩١.

جَنبه لِيَتَنعّم بها أقرباؤه؛ إلا في الكَنيسة حيثُ فيها جَعلَ المسيح طَعامًا. فتَفرَح العَروس وتَحتَضنُه وتَتناوَل مِن جَسَدِه وتوزِّع لاحبائِها".

أو هذا المقطع من مِدراش (ܡܕܪܫܐ ܕܚܡܫܐ) من صلاة ليل الأحد الرابع بعد الصّليب (فنقيث الموصل، ج٧، ص ٢٥٩ عامود ١): "مَنْ وَجد خَتنًا مَذبوحا في عُرسه أو عَروسًا تَرقصُ في ذَبحِ خَطيبها؟ لقد أعطى جَسدَهُ طَعامًا لَها وكأسَ دَمِهِ مَزجَتها لأحبائِها وحَمَلَت واحتَفَلَت بصَليبه، وبهِ وَسَمَت أولادها المُخلّصين. مُبارك مَن خَلّصها بقيامَتِهِ".

الخاتمة

تَمحورَت هذهِ المقالة على التّقارُب بين ثلاثَة مواضيع مُختَلِفة تَمامًا: التّفسير التيبولوجي من يوحنا ٣٤/١٩ (مع ايحاءته الافخارستية)؛ صورَة المسيح العَريس مَعَ عَروسِه؛ مَوضوع الإفخارستيا كحفلَةِ الزّفاف.

قد تُصبح مَواضيع الزّواج والمَوت في العَديد مِن التّقاليد الشّعبية في مُختَلَف الثّقافات مُرتَبِطة بقوّة مع بَعضِها. وهذا رُبّما ما حَدى بيعقوب السّروجي أو نرساي أو كُتّاب النّصوص الليتورجيّة المَجهولين أن يَعتَمِدوا على هذِه التّقاليد الشّعبيّة لأيصال تَفسيرِهِم الشّعري الجذّاب لِموت المَسيح.

عادَةً هذِهِ النّصوص الشّعبيّة تَضَع تَرابُط بين رَثاء المتزوّج الّذي يَترك المَنزل مع رَثاء الجنازة؛ وغالبًا ما يوصَف العالم السُّفلي كبديل عن غُرفَة الزّفاف (ܚܕܪ- الخدر) في حال توفيَت فَتاة وهي عَذراء. لكن في شَعر السّروجي أو الشّعر الليتورجيّ السّابق ذِكرُهُ يَحدُث العَكس تَمامًا. في المقام الأوّل، العَريس (ܡܫܝܚܐ)، وليس العَروس (ܟܢܫܬܐ)، هو مَركَز الاهتمام في هذِهِ النّصوص السُّريانيّة. من ثَمَّ عِوض أغاني الرّثاء بسبب مَوت الخَتَن، تَفرَح العَروس بوليمَةِ زَفافِها مَعَ حَبيبها. كما أنّ القَبر يَتَحوّل إلى غُرفَةِ الزّفاف (الخدر).

نَجَحَ الشُّعراء السُّريان في تَحويل المَعنى الأدبي للتناقُضات الموجودة في الحياة (موت وزواج، قَبر وخِدر...) إلى مَعنى إيمانيّ عَميق يَكشِف حَقيقَة الخَلاص الّتي تمّت بربِّنا يَسوع المسيح، العَريس السّماوي، الّذي قَبَلَ أن يَموتَ عَن حَبيبَتِه (الكنيسة)، وليس هذا فقط بل أن يَستَمِرَ حُبَّهُ لَها إلى الأبد من خِلال حضورِهِ الحَقيقي في كَنيسَتِه بصورٍ مُختَلِفة كمثلِ الأسرار (خاصّة العماد والافخارستيا).

المصادر:

S. Brock, The Wedding Feast of Blood on Golgotha" an unusual aspect of John 19:34 in Syriac tradition, *The Harp*, Vol. VI, No. 2, November 1993, pp 121-134.

R. Murray, Symbols of Church and kingdom- a Study in the early Syriac tradition, T&T Clark, Uk, 2006.

القولو "صوتة" المسيح الخلاصيّ في النّصوص الليتورجيّة السّريانيّة

الاب عماد عناي

مقدّمة عن المفهوم الكتابيّ للكلمة والصّوت الإلهي

خَلَق الله الكَون مِن خِلال الكَلِمة (تك١/١- ٣/٢) لذلك فقَول الله مُتّصل بإرادَتِه بحيث أنّ كلمتَه لها فِعلها "كلِمَةٌ حيّة وفاعِلة" ليس مِثل الإنسان الّذي يُعبِّر عن ذاتِه من خِلال الكلِمة فلا يبقى أسيرَ ذاتِه، بل يَنطَلِق إلى القَريب الّذي يَتواصَل مَعَهُ عِبرَ اللُّغة المَحكيّة. فالكلِمة هُنا لها فعالية ويُقصَد هُنا أنّ الكلِمة هو شَخص وبنَفس الإمكانيّة أن يُعبّر عن ذاتِه ويكون نورًا يُنيرُ دَربَ الآخرين، كما الكلِمة (اللوغس) في أنجيل يوحنا (يو١/١-١٤) تِلكَ "الكلِمة الّتي قالَها الآب مَرّةً واحِدة" كما يَقول القدّيس يوحنّا للصليب الكرملي.

أولا: إلهُنا يَتكلّم

إنّ الخُبرة الّتي يُعطيها الكِتاب المُقدّس تؤكّد لنا أنّ إلهَنا يَتَكَلّم، فمِن خِلال خُبرَة الآباء خصوصًا مَعَ إبراهيم، الّذي تَكلّمَ الله معهُ. وأيضًا في سفر المزامير نَجد الإنسان يَصرُخ إلى الله بصَوتِ أنينِه وشَكواه وما يَحوي من لَهفات الرّجاء ومُختَلَف المواقف التي يَتَعامَل مَعها: فمرّةً يُنشِد مَعَ الجماعة التّهليل وأناشيد تَمجيد وتَعظيم للإله (مز ١٣٦، ١٤٨، ١٥٠). وأُخرى يَسأل الله انتشالَه من أبناءِ السّوء أو الحُزن والغَم وأنْ يَستَجيبَ صَلاته (مز ٣، ٥، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣). ومرّةً يَرفع تَسابيح الحَمد والشُّكر (مز ٩، ٧٥).

ثانيًا: "النبوءة" نَقل كلِمَة الله

إنّ المفهوم العام للنبوءة هو إعطاء الرّجاء للشعب الرّازح تَحتَ المظالم الاجتماعيّة إلى جانب مَنحِهِ الرّجاء بمُلك مَسيحٍ مُخلّص. ففي بداية كُلّ سفر من أسفار بعض الأنبياء، نَرى أنّه يَفتَتِح بعبارة "كانَت كلِمةُ الله" فالنّبي هو ذلك الّذي يُصلّي ويَتَكَلّم مع الله، ويَتَلَقّى الوحي وبعدَ قِراءَةٍ إيمانيّة للأحداث، يُكيّف كَلِمة الله من تَعقيداتِها الّتي لا يُمكن أن يَتَحَمّلها عَقلُ أي إنسان إلى كلِمَةٍ مَفهومة. صَمْتُ الله أحيانًا قاتلٌ للإنسان الّذي يَبحَث عن أهمِ الأجوبة، ولا يَلقاها لا في الشّريعة ولا في القوانين الوضعيّة أو الواقع المفروض، ابتداءًا من المَظالم الاجتماعيّة حتّى انتِهاك الحقوق والقُدسيّات، لِذلِك نَرى النّبي يَصرُخ "شُقَّ السماوات وانزِل" فحتّى الكلِمة وصوته أصبحا قليلين؟ لكنّ الإنسان والشّعب بأكملِهِ يُنادون لِحضور الله بينَ الشّعب الّذي يَملأ القَلب والعيون من بهائه المُمَجّد.

ثالثًا: القولو "صَوت" المسيح في الاناجيل

صَوت يَسوع المسيح خلال حياتِه الأرضيّة كان له تأثيرٌ قوي وبالغ سواءً عِند التّعليم أو عِند الشِّفاء أو الدّعوة. عَلّمَ الجموع كيف يَقتنون مَلكوت الله الأبدي مِن خِلال التّوبة وتَرْك ما هو ثانوي وغير أساسي (مت ٢٣/٤)، مِن خِلال صَوتِه دَعى الصّيادين إلى تَنفيذ كَلِمَتِه بعدَ مُضيّ اللّيل كُلّه بدون صَيد، وبعدَ الصّيد دَعاهُم إلى اتباعه، ليُصبحوا تلاميذه (لو ١/٥-١١، مر ١٧/١، مت ١٩/٤،) وبصوتِه الإلهي الّذي كان يَخترِق قلوب الجموع فيأتي المُشرّع الإلهي على الجَبل أو السّهل ليُعطي شَرعَة الملكوت أي التّطويبات (مت ٥-٧، لو ٢٠/٦-٢٣). ومِن خلال صَوتِه الإلهيّ يُبشِّر المساكين. صَوت سُلطانِه أقوى مِن صُراخ الأرواح النّجِسة وأوامرهم (مر ٢٤/١-٢٨، ٣٤؛ ١/٥-٢٠). وتعاليمُه السّامية كَمَلَت وتَمّت بشَخصِه الّذي عَلّمها وعمِل بها . في المُحاكمة أمام هيرودس وبيلاطس يَحبس يَسوع المسيح صوتَه عَنهُم، فهو الملك

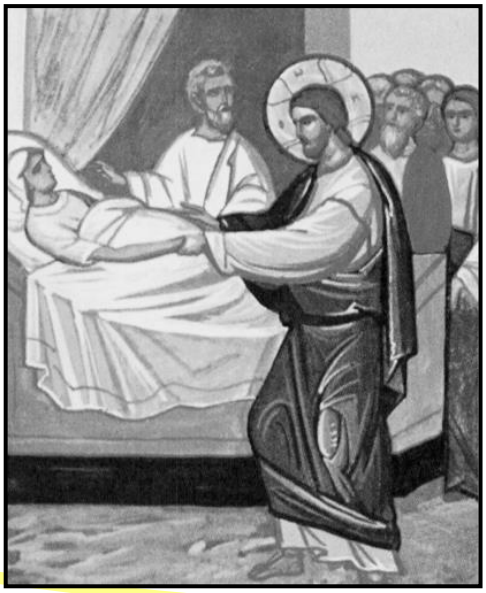

الجبّار الّذي يأمر فيُطاع لِكلمَتِه وصوتِه، ويدعو ما هو غير موجود إلى الوجود.

رابعًا: صُراخ المَسيح صَوتٌ وخلاص

يَسوع المَصلوب قد أذاب قلوبَ مَنْ حَولِه، مِن هولِ ما قَد جَرى لَهُ عَلى يَد الإنسان، لكن الطبيعة هي الّتي تفاعَلَت مَعَ صَوت المَسيح، ومِن بَهاء جَمالِه خَجَلَت الشّمس واكتَسَت حلّة سوداء والقَمَر لَم يَعُد يُعطي ضَوءه، إذ يقول الانجيلي لوقا: "ونَحوَ السَّاعَةِ الثَّالِثة صَرَخَ يسوعُ صَرخَةً شديدةً" (مت ٤٦/٢٧) صَرخَةً تَحمِل في طياتِها بُعدَين إيجابي وسلبي، الأوّل: تَحمل البشريّة المُتألِّمة مَعَهُ، الى الله الآب، الثاني: عِتاب ، والبَعض يَعتبرون أنّ الله تَرَكَهُم فيُشارِكهُم هَمّهم ومأساتِهم. وتِكرارُ تِلكَ الصّرخة دلالةٌ على أنّ للصرخة أبعادًا اسكاتولوجيّة نُهيوية، وقد بدأت تِلكَ الأبعاد مَع مَوت وقيامَة رَبّنا يَسوع على الصّليب، والانجيليّ متى يُبيّن تلك الأبعاد بدلالةٍ أكثر وضوحًا، إذ يقول: "وإذا حِجابُ المَقدِسِ قَدِ انشَقَّ شَطْرَيْنِ مِنَ الأعلى إلى الأَسفَل، وزُلزِلَتِ الأَرضُ وتَصَدَّعَتِ الصُّخور، وتَفَتَّحَتِ القُبور، فقامَ كثيرٌ مِن أَجسادِ القِدِّيسينَ الرَّاقِدين، وخرَجوا مِنَ القُبورِ بعدَ قِيامتِه، فدَخَلوا المدينةَ المُقَدَّسة وتَراءَوا لأُناسٍ كثيرين" (لو ٤٦/٢٣، مت ٥١/٢٧-٥٣، مر ٣٣/١٥-٤١). فالصّرخة الّتي أطلَقها يسوع المصلوب هي ذات بعد زمكانيّ اختَرَقَت التّاريخَ بأسرِه، مُشاركًا صلاةَ المُزمّر القائل: "إلَهي إلَهي، لِماذا تَركتَني؟ هَيهاتِ أَن تُخَلِّصَني كَلِماتُ زَئيري!" (مز ٢/٢٢) فأعتبَرَ مَن هُم حَولَهُ، أنّه يُنادي إيليا النّبي، لكن صَرخَتَه كانت ذاتَ

مَعنى جلي يُريد مُشارَكة أبائهِ الّذين تَوكّلوا على الله ولم يُخزيهم (مز ٢٢/٥-٦)، فدَخَل صوتُ صُراخِهِ إلى الماضي السّحيق ليُحقّق الخلاص الشّامل ويَمتدُ إلى الأمام.

تَمتاز الليتورجيّة السُّريانيّة الأنطاكيّة عن مَثيلاتِها مِن الليتورجيّات، بأمتلاكِها أحد العناصر المهمّة الّذي هو "القولو" والّذي يَتَغَيّر لحنُه مع الأحاد والأزمنة الليتورجيّة. لَسنا هُنا بصَدد عَمل دِراسةٍ على مُميزات كُل "ملكا" من الناحية الليتورجيّة واستعمالاتِهِ الطّقسيّة وحسبَ الزّمن، لكن بصدد طَرحٍ لاهوتيّ عن الصّوت الخلاصيّ الّذي يُمثّل شَخصَ رَبّنا يَسوع المسيح في بَعضِ النّصوص من الليتورجيّة السُّريانيّة.

خامسًا: القولو في صلوات الاشحيم اليومية

هُناك مُفارَقة لاهوتيّة جَميلة لِنَفس الصّوت في العهد القديم والعهد الجديد في صلاة السّاعة التاسعة من يوم الاثنين "ܒܠܥܘܩܒܟ ܒܠܘܡ ܚܥܘܐ" إذ ينص على: "ܚܢ ܡܢ ܟܘܡ ܡܠܐ ܘܡܢܬܐ ❖ ܘܟܟܦܐ ܠܡܥܡܪ ❖ ܐܠܐ ܠܫܬܐ ܘܡܢܐ ܠܐ ܟܢ ❖ ܚܒܡܐ ܟܘܪܘ ❖ ܦܡ ܡܢ ܡܢܐ ܡܐ ܟܘܡܐ ❖ ܘܐܢܐ ܐܡ ܡܫܐ ❖ ܘܠܐܦܐ ❖ ܠܒܬܐ ܟܢܐܡܐ: نسي آدم الصّوت الّذي قالَ لهُ إلى التُّراب تَعود. وجاءَه صَوتٌ آخر يقول: هلُمَّ إلى خارج مثل لعازر، أخرُج من القَبر وارتَفِع إلى العُلى، فهو ذا الوقت الذي به يَعود المطرودون إلى ميراثهم". جَميلٌ هو الصّوت الّذي أخرَجَ آدم لكي لا يَرث الخلود بالموت، فكأنّ الموت هو نَفيٌ ومَنفى لآدم ولبنيه، وهذا الصّوت جاءَ ليُعيد كُلّ المنفيّين إلى أرضِ النّعيم، فهذا الصّوت الحيّ ذو قوّةٍ وفعاليّة لإعادَة الحياة لِشَخصِ لَعازر الّذي تَعفّن في القَبر، فالمَيت لم يَرى الرّبّ يَسوع عِندما أمرَهُ فهذا الصّوت يَحمل أمرَ شَخصِه بقيامَةِ لعازر من وهدَةِ الموت.

في طِلبة مار بالاي "ܚܘܡܐ ܚܫܝܡܐ" يَرِد مَقطَع جَميل يَحملُ بُعدًا أواخريًا اسكاتوجيًا هذا نصّه: "ܥܘܕܝܐ ܟܠܥܡܫܐ ❖ ܘܡܢ ܟܬܒ ܠܡܥܡܪ ❖ ܘܡܢ ܠܐ ܫܡܥ ❖ ܘܐܢܢ ܠܡܥܡܪ ❖ ܟܝ ܡܢ ܢܩܥܐ. ܢܡܟ ܥܡܢܐ ❖ ܚܢ ܡܢ ܐܠܐ ❖ ܘܡܢ ܡܢ ܐܠܐ ❖ ܘܡܢܡ ܡܬܐ: المَجدُ للمَسيح الّذي يَدعو الأموات. فيَقومونَ دونَ فسادٍ ويُرتّلونَ المَجدَ. تَصرُخ النّفوس والأجساد مَعًا، مُبارَكٌ الّذي أتى وسيأتي ويَبعَث الأموات". في هذا المَقطع نَرى صورَة القيامة الّتي تَجمَع النّفوس مَعَ الأجساد بدعوةٍ مِن المسيح الربّ والإله الّذي يأمرها بقوّةِ صَوتِه، يُقابله صوتُ إنشادِ وتَمجيدِ الموتى القائمين على وقعِ صَوتِ المسيح المُمجّد، واعترافِها بمجيئِه لِبَعثِ الأموات.

إنّ صلاتَنا هي امتِدادٌ لإيمان آبائنا ودفاعِهِم عن العَقيدة الصّحيحة، وهي تأمّل آبائي بنصوصٍ إنجيليّة اسكاتولوجيّة. ففي صلاة مَساء الثلاثاء "ܒܥܘܬܗ ܒܠܟܐ ܚܥܘܐ" يرد نصٌّ جَميل جدًا عن القيامة، حيثُ الرّاقِدونَ يَقومونَ على وَقعِ صَوتِ المسيح. والنّص يَرِد كما يأتي: "ܡܠܐ ܘܡܐ ܟܠܐ ܘܡܢ ܡܢܗ ܘܬܟܟܬ ܚܬܡܐ ❖ ܢܡܐ ܘܢܩܡ ܡܢ ܥܣܣܐ ܟܥܩܟ ܚܥܣܐ ❖ ܘܠܟܟܡ ܐܡܟ ܠܐ ❖ ܘܢܡܟ ܠܐܘܟ ܟ ܡܘܡ

ܒܩܝܡܬܗ ܕܐܕܡ ❖: إنّ الصّوت الّذي دوى على قِمّةِ الصّليب فارتَجّت له البرايا، يَــدعو الرّاقــدينَ بالمسيح ويُقيمهم مِن التُراب، فيَتّشِحون للقاء ابــنِ سَيّدِهم في مَجيئِــهِ الثــاني". هذا المقطع يُشابه النّصــوص الانجيليّــة الّــتي تَــروي قصّــة آلام ومَوت يَسوع الخلاصيّ على الصّليب. فالصّوت الّــذي دوّى علــى الصّــليب وأرعَــبَ المخلوقــات كُلَّهــا، هــو ذاتــه الــذي سيَصرُخ ويُنــادي الّــذين رَقَــدَوا علــى رجائِــه، ويُقــيمهُم بقــوّةٍ فيَتَشــحونَ حُلّــةَ المَجــد ويَلتقــونَ بســيّد الدّينونــة الأخيــرة.

أما ﭬ صلاة المساء ليوم الخميس يَرد المقطع الآتــي: "ܐܡܪ ܐܕܡ ܣܓܕܬ ܠܗܘ ܩܠܐ ❖ ܕܩܪܐ ܠܝ ܟܕ ܒܝܬ ܐܝܠܢܐ ܘܙܥܬ ܡܢܗ ❖ ܗܘ ܢܩܪܐ ܠܝ ܘܠܒܢܝ ܒܩܝܡܬܐ ❖ ܘܢܩܝܡܢܝ ܡܢ ܝܡܝܢܐ ܕܐܠܗܘܬܗ ❖: قال آدم أسْجُدُ لِذلِك الصّوت الّذي دَعاني، وأنا بينَ الأشجار وقد ارتَعتُ مِنــه وهــو سيدعوني مَعَ أبنائي في القيامة، ويُقيمني عن يَمــين ألوهيّتـــــه". إنَّ الشّــرح الكِتــابي وتَفسير هــذا المَقطَع جَميل بحيث أنّ الصّوت الّذي نادى آدم ﭬ الفردوس المفقود وقد أرعبَهُ بسبب المعصيّة الّتي عَصى بها آدم الله فخجَل مِنه، هو نفسُهُ الّذي سيدعو آدم وأبناءَه ﭬ يوم البَعث المجيد.

تمتَــد هــذهِ المقــاطع حتّــى صــلاة الليــل ليوم الأحد ﭬ القومة الأولى "ܨܠܘܬܐ ܕܠܠܝܐ ܕܚܕ ܒܫܒܐ ❖ ܩܘܡܐ ܩܕܡܝܐ" يَــرد مَقطــع يُصــوِّر مَشــهَد الطّبيعــة وتأثيرهــا بصَــوتِ المُخلِّــص المائِت علــى الصّــليب: "ܒܩܠܗ ܐܬܦܠܓܘ ܫܘܥܐ ܘܩܡܘ ܡܝ̈ܬܐ ❖ ܘܐܫܬܒܚܬܐ ܐܡܪܘ ܠܗ ❖ ܘܥܠ ܬܪܥܐ ܕܩܒܪܐ ❖ ܡܢ ܦܓܪܗ ܕܟܝܐ ❖ ܦܚ ܚܠܠ ܠܗ ܠܡܪܐ ܗ ܘ ܗ ܫܘܒܚܐ ܠܢܘܚܡܗ: على صَوتِه تَشقّقَت الصّخور وقامَ الموتى، وأنشَدوا لهُ التّسبيح، وعِندَ مَدخَل القَبر، فاحَت رائِحَةُ الحياة مِن جَسَدِهِ الطّاهر هليلويــا فالمَجــدُ لانبعاثِــه".

المقاطع الّتي تُشابه هذا المَقطَع كَثيرة. فمِن خــلالِ صَــوتِ ذلِــك السّــاهر الّــذي يــوقِظ النــائمين أو الرّاقــدين. تــأتي مَقــاطع كــثيرة تُشــبهها تصــوّر بُعــدين: أولاً؛ آدم الّــذي فَقَــدَ الفــردوس وأصــبَح ضــالاً مثــلَ الابــن الضــال، ارتَفَــعَ علــى الصّــليب لكــي يُعيــده، نَــزَل إلى الجَحيم وقال لَهُ "هلُمّ يا صورتي ومِثالي، خَرجتُ في إثرِكَ أطلُبُكَ لأنّك كُنتَ ضـــالاً". فهو الصّوت الّذي سيُقيم آباءنا وإخوتَنا الرّاقدين ويقول لهم: "هَلمُّوا يا مُبارَكي أبي رِثوا الملكوت والحيــاةَ الدّائِمـــة...". فيجمعهُم مِثلما يَجمَع الرّاعي الخِــراف ﭬ حَضــيرَتِه، وتَكــونُ حِصــتُهم الفَــرَح والنّعيم مَعَ الأبرار الّذين انتَصَروا والشُّهداء الّذين تَكلّلوا. إذ أنّه الملك الذي صَعِد على عَــرش الصّــليب وشَــرعَ يــوقظ المســبيّة الّــتي كانــت غارقــة ﭬ النــوم فــدعا المــوتى وقــال: "اخرجوا مِن القبور وعاينوا خلاصي فبشارَتِي هــي أني مُتُّ لِتحيوا أنتم". هذهِ الصّلوات وغيرها، هي صــورٌ كِتابيّــة عــن الدينونــة وافتقــادِ المَلِــك الدّيان، والقائم من بين الأموات لِجَبلَتِه آدم، إذ

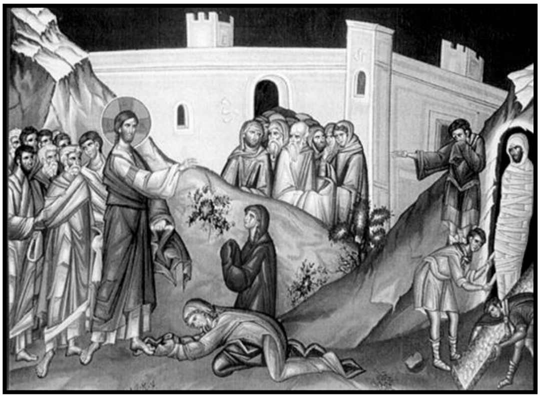

هي ذاتها صورُ الرّاعي الّذي يَفصِل الخِراف عن الجداء (مت ٢٥/٣١- ٤٦). وصورةُ الابن الّذي تاهَ مع ما حمِلَه، وذَهَبَ الابن لكي يَردّه الى مَقامه (لو ١٥/١١-٣٢). وهي صورة الله الّذي يَبحَث عن آدم الّذي خافَ واختبأ من صوتِ الله، فانحدر الابن لكي يُعيد ذاك الّذي كَسَرَ وصيّة الله الخالق والمُدبّر (تك ٣/٨- ١١). ولذلك الليتورجيا تَصيغ النصوص الكتابيّة وتَتكامَل لِتُعطي المَعنى وتُفسّر النّصوص بصورةٍ أشمَل وأجمَل.

سادسًا: القولو في صلوات الدّفنة والجناز

إنّ الموت في مَفهوم المسيحيّة يُشبه الرُّقاد، لكنَّ هذا الرّاقد لا يمكن أنْ يَستَيقظ إلاّ بصوتٍ إلهي من ذلك القائم من بين الأموات ويُدخِلُه إلى المَجد السّماوي: ففي إحدى المَقاطع الّتي تُقال في صلوات دَفنَة الرّجال والنِّساء ينصّ على مايأتي: "ﻫﻮ ﻣﻠﻚ ﻭﻣﺨﻠﺼﻨﺎ ﺣﻨﺎﻩ ﻭﻣﺎﻧﻊ ❖ ﻫﻮ ﻧﻬﺎﺭ ﻣﻨﻴﺮ ﺣﻜﻴﻢ ﻣﻊ ﻋﻠﻤﻪ ﻭﻣﻠﻚ ﻣﻠﻮﻛﻪ ❖ ﻣﻠﻚ ﻭﻣﺴﻠﻂ ﻭﻫﻮ ﻣﻦ ﺣﺎﻓﻈﻮﻩ ❖ ﻣﻠﻚ ﻣﻌﻤﻢ ﻣﻌﻤﻠﻚ ﻭﻳﺤﻔﻆ ﻣﻦ ﻫﻮ ❖ ﻣﻠﻚ ﻣﺤﻨﻦ ﺣﻨﺎﻥ ﻣﻊ ﻣﻦ ﻳﺨﺎﻓﻮﻩ ﻭﻳﻌﻤﻠﻮﺍ: ذلكَ الصّوت الّذي دَعا لَعازر، والصّبية ابنَة يوأرش، هو يُنادي ويُقيم أمواتَنا من سُباتِ المَوت وغَرَقِهِ. رُشَّ رَبّي نَدى القيامة على وجوهِهم، لكي لا يَقونَ في الجحيم لأنَّ وجهكَ مُصوَّرٌ فيهم. فليَستيقضوا بإشارتِك مِن القبور، وليُرنِّموا التّمجيد لِرحمةِ نِعمَتِكَ". إنّ صُراخَ الرّبّ يَسوع "لهُ المَجد" وقوله للعازر (يو ١١/٤٣). ولابنة يوأرش (لو ٨/٥٤). يدلّ على أنّ للمسيح سُلطانًا على كُلِّ الأجساد الّتي نالَ مِنها الفَساد لكي تَقومَ بقوّةِ كلِمَتِه بلا فساد وتَرِثَ الملكوت الأبدي. "فالمسيح هو هو أمس واليوم وإلى الابد" (عب ١٣/٨) إنّ كلِمَة يَسوع التاريخيّ وصوتَهُ على الأرض هو المسيح المُمَجّد الّذي سيُنهِض الرّاقدين بإشارةٍ مِنهُ.

إنّ صلواتِ الدّفنة لا تَخلو من وَصفِ القيامة على وَقعِ الصّوت الحيّ ليسوع الابن الأزلي. فالشباب الّذين نَزَلوا القَبر وهُم لابسونَ الأكاليل على روؤسِهم، يقومون على صَوتِه الحنّان. وفي صلوات دَفنة الشّابات البتولات، تَقول النّفس لِخالقِها أنّها تأدبت بأوجاعِ الجَسَد كما حَسُن لِمشيئتِه، وتَمّت الايام المليئة شرورًا في هذا العالم، يؤهّل هذهِ النّفس بواسطةِ صَوتِه الحيّ فتَقوم وتَشكرُهُ. كما تَصف دَفنة الشمامسة القيامة التشبيه الوارد في إقامة يسوع لعازر من القبر بذلك الصّوت الّذي أقامَهُ يَدعو الموتى في القيامة ويُلبسهُم حُلّة المَجد، ويقومون فيشكرونَهُ على نِعمَتِهِ.

إن هذهِ الصّلوات مَليئة بالرّجاء لقيامَة النّفس أو الموتى ومشاركتِها لِمُعلِّمِها الفادي. فمن كان يَعلم أنّ هذِه الأنفُس هل ستبقى راقِدة؟ فصورةُ الخلقِ والتّجديد حاضِرة في صَوتِ رَبِّنا يَسوع المسيح الّذي يواصل فِعلَ الخلق، وبفدائِهِ على الصّليب أطاحَ بسُلطانِ الموت الّذي يَرقدُ فيه الأنفُس، وكأن صوتهُ حاضِر بشَخصِهِ الرّهيب الّذي سَيُجدِّد هذهِ

الأجساد ويُعيدُ لها الحياة لِتَعيش الحياةَ الأبديّة التي لا تَنقضي.

سابعًا: استنتاجات

- يَحمِل القولو الخلاصيّ لِشَخص المسيح امتِداد تاريخي منذُ وطِئ على الأرض علَّم وصَنع المُعجزات ووَصل قوّته نَحو حاضرٍ مليءٍ بقوّة شبابه وهو عَلى الصّليب
- مُقارَنَة وتَشبيه في صَوت المسيح يَبدأ مع استشهاد كتابيّ من العهد القديم أو الجديد يَشمل إحدى الشّخصيات وبصورةٍ أساسيّة آدم الّذي رَقَدَ ومَعَهُ الموتى، وفي العهد الجديد الّذي أقامَ لَعازر وبنت يوأرش. يَمتد الى حاضرنا لا بل إلى الرّاقدينَ الّذين سَيقومون على وَقعِ صَوتِه الحيّ مِثلما أفاقَ آدم في الجَحيم، ولعازَر مِن القَبر ليَلبسوا حُلّةَ المَجد ويُمجِّدوا الابن على انتِصارِه على الموت.
- البُعد الاسكاتولوجي: صَوت المسيح لَم يَخبو أو يكن لهُ نهاية بل إنّه يواصل عَمَل الخَلق والفِداء بإنتصارِه على فَساد القَبر وسيُشارِك إخوتَهُ الرّاقدين في المَجد فيُرتِّلون لهُ التّسبيح، وهذا دليلٌ على أنّ المسيح شَخص حيّ إلى الأبد يَتَمَيّز ويَتمايَز عن بقيّة الأنبياء برُمّتِهم.
- إنّ الليتورجيا هي مَعينٌ حَسنٌ جِدًا في سَبيل شَرح النّصوص الكتابيّة. مِن خِلالِها تَتَكامَل الصّور الكتابيّة، ويَتَبَيّن وضوحها أكثر مِن خِلال التّواصُل والتّكامُل بين العَهد القديم والعهد الجديد من خِلال شَخص رَبِّنا يَسوع المسيح.

خاتمة

القدّيسون والشُّهداء، جوق الرُّسل والمُعتَرِفون يُسبِّحون بأصواتِهم بلا انقطاع. وأجواق الملائِكة المُتيقظون في العُلى بِكُلِّ رُتَبِهم وطُغماتِهم يَهتِفونَ: "قدوسٌ قدوّس قدوسٌ" بلا تَعب أو هدوء. الاطفال والشُّبان والعذارى يُرتِّلون ويَصيحون "أوشعنا لابن داوُد" يُنشِد ويُزمِّر بني آدم ويُقدِّمونَ السّجود لوقارِه، الكنيسة وأبناءَها يُنشِدونَ المَجدَ للمسيح. الرّاقِدون في الجحيم يَقومون إثرَ صَوتِه الرّهيب، لِذلِكَ انحَنَت عَناصر الطّبيعة لِصوتِه، أمّا هذِهِ الأخيرة فقَد انشقّت وحَزنَت مِن رَهبَةِ صَوتِه المُهيب. كُلّ هذهِ الصّور الّتي تُكلِّمنا عن مَدى قوّة وفعالية "قولو" صَوت رَبنا وإلهنا. هذا يُبيّن مَدى فرادَة إلهنا عن الآلهة الصّماء الّتي لا تَتَكَلّم. فكُلّ جَماعة في السّماء أو على الأرض أو تَحتَ الأرض يُنشِدونَ بصَوتِهم الخاصّ إلى ذلِكَ الّذي بصوتِه هو "كلمة وفعل"، فبذلِكَ الصّوت تَتَجَدّد الحياة ويَقوم الموتى من رُقادِهم، "فيا رَبّ لا تَحرِمنا مِن صوتِكَ الّذي يُحي كيانَنا المائت. لَكَ المَجدُ إلى الأبد" آمين.

المصادر والمراجع

الكتاب المقدس، دار المشرق– بيروت، ١٩٨٩.

الاشحيم، سرياني– عربي، عنكاوا– اربيل، ٢٠١٦.

الجنازات، دير يسوع الفادي، قره قوش–العراق، ٢٠١٣.

معجم اللاهوت الكاثوليكي، دار المشرق–بيروت، ١٩٨٦.

رُتبَة تَكريس الكنيسة في الطَّقس الماروني

الخوري دانيال زغيب

مقدَّمة

إنَّ رُتبة تَكريس الكنيسة والمَذبَح هي من أهمّ الرُّتب الكنسيَّة في اللِّيتورجيَّات الشَّرقيَّة والغربيَّة، على حدٍّ سواء؛ وهي من أطول الرُّتب وأغناها بالمضامين اللاهوتيَّة واللِّيتورجيَّة. ويُحتفَل بتكريس الكنائس بأُبَّهةٍ وإجلالٍ كبيرَين، وذلك منذ القرون المسيحيّة الأولى. ولقد عَمَدَت الكنائس، شرقًا وغربًا، إلى طباعة هذه الرُّتبة. فصدَرت الرُّتبة اللاتينيَّة في العام ١٥٩٦، ثمّ أُصلِحَت مرَّاتٍ عديدة. وطُبِعَتْ رتبة تدشين الكنيسة الجديدة في الإفخولوجيّ البيزنطيّ الكبير، في العام ١٩٥٥. وأصدر البطريرك رحمانيّ الرُّتبة السُّريانيَّة الكاثوليكيَّة، عن دير الشَّرفة، في العام ١٩٥٠. وصَدَرت الرُّتبة الكلدانيَّة، بروما، في العام ١٩٥٧. وفي العام ٢٠٠٩، صَدرَتْ الرُّتبة السُّريانيَّة الأُرثوذكسيَّة المُصلَحَة. أمَّا الرُّتبة المارونيَّة فما زالَتْ مخطوطةً ومحفوظةً في المخطوطات، ولم تعرف نور الطِّباعة، ولم نجد مقالاً واحدًا يتطرَّق إليها[١]. ومن الملفت أنَّ الطَّقس الماروني هو الطَّقس الوحيد بين

الطُّقوس الأخرى الَّذي يقدِّم رُتبتَين طقسيَّتَين مستقلَّتَين الواحدة عن الأخرى، في غالبيَّة مخطوطات كتاب التَّكريسات[٢]؛ وهما: رتبة تكريس الكنيسة ورتبة رسْم المذبح أي تكريسه[٣]. لذا، درسنا هاتَين الرُّتبتَين دراسةً لاهوتيَّةً وليتورجيَّةً استنادًا إلى إصلاح البطريرك إسطفان الدُّويهي لهما[٤]؛ هذا الإصلاح المحفوظ في **مخطوط بكركي ٤**. وها نحن نقدِّم، في هذا المقال، بعض ما توصَّلنا إليه من نتائج. وسوف نتطرَّق إلى رتبة تكريس الكنيسة فقط، من دون رتبة تكريس المذبح، سالكين طرقًا ثلاثة. يقودنا الطَّريق الأوَّل إلى لمحةٍ سريعةٍ في تكريس الكنائس في القرون الأولى. ويعرِّفنا الطَّريق الثَّاني بما توردهُ الوثائق الكنسيَّة المارونيَّة عن تكريس الكنائس.

---

(١) راجع بطرس ديب، **دراسةٌ في اللِّيتورجيَّا المارونيَّة**، ترجمها عن الفرنسيَّة وأنجز ملاحقها وفهارسها دانيال زغيب، سلسلة "التُّراث اللِّيتورجيّ" - ٥، حراجل- لبنان، طبعةٌ أولى، ٢٠١٤، ص ٢٢٨-٢٣٠.

(٢) راجع، على سبيل المثال، **المخطوط الفاتيكانيّ السُّرياني (= ف.س.)**٣١٠، **رتبة تقديس البيعة**، الورقة ٤١أ-الورقة ٥٦ب؛ **رتبة رسْم المذبح**، الورقة ٥٦ب-الورقة٦٧أ؛ **وف. س. ٣١٢، رتبة تقديس البيعة**،الورقة ٢٧أ-الورقة ٣٤ب؛ **رتبة رسْم المذبح**، الورقة ٣٥أ-الورقة ٤١أ؛ **مخطوطات بكركي**، القسم الأوَّل، **بكركي رقم ٤** (عنه، راجع القسم الثَّالث من هذا المقال).

(٣) راجع دانيال زغيب، "رتبة تقديس الكنيسة ورتبة رسْم المذبح في اللِّيتورجيَّا المارونيَّة. قراءةٌ تمهيديَّة"، **مجلّة الإكليريكيَّة**، العدد ١٦ (نيسان ٢٠١٧) ٧٩-١٠٠.

(٤) راجع دانيال زغيب، **رُتبة تقديس البيعة ورتبة رَسْم المذبح بحسب إصلاح البطريرك إسطفان الدُّويهيّ. دراسةٌ لاهوتيَّةٌ وليتورجيَّة**، (أطروحةٌ لنيل الدكتورا في العلوم اللِّيتورجيَّة)، الكسْليك -لبنان، ٢٠١٦ (أطروحة غير منشورة).

ويوصلنا الطَّريق الثَّالث إلى تبيان أهمّ العناصر الطَّقسيَّة في رتبة تكريس الكنيسة في الطَّقس الماروني.

أولاً: تكريس الكنائس في القرون المسيحيَّة الأولى

وُلِدَت الجماعة المسيحيَّة الأولى في قلب الدِّيانة اليهوديَّة، لأنَّ يسوع قد اختار رُسُله وتلاميذه من المجتمع اليهوديّ. وبدأ الرُّسُل بشارتهم، من بعد العنصرة، في داخل مَجتَمعهم هذا، ومن قلب الهيكل في أورشليم حيث كانوا يتواجدون للصَّلاة[٥]. ولمَّا زاد اضطهاد كهنة اليهود والصَّدوقيِّين والمجلس لتلاميذ يسوع، تجنَّب هؤلاء أنْ يخالطوا اليهود في الهيكل والمجامع، وصاروا يفضِّلون الالتقاء في بيوتهم. وما زاد عمليَّة انفصال المسيحيِّين عن الهيكل، هو وعيهم الأكبر لألوهيَّة يسوع، وبخاصَّةٍ لأهمِّيَّة حدث قيامته من الأموات، ولمسؤوليَّة رؤساء الشَّعب والشُّيوخ عن صلْبه وقتله.

ومن ثمَّ، مع السَّلام الَّذي منحه قسطنطين للدِّيانة المسيحيَّة، بدأ بناء الكنائس الكبرى والبازيليكات ينمو بشكلٍ متزايد. وقد تحوَّلَت، في هذه الحقبة أيضًا، هياكل وثنيَّةٌ عديدةٌ إلى كنائس مسيحيَّة[٦]. وهذه الكنائس الَّتي بُنيَت ما بعد القرن الثَّالث، كانت بحاجةٍ إلى تكريسٍ لِتُمارِس فيها الجماعة شعائر العبادة. ولقد وُجِدَ فيها مذبحٌ لإقامة الاحتفال اللِّيتورجيّ. وهذا المذبح بحاجةٍ أيضًا إلى تكريس خاصٍّ به. بينما لا يشير علماء الآثار إلى أنَّ الاحتفال الَّذي كان يتمّ في بيوت المسيحيِّين، كان يجري على مذبح، إذ لم تحتوِ هذه البيوت على مذابح. كما أنَّ هذه البيوت لم تنَلْ أيّ تكريس. وذلك لسببَين رئيسيَّين: يكمن السَّبب الأوَّل في أنَّ القاعة في البيت، كانت تُستعمل لغاياتٍ عديدة، وليسَت مخصَّصةً بالاحتفال المسيحيّ فحسب. أمَّا السَّبب الثَّاني فهو أنَّ المسيحيِّين الأوَّلين كانوا حذرين من استخدام تعابير تُقرِّبهم من الوثنيِّين أو اليهود، كلفظتَي المذبح والهيكل[٧].

إنَّ عادة **تقديس** (*Dedicatio*) الهياكل والمدن والأشخاص، وحتَّى الحيوانات، للآلهة هي عادةٌ معروفةٌ ومعمولٌ بها في العصور الوثنيَّة القديمة؛ وتتَّصِف هذه العادةُ بطابعٍ دينيٍّ ورسميّ، إذ تتمُّ بموجبِ طقسٍ محدَّدٍ يُقيمُهُ الكهنة. وكان لعادة تقديس المدن والمعابد، لدى الرُّومان، طابعٌ احتفاليٌّ وعلَنيٌّ مميَّزٌ يتضمَّن الآتي: تطوافات، ونضْح بالماء المقدَّس، وصلواتٌ طويلةٌ وعديدة، وذبائح وأضحية. ويخضع المذبح، أيضًا، لتقديسٍ

(٥) على سبيل المثال، راجع أع ٢/٤٦؛ ٣/١، ٣، ١؛ ٤/١؛ ٥/١٢، ٢٠.

(٦) راجع «Eglise», *Origines et raison de la liturgiecatholiqueenforme de dictionnaire(Ed. 1844)*, Publiées par J.-P. MIGNE, Petit-Montrouge, Paris, 1844, (Réimpressionanastatique: Hachelle Livre-BnF-Gallica, sans lieu ni date), col. 513-531 (ici, col. 514-516).

(٧) راجع A.-M. ROGUET, «L'autel», *La Maison-Dieu*63, 4 (1960) 96-113 (ici, p. 97-98)

خاصٍ به يحتوي على نضْحٍ بالماء وحرْق البخور وتقدمة أضاحي حيوانيَّة[٨].

لدينا، من العالم السُّريانيّ، قصيدة ألَّفها بالاي († حوالى العام ٤٠٦) في مناسبة تقديس الكنيسة الجديدة الَّتي بُنِيَت في مدينة قنِّسرين، بالقرب من حلب. يصف بالاي، في هذه القصيدة، الكنيسة الجديدة: مذبحها وهيكلها وأروقتها، ويذكر الكاهن الَّذي ساهم في بنائها، ويشير إلى الاحتفال الإفخارستيّ الَّذي يحتفل به الكاهن؛ ولكنَّه لا يتطرَّق البتَّة إلى رتبة التَّقديس وعناصرها[٩].

أمَّا عن محتوى رُتبة تكريس الكنيسة فلا نملك أيَّ تفصيلٍ أو وصْف، ما عدا أنَّ الاحتفال كان يتمّ بإجلالٍ وعظمةٍ كبيرَين، وذلك بحسب الوصْف الَّذي قدَّمَهُ كلٌّ مِنَ أوسابيوس القيصريّ[١٠] والرَّحَّالة إيجيريا[١١].

فقد اتَّصَفَتْ رُتبة تقديس الكنائس، في القرون السَّبعة الأولى للمسيحيَّة، ببساطةٍ كبيرةٍ إذ كانت تتضمَّن العناصر[١٢] الآتية:

أ) إجتماع عددٍ كبيرٍ من الأساقفة، إذ يُلقون كلماتٍ ومواعظ وبعض الصَّلوات الخاصَّة بالمناسبة.

ب) كان الاحتفال بالإفخارستيَّا كافيًا لتقديس الكنيسة.

ت) في بادئ الأمر، لم يكن من الضَّروريّ وضْع ذخائر الشُّهداء في الكنيسة، وذلك لأنَّ غالبيَّة الكنائس كانت تُبنى على أضرحة الشُّهداء أو بالقرْب منها. وفي أواخر القرن الرَّابع، يشير أمبروسيوس، أسقف ميلانو، إلى الاحتفال بنَقْل ذخائر القدِّيسَين جِرْفاسيوس وبْرُطاسيوس[١٣] إلى البازيليك الجديدة، على أنَّه عنصرٌ من عناصر احتفال التَّقديس. ولقد أورد البطريرك إسطفان الدُّويهيّ، في هذا المجال، ما يلي: "إنّ البيعة المقدّسة أيضًا لم تزل منذ الابتداء (...) تبني الكنائس والمذابح فوق عظامهم [للقدِّيسين] راجيةً أن تنال الرحمة والخلاص بِحسن طلباتِهم"[١٤].

---

(٨) راجع P. De PUNIET, «Dédicace des églises», *Dictionnaired'ArchéologieChrétienne et de Liturgie*, Tome 5, col. 376

(٩) راجع François GRAFFIN, «Poème de Mar Balaï pour la dédicace de l'église de Qennešrin», *Parole de l'Orient*, 10 (1981-1982) 103-121.

(١٠) راجع أوسابيوس القيصريّ، **التَّاريخ الكنسيّ**، المجلَّد الثَّالث: الكتب VIII-IX-X، **الشُّهداء في فلسطين**، الكتاب X، III، ترجمة اسكندر شديد، منشورات المعهد الأنطونيّ/ دار حرمون/ Mia Press، ص ١٠٥.

(١١) راجع إيجيريا، **يوميَّات رحلة**، نقلها إلى العربيَّة نعمة الله الحلو، ودقَّق فيها ونسَّقها وعلَّق عليها جورج باليكي، سلسلة "أقدم النُّصوص المسيحيَّة-سلسلة النُّصوص اللِّيتورجيَّة"- ٥، منشورات مجلس كنائس الشَّرق الأوسط، الطَّبعة الأولى، ١٩٩٤، العدد ٤٩، ص ١٣٨-١٣٩.

(١٢) راجع Jules BAUDOT, *La dédicace des Églises*, Coll. «Liturgie», Librairie Bloud et Cie, Paris, 1909, p. 9-12

(١٣) راجع أوغسطينُس، **مدينة الله**، المجلَّد الثَّالث: الكتب ١٨-٢٢، نقله إلى العربيَّة يوحنَّا الحلو، سلسلة "التُّراث الرُّوحيّ"، دار المشرق، بيروت، طبعة أولى، ٢٠٠٢، الكتاب ٢٢، ٨، ص ٣٤٨.

(١٤) إسطفان الدُّويهيّ، **منارة الأقداس**، جزءان، منشورات رابطة البطريرك الدُّويهيّ الثَّقافيَّة-زغرتا-

أمَّا رتبة تكريس المذبح فكانت تحتوي على العناصر الطَّقسيَّة الآتية: أوّلاً، الاحتفال بالقدَّاس على المذبح الجديد؛ ثانيًا، نَقْل ذخائر الشُّهداء ووضْعها تحته؛ ثالثًا، مسْح المذبح الجديد بالزَّيت؛ ورابعًا، نَضْح الكنيسة بالماء المبارك. دخلَتْ هذه العناصر إلى رتبة تكريس الكنيسة والمذبح مع تطوُّر الحياة الكنسيَّة، ولا سيَّما من بعد القرن الرَّابع. وسنجد هذه الأعمال الطَّقسيَّة في مختلف رتَب التَّكريسات، شرقًا[١٥] وغربًا. وسنكتفي، في القسمَين الثَّاني والثَّالث من مقالنا، بالتَّطرُّق إلى رُتبة تكريس الكنيسة في الطُّقس الماروني.

ثانيًا: تكريس الكنيسة في بعض الوثائق الكنسيَّة المارونيَّة

نعرض، في هذا القسم الثَّاني، ما جاء في بعض الوثائق الكنسيَّة المارونيَّة عن تكريس الكنيسة، من دون التَّطرُّق إلى تكريس المذبح[١٦]، مستندين إلى الكُتُب الآتية: أوَّلاً، كتاب الهُدى. وثانيًا، شرْح التَّكريسات المقدَّسة للبطريرك إسطفان الدُّويهيّ. وثالثًا، أعمال المجمع اللُّبنانيّ.

١. كتاب الهُدى

إنَّ **كتاب الهُدى** "هو دستور الطَّائفة المارونيَّة في الأجيال الوسطى"[١٧]. هكذا عَنْوَنَ بطرس فهد هذا الكتاب عندما حقَّقه ونشرَهُ في العام ١٩٣٥. وهو القانون الَّذي اتَّبَعتْه الكنيسة المارونيَّة لتسيير أمورها القانونيَّة، وحتَّى الطَّقسيَّة منها، لغاية انعقاد أوَّل المجامع المارونيَّة في أواخر القرن السَّادس عشر[١٨].

يتناول **كتاب الهدى** تقديس الكنيسة والمذبح في نصَّيَن اثنَين: يتناول أوَّلهما تقديس الكنائس، ويتطرَّق النَّصّ الثَّاني إلى تقديس المذبح. نتوقَّف، هنا، على النَّصّ الأوَّل الَّذي هو بعنوان "**في تقديس الهياكل**"، والَّذي يذكر أنَّ تقديس الكنيسة يتمّ "بخاتم الرَّبّ" الَّذي هو الميرون؛ ويلزم لإتمام التَّكريس حضور سبعة كهنة. كما يستعمل النَّصُّ فعلَي "قدِّسْ" و"ارسُمْ" للهيكل وللمذبح. وهذان

إهدن، إعادة طباعةٍ لنسخة المعلّم رشيد الشَّرتونيّ، دون مكان ودون تاريخ، (طبعة الشَّرتوني: المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت، ١٨٩٥ و١٨٩٦)؛ هنا، الجزء الأوَّل، ص ١٥٢.

(١٥) عن رتبة تكريس الكنيسة في الطَّقس الكلدانيّ، راجع منصور المخلّصي، "تكريس المذبح (الكنيسة) في طقس كنيسة المشرق"، **المجلّة اللّيتورجيَّة**، السَّنة الثَّامنة، العددان ٣١-٣٢ (٢٠١٦)٩٧-١٠٠.

(١٦) عن المذبح في الطَّقس الماروني، راجع مارسيل هدايا، "المذبح بحسب الكنيسة الأنطاكيَّة السُّريانيَّة المارونيَّة"، **بحوثٌ مُهداةٌ إلى المطران بطرس الجميِّل**، الجزء الثَّاني، نشرها أيُّوب شهوان، منشورات جامعة الرُّوح القُدُس-الكَسْليك، معهد اللّيتورجيَّا، ٤٤، PUSEK، ٢٠٠٩، ص ٥٥٧-٥٩٤.

(١٧) راجع **كتاب الهُدى وهو دستور الطَّائفة المارونيَّة في الأجيال الوسطى**، عرّبه عن السريانيّة سنة ١٠٥٩ المطران داود الماروني، عني بنشر ترجمته عن مخطوط الواتيكان السرياني ١٣٣ وعارضه بباقي المخطوطات وأبان فروقها بطرس تامر فهد العشقوتي، طبع على نفقة الرهبانيّة في المطبعة المارونيّة بحلب الشهباء، سنة ١٩٣٥.

(١٨) راجع بطرس ديب، "المجمع الماروني المُلتئم سنة ١٥٨٠"، **المنارة**، ٢ (١٩٣١) ٤٢٦-٤٣٣، ٥٣٠-٥٣٧، ٦٧٣-٦٨٠.

الفعلان هما في عنوان الرُّتبتَين موضوع بحثنا، أي رُتبة **تقديس** (ܩܕܫ) البيعة أي **رسمها** (ܟܢܘܢܐ)، ورتبة **رَسْم** (ܪܫܡ) المذبح؛ وهما أساسُ الصِّيَغ الطَّقسيَّة الَّتي يتلوها المحتفل لتقديس البيعة والمذبح، ومحورُ الأعمال والحركات الطَّقسيَّة الَّتي يقوم بها لتتميم ذلك. وهذا النَّصّ الكامل، كالآتي:

"وقدّس كُل هيكل تبنيه، وارسُمه بخاتَم الرّبّ الذي هو المورون، دهن السرور، وليكُن معكَ في وقتِ تَقدس أياه سبع قسيسين، فإنّهم الوزراء عندنا، وارسُم المذابح والهياكل بخاتم الرّبّ، استحق ان يقدس عليها فخر الرب، واختِم بهذا الدهن المقدس كل معتمد ليستحق بذلك الكهنوت والملك والنبوة"[١٩].

٢. شرح التكريسات المقدَّسة للبطريرك إسطفان الدُّويهيّ

نعرض بعض ما أورده إسطفان الدُّويهيّ، في مؤلَّفِه **شرْح التَّكريسات المقدَّسة الَّتي تصير على يد رأس الكهنة** (الَّذي يعود إلى القرن السَّابع عشر)، في الفصل الثَّاني الَّذي عَنْوَنَه: **في تكريس الكنيسة**، كما يلي:

"ان الكنيسة التي تُنشأُ جديدًا كما أن بنيانَها كذلك تَقديسه لا يَجب أن يصير الاّ باذن رأس الكهنة وعلى الشبَه الذي يرسُمه كما هو مُسطَّر ان موسى المعظَّم ما اقام المَقْدِس ومذبَحه وآلاته ولا مسحه بالطيب الاّ على ما أَراه الله في الجبل (...).

والمقصود من ذلك ان تقديس الكنيسة لا يصير إلاّ في يوم يكون جليلاً ليجتمع الشعب مع رأس الكهنة وكافة الاكليروس فيمجدوا الله خالقهم ويتهيَّبوا المَقْدِس الذي اصطفاه ليحلّ فيه ومن تقديس البيت الذي هو صنعة الايادي يفهموا كم بالحري يجب ان تتفاضل بالطهارة والقداسة اجسادهم وارواحهم التي هي صورة الله وهيكل الثالوث المقدس"[٢٠].

٣. المجمع اللُّبنانيّ (في العام ١٧٣٦)

إنَّ المجمع اللُّبنانيّ[٢١] الَّذي عُقِدَ في دير سيِّدة اللُّوَيزة-زوق مصبح، ما بين ٣٠ أيلول والثَّاني من تشرين الأوَّل من العام ١٧٣٦، هو مِنْ أهمّ المجامع الَّتي عقدَتْها الكنيسة المارونيَّة. وقد تطرّق إلى جميع المواضيع اللِّيتورجيّة من الأسرار، إلى الفرْض الإلهيّ إلى الجنَّازات، إلى الرُّتب الكنسيّة، إلى الأعياد والأصوام وتكريم ذخائر القدّيسين، الخ[٢٢]. ونعرض، هنا، النُّصوص المجمعيَّة الَّتي تتعلَّق بموضوع مقالنا، والَّتي تطاول المسائل الآتية: بُنيان الكنائس، وتكريس الكنيسة الجديدة أو المُرمَّمة أو المُدنَّسة.

أ) في بنيان الكنائس

يورد نصُّ المجمع اللُّبنانيّ، في القسم الرَّابع المُعنوَن: **في الكنائس والمدارس والأديار**

---

(١٩) **كتاب الهُدى وهو دستور الطَّائفة المارونيَّة في الأجيال الوسطى**، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٢٠) إسطفان الدُّويهيّ، **شرْح التَّكريسات والشَّرْطونيَّة**، نشرهُ لأوَّل مرَّةٍ عن نسخة الخزانة البطريركيَّة رشيد الخوري الشَّرتونيّ، المطبعة الكاثوليكيَّة، بيروت، ١٩٠٢، ص ٣-٤، ٤.

(٢١) راجع **المجمع اللُّبنانيّ**، ترجمة يوسف نجم، مطبعة الأرز، جونيه، ١٩٠٠، (إعادة طباعة في العام ١٩٨٦، سلسلة "الكنيسة في الشَّرق"، ١).

(٢٢) راجع بطرس فهد، "في ذكرى المجمع اللُّبنانيّ (١٧٣٦-١٩٨٦)"، **المنارة**، ٣ (١٩٨٦) ٣٠٧-٣٢٠؛ Elias ATALLAH, *Le SynodeLibanais de 1736*, 2 tomes, Cero/Letouzey et Ané, Antélias (Liban)/Paris (France), 2001.

والترتيبات المجمعيَّة، في الباب الأوَّل: **في الكنائس وأرزاقها**، عن بُنيان الكنائس وتكريسها، ما يلي:

"لا يجوز أحد ان يؤسس او يشيد او يبني كنائس ومصلّياتٍ ومعابد او مذابح مشتهرة بغير سبق اذن الاسقف (...). اما الكنائس والمصلّيات والمعابد والمذابح القائمة باذن الاسقف فتنهى عن قضاء الشعائر الدينية فيها قبل ان يباركها او يكرِّسها الاسقف (...). وايُّ كنيسة تمّ تكريسها بطريقة احتفالية فليحتفل لكل سنة بتذكار يوم تكريسها"[٢٣].

ب) في تكريس الكنيسة الجديدة أو المُرَمَّمة أو المُدنَّسة

يحدِّد هذا المجمع وجوب تكريس الكنيسة الجديدة البُنيان إذ لا يجوز "قضاء الشعائر الدينية فيها قبل ان يباركها او يكرِّسها الاسقف"[٢٤]. كما يحدِّد الأحوال الَّتي يجب أنْ يُعاد فيها تكريس الكنيسة الَّتي رُمِّمَتْ أو للكنيسة الَّتي تعرَّضَتْ للتَّدنيس. ونورد، هنا، مقتطفات من الفقرة المجمعيَّة، كالآتي:

"يجب تكريس الكنيسة الجديدة البنيان وكذلك لو رُمِّمَت برمّتِها حتى اصبحت غير الاولى اما اذا رُمم جانب منها فلا تفقد مزيَّة تكريسها (...). وقد تتدنس الكنيسة باحوالٍ وهي اما سفك الدم او باهراق الزرع مأثومًا فيه ومشتهرًا واما بدفن ميتٍ مَحروم مشتهر او كافر او مبتدع ففي هذه الاحوال يجب ان يجدَّد تكريس الكنيسة. وليعمل سجلٌّ تكتب فيه تكريسات الكنائس والمذابح ويرفع للحفظ في الخزانة الاسقفية"[٢٥].

ثالثًا: رُتبة تكريس الكنيسة في الطَّقس الماروني

غالبًا ما يتوقَّف الكُتَّاب المسيحيُّون واللاهوتيُّون، الشَّرقيُّون والغربيُّون، عند تطرُّقهم إلى التَّقاليد اللاهوتيَّة واللِّيتورجيَّة المسيحيَّة، عند العالَمَين الغربيّ اللاتينيّ والشَّرقيّ اليونانيّ، متجاهلين تمامًا وجود كنائس مسيحيَّة شرقيَّة لا تنتسب إلى هذَين التَّقليدَين المعروفَين من الغرب المسيحيّ. بينما تتمايز هذه الكنائس الشَّرقيَّة الأُخرى تمايزًا كلِّيًّا عن هذَين التَّقليدَين، ولها تقاليدها اللاهوتيَّة واللِّيتورجيَّة العريقة، لأنَّها تمثِّل العالم السَّامي والآراميّ حيث نشَأَتْ المسيحيَّة، ولأنَّها أيضًا -إلى حدٍّ ما- الوريثة المباشرة لهذا العالم. وشرفها أنَّها، حتَّى يومنا هذا، لا تزال تستعمل اللُّغةَ السُّريانيّة لغةً طقسيَّةً لها، وهي لهجةٌ من الآراميَّة الَّتي كانت لغة المسيحِ الخاصَّة[٢٦]. وللأسف، لم يلقَ هذا التَّقليد الشَّرقيّ السُّريانيّ اهتمامًا كافيًا من العلماء المسيحيِّين، اللاهوتيِّين واللِّيتورجيِّين، في القرون الماضية، لأنَّهم ركَّزوا جهدهم البحثيّ

(٢٣) **المجمع اللُّبنانيّ**، القسم الرَّابع، الباب الأوَّل، العدد ١، ص ٤٤٣، ٤٤٤.

(٢٤) **المجمع اللُّبنانيّ**، القسم الرَّابع، الباب الأوَّل، العدد ١، ص ٤٤٤.

(٢٥) **المجمع اللُّبنانيّ**، القسم الرَّابع، الباب الأوَّل، العدد ١٧، ص ٤٥٧.

(٢٦) راجع Sebastian BROCK, *Prière et vie spirituelle. Textes des Pèressyriaques*, Traduit par Didier RANCE et André JOLY, Coll. «Spiritualité Orientale», no 90, Abbaye de Bellefontaine, BégrollesenMauges (France), 2011, p. 17.

على التَّقليد الشَّرقيّ اليونانيّ (أو البيزنطيّ). من هنا، لا نستغرب قلّة الأبحاث والدِّراسات الَّتي تطاول موضوع مقالنا لا بل انعدامها تقريبًا.

أمّا الكنيسة الأنطاكيَّة السُّريانيَّة المارونيَّة الَّتي برزَتْ كنيسةً مستقلَّةً ذات تنظيمٍ كنسيٍّ خاصٍّ بها، في نهاية القرن السَّابع وأوائل القرن الثَّامن للميلاد، ورثَتْ تقليدها الطَّقسيّ عن هذا العالم السُّريانيّ[٢٧]. فقد صلَّى الموارنة طيلة قرونٍ في مخطوطاتٍ أنطاكيَّةٍ سريانيَّةٍ جلبوها معهم من سوريا إلى لبنان، عند استقرارهم النِّهائيّ فيه بعد القرن العاشر. والرُّتب الَّتي كانوا يستعملونها في احتفالاتهم، متأتيَّة من رُتبٍ قديمةٍ كانت موجودة في القرون المسيحيَّة الأولى. ولا تشذُّ نصوص رتبة تقديس الكنيسة عن هذه القاعدة:وإنْ كانت، في حالتها الحاضرة، تعود إلى القرون السَّادس عشر والسَّابع عشر والثَّامن عشر، وأقدمها إلى الخامس عشر، فهي متجذِّرةٌ في رتبٍ قديمةٍ جدًّا لم تصلْ إلينا بفعل حوادث الزَّمان.

لا نجد رتبة تكريس الكنيسة سوى في كتاب رتبٍ ماروني واحدٍ مطبوع، وقد صدر عن بكركي في العام ١٩٤٢؛ وفي مخطوطات مارونيَّةٍ عديدة. لذا، سنعمد، في هذا المقال، إلى إبراز وجه هذه الرُّتبة العريقة استنادًا إلى الإصلاح الطَّقسيّ الَّذي أنجزه البطريرك إسطفان الدُّويهيّ لهذه الرُّتبة؛ هذا الإصلاح المحفوظ في مخطوط **بكركي رقم ٤**.

١. كتاب الطقوس لخدمة الأسرار المقدَّسة (بكركي، ١٩٤٢)

إنَّ كتاب الرُّتَب هذا هو الكتاب الرَّسميّ الصَّادر عن البطريركيَّة المارونيَّة[٢٨]، في العام ١٩٤٢. ويتضمَّن هذا الكتاب فصلاً كاملاً، وهو الفصل الثَّامن، عن **تبريكات وصلوات مختلفة** يحتفل بها الكاهن. ونجد، في الفقرة ٦ منه، العنوان الآتي: **تبريك الكنيسة والمذبح**[٢٩]. وبعد اطلاعنا على نصوص هذه الرّتبة، وجدنا أنَّ هذا التَّبريك ما هو سوى رتبةٍ مختصرةٍ جدًّا يحتفل بها الكاهن، ولا تحتوي على ألحانٍ أو قراءاتٍ كتابيَّةٍ ولا على زيَّاحات، ولا على مسْحٍ بالزَّيت أو بالميرون.

٢. مخطوط بكركي رقم ٤ (من العام ١٦٩٤)

إنَّ هذا المخطوط، أي **بكركي ٤**، الَّذي يعود إلى العام ١٦٩٤، هو من أبرز المخطوطات المارونيَّة الَّتي حفِظَتْ الإصلاح اللِّيتورجيّ الَّذي أنجزه البطريرك إسطفان الدُّويهيّ والَّذي طاول كتاب التَّكريسات الماروني[٣٠]؛

(٢٧) راجع الياس خليفه، "نشوء الكنائس المشرقيَّة وتراثها: (القرن الخامس-القرن الثَّامن). الكنائس السُّريانيَّة التُّراث. III. الموارنة"، **المسيحيَّة عبر تاريخها في المشرق**، تحرير: حبيب بدر- سعاد سليم - جوزيف أبو نهرا، مجلس كنائس الشَّرق الأوسط، بيروت، الطَّبعة الأُولى، ٢٠٠١، ص ٢٧١-٢٨٩ (هنا، ص ٢٨٣-٢٨٤).

(٢٨) يحمل هذا الكتاب عنوانًا بالكرشونيَّة، وهو كالآتي بالحرف العربيّ: **كتاب الطُّقوس لخدمة الأسرار المقدَّسة مع تبريكات وصلوات مختلفة**، بطريركيَّة الموارنة الأنطاكيَّة، بكركي. جبل لبنان، سنة ١٩٤٢.

(٢٩) راجع **المرجع نفسه**، ص ٢٩٧-٣٠٠.

(٣٠) إنَّ **كتاب التَّكريسات** (أو **التَّقديسات**) **المقدَّسة**،

وهو محفوظٌ في أرشيف الصَّرح البطريركيّ الماروني ببكركي-لبنان[٣١]. أمَّا الرُّتبتان اللَّتان ترتبطان بموضوع مقالنا هذا فهما: **رُتبةِ تقديس البيعة ورتبةِ رَسْم المذبح**[٣٢]. وهما رتبتان مستقلَّتان الواحدة عن الأخرى، وتتضمَّنان مجموعةً كبيرةً من الألحان والصَّلوات النَّثريَّة والقراءات الكتابيَّة والمزامير والأعمال الطَّقسيَّة. ويقتصر بحثنا، هنا، على تسليط الضَّوء على أبرز مفاصل رتبة تكريس الكنيسة، تاركين التَّطرُّق إلى رتبة رسْم المذبح أي تكريسه، إلى مقالٍ آخر.

أ) السَّهرونيَّة

تبدأ هذه الرُّتبة بسهرونيَّةٍ استعداديَّةٍ يحتفل بها الكهنة والشَّمامسة والشَّعب في مساء يوم تقديس الكنيسة الجديدة. ومن شأن هذه السَّهرونيَّة أنْ تدلَّنا على أنَّ الاحتفال الَّذي سيليها، كبيرٌ وعظيمٌ ومهيب؛ فهذه هي حال السَّهرونيَّات الَّتي تسبق الأعياد الكبرى، كالسَّهرونيَّة الَّتي تسبق الاحتفال بأحد القيامة الكبير، على سبيل المثال. وتتضمَّن هذه السَّهرونيَّة تلاوة فرْض القدِّيس الَّذي ستُكرَّس الكنيسة على اسمه، أو مجموعة المزامير المخصَّصة للتَّكريسات، أو فرْض أحد تقديس البيعة وتجديدها عمومًا. ونجد هذه السَّهرونيَّة أو هذا الاحتفال الَّذي يتمّ مساء يوم التَّكريس في الطُّقوس الشَّرقيَّة كلِّها، ولا سيَّما في الطَّقسَين الأنطاكيّ السُّريانيّ والبيزنطيّ أيضًا. كما أنَّ الطَّقس اللاتينيّ يُشدِّد على أنْ يجتمع الشَّعب، في مساء يوم التَّقديس، ليُصلِّي أمام ذخائر القدِّيسين الَّتي تُعرَض على مذبحٍ جانبيٍّ في الكنيسة.

ب) إخراج الأواني والثِّياب وآلات القُدْس من الكنيسة

وفي صباح اليوم المخصَّص للتَّقديس، يجيء رئيس الكهنة ومعاونوه إلى الكنيسة، فيحتفلون مع الكهنة والشَّمامسة والشَّعب كلِّه بصلاة السَّاعة الثَّالثة. ومن بعد تلاوة هذه الصَّلاة الأخيرة، يبدأ الحبرُ المُكرِّس

بالسُّريانيَّة (ܣܗܕܐ ܕܒܥܬܐ ܕܡܕܒܚܐ)، هو كتاب رؤساء الكهنة فقط. ويتضمَّن مخطوط **بكركي ٤**، بالإضافة إلى رتبتَي تقديس البيعة ورَسْم المذبح، رُتَبَ التَّكريسات الآتية: رتبة رسْم (جرن) المعموديَّة، ورتبة تقديس الطَّبالِيت، ورتبة رسْم الكؤوس والصَّواني، والصَّلاة على البطارشيل والكتُّونات وحُلل الكهنة، وصلاة الغفران على المذبح والبيعة المنجَّسَين من الهراطقة، ورتبة مختصرة لتقديس الميرون (يُحتفَل بها يوم خميس الأسرار)، ورتبة تقديس زيت العماد، ورتبة تقديس زيت المرضى، ورتبة تقديس الميرون (خدمة أولى يُحتفَل بها يوم أربعاء الآلام، وخدْمة ثانية تَتِمُّ يوم خميس الأسرار)، ورتبة تقديس زيت المرضى مع سبع قَومات القنديل، وصلوات تكريس متنوِّعة (للمبخرة والصُّلبان والقوان والنَّاقوس والمقابر، إلخ.). كما يتضمَّن هذا المخطوط، ما بين الورقة ١٥٢أ والورقة ١٨٢أ، النَّصَّ الَّذي كتبه البطريرك إسطفان الدُّويهيّ والَّذي يحمل العنوان الآتي: "**شرح مختصر في التَّكريسات المقدَّسة الَّتي تصير على يد راس الكهنة**".

(٣١) راجع Abdo KHALIFÉ et François BAISSARI, *Catalogue raisonné des manuscrits de la bibliothèque de larésidencepatriarcalemaronite (Bkerké), Première Série*: FondsBkerké, Coll. «Textes et documents historiques», République Libanaise, Ministère du tourisme-Direction générale des antiquités, Beyrouth, 1973, **Ms. 4**, p. 12.

(٣٢) راجع مخطوط **بكركي ٤**، ܠܚܡܐ ܕܣܗܕܐ ܕܒܥܬܐ ܐܘ ܣܕܪ ܬܟܣܝܣ (**رتبة تقديس البيعة اي رَسْمها**)، الورقة ٩أ-الورقة ٢٦أ؛ ܠܚܡܐ ܕܣܗܕܐ ܕܡܕܒܚܐ (**رتبة رَسْم المذبح**)، الورقة ٢٦ب-الورقة ٣٩أ.

برتبة تقديس البيعة، بحصر المعنى. ويأمر بإخراج كلّ ما تحتوي عليه الكنيسة من أوانٍ بيعيَّةٍ وقناديل وشماعدين وصلبانٍ وكتبٍ طقسيَّةٍ وإيقوناتٍ وزيوتٍ مقدَّسة، إلى الخارج، لتُحمَل كلُّها -في ما بعد- في الزَّيَّاحات الَّتي ستتمّ خارج الكنيسة. إذ تُعرَّى الكنيسة من زينتها، كما يُعرَّى الطِّفل من ثيابه قبْل أنْ يُقدِّمه عرَّابه إلى العماد، استعدادًا منها لتَقَبُّل زينةٍ جديدةٍ أبهى، ألا وهي الرُّوح القدس الَّذي سيحلّ فيها. لذا، تبان رتبة تقديس البيعة وكأنَّها عمادٌ للكنيسة المبنيَّة حديثًا. ونورد شرْح إسطفان الدُّويهيّ، كالآتي:

"ويأمر المقدّم على الكهنة ان يصلي على الماء الذي يكون موضوعًا في سطْل وان الشمامسة الكبار ترتل في المزمور المائة والثامن عشر **لهحصم الملح** وان الشمامسة الصغار تُخرج من الكنيسة كل ما يكون فيها من قناديل وشماعدين وآلات القدس لتُعرَّى من زينتها كما يتعرَّى الطفل من ثيابه عندما يتقدّم الى العماد دلالةً على نَدْب الانسان العتيق ليلبس الجديد. وكذلك الكنيسة التي فيما مضى كانت لذوات العالم فبعد التقديس تصير محلاً لروح القدس ليظهر فيها مجده"(٣٣).

ت) خروج رئيس الكهنة والكهنة والشَّعب من الكنيسة والزِّيَّاحات الثَّلاثة حولها

تبرز الرَّمزيَّة العماديَّة من خلال بُنية الرُّتبة ومن خلال الحركات اللِّيتورجيَّة المتضمَّنَة فيها، ومن أبرزها الآتي: رسْم عتبة باب الكنيسة، بالصَّليب، ٣ صلبان، دون زيتٍ ولا ميرون؛ ثمَّ رَسْم العتبة عينها بالزَّيت المقدَّس، ٣ صلبان. وفي مرحلةٍ ثالثة، رسم العتبة نفسها بالميرون، ٣ صلبان. ويُختَتَم هذا القسم من التَّكريس برسْم عتبة باب الكنيسة بالصَّليب، ٣ صلبان. هذا ما يجري إبَّان الدَّورات الثَّلاث الَّتي تجري "داير" الكنيسة، أي حولها من الخارج. وبهذه الدَّورات يكون رئيس الكهنة قد ابتدأ بتكريس الكنيسة الجديدة من الخارج.

ث) الزِّيَّاحات داخل الكنيسة ورسْم حيطانها بالزَّيت والميرون وتصليب جهاتها الأربع

مقابل هذه الدَّورات الثَّلاث "داير" الكنيسة، يقوم رئيس الكهنة بثلاث دوراتٍ مماثلةٍ داخل الكنيسة. وتتضمَّن هذه الدَّورات، الَّتي تتمُّ في الدّاخل، أعمالاً طقسيَّةً مشابِهَةً بما فَعَلَهُ الحبْرُ المكرِّس في الخارج، إذ نجد فيها ما يلي: أوَّلاً، يرسم بالزَّيت، على حيطان الكنيسة من الدَّاخل وعلى أركانها، ٣ صلبان. ثمَّ يدهن، ثانيًا، كلَّ جهةٍ من جهاتِها بالميرون، ٣ صلبان. وثالثًا وأخيرًا، يصلِّب على كلِّ جهةٍ من الجهات الأربع بالصَّليب، ٣ صلبان.

ويظهر، من دراستنا هذه، أنَّ الرِّباط وثيقٌ جدًّا ما بين المسْح بالزَّيت المقدَّس وبالميرون في رتبة العماد والمسْح بالزَّيت المقدَّس وبالميرون في رتبة تقديس البيعة. إذ إنَّ طالب العماد الَّذي يُمسَح بالزَّيت والميرون يصير خاصَّة المسيح، والكنيسة الَّتي تُمسَح بهذَين الزَّيتَين تصير لخدمة الباري. والمُعمَّد الَّذي مُسِحَ بهذَين الزَّيتَين يصير ابن الله، وتصير

(٣٣) إسطفان الدُّويهيّ، **شرْح التَّكريسات والشَّرْطونيَّة**، ص ٦.

الكنيسة الَّتي رُسِمَتْ بهما أيضًا، بيت الله. وبمسْحة الميرون ينال المعمَّد كمال عطيَّة الرُّوح القدس، وبرسْم الميرون تصير الكنيسة "محلاً للروح القدس". وهكذا أيضًا في رتبة تقديس البيعة، وبشكلٍ متوازٍ جدًّا ورتبة العماد، بعد رَشِّ الماء في استدارة الكنيسة وعلى حيطانها وتربتها، وبعد تبخير استدارتها وحدودها ومكان تربتها؛ وبعد أنْ يكون رئيس الكهنة قد رَسَم ثلاثةَ صلبان، من دون ميرون ومن دون زيت، على عتبة باب الكنيسة، ثمَّ بعد أنْ يكون قد رسم هذه العتبة بالزَّيت المقدَّس، يأتي مسْح هذه الأخيرة بالميرون المقدَّس، ثلاثة صلبان، ليكمِّل الرَّاسِمُ ويتمِّمَ العمل كلَّه ويُقدِّس الكنيسة بهذا الميرون، إذ تستعمل الرُّتبة عند الرَّسْم -هنا- الصِّيغة الآتية: "قَدِّسْ (هٰذا) هذا الهيكل، (هيكل) مار فلان، باسم الآب (...)" (الورقة ١٦ب).

ج) قرْع الباب والحوار بين رئيس الكهنة والكهنة الثَّلاثة في داخلها

كما تبرز رمزيَةٌ كنسيَّةٌ واضحةٌ وجليَّةٌ عبر الحركة الطَّقسيَّة الَّتي يتفرَّد بها الطَّقس الماروني عن الطُّقوس الأخرى، والَّتي تقضي بإبقاء ثلاثة كهنةٍ في الكنيسة، بعد أنْ يخرج منها الجميع: واحد شابّ، والثَّاني متوسِّطٌ في العمر، والثَّالث شيخ. ومن خلال الحوار الَّذي يُقيمه رئيس الكهنة وكلٍّ من الكهنة الثَّلاثة، يبان لنا دور البيعة[٣٤] منذ الخلْق وحتَّى تجسُّد يسوع وبشارته، وإلى انتهاء العالم. ويفسِّر إسطفان الدُّويهيّ التَّفاوت في عمر الكهنة الثَّلاثة، رابطًا كلَّ واحدٍ منهم بحقبةٍ من حقبات ظهور الكنيسة، منذ تكوين العالم وحتَّى مجيء يسوع المسيح وإلى نهاية العالم؛ فيقول الآتي:

"فالكاهن الشاب يدلّ على البيعة في جيل الطبيعة من آدم الى موسى فان الشعب كان قليلاً في العدد ومعرفة الله كانت شحيحة وما كانوا ليهتدوا بسنَّة مكتوبة بل بتعليم الآباء وبوحي الملائكة. والكاهن الثاني وهو المتوسّط في العمر يدلّ على جيل الناموس الذي كان متوسطًا بين جيل الطبيعة وجيل النعمة من موسى الى السيد المسيح لكون الله تَمجَّد اسمه اختار ذرية ابراهيم دون غيرها وانعم عليهم بكتابة الناموس على يد موسى والانبياء وامرهم بالختانة ليتميزوا عن سائر طوائف العالم. وامَّا الكاهن الشيخ الطاعن في العمر فيدلّ على جيل النعمة وبشارة الانجيل التي انعم بها الله على كافة العالم بواسطة تَجسُّد ابنه وكان ذلك عند انقضاء الزمان ويدوم الى نهاية العالم"[٣٥].

ونجد هذا الحوار ما بين المحتفل وأحد خدَّام البيعة، ورتبة قرْع باب الكنيسة، في الطُّقوس الثَّلاثة الآتية: البيزنطيَّة واللاتينيَّة والمارونيَّة. ويتمّ هذا الحوار على ثلاث دفعات، وفي ختام الزِّيَّاحات الثَّلاثة. ويتميَّز هذا الحوار، بحسب الطَّقس الماروني، عن الحوار عينه الوارد في الرُّتبتَين البيزنطيَّة واللاتينيَّة.

---

(٣٤) راجع مقالاً كتبناه على صفحات هذه المجلَّة تطرَّقنا فيه إلى مفهوم البيعة، بحسب رُتبتَي تكريس البيعة ورسْم المذبح، دانيال زغيب، "«نؤمن بكنيسةٍ مقدَّسة». نظرةٌ لاهوتيَّةٌ وليتورجيَّةٌ مارونيَّة"، **المجلَّة اللّيتورجيَّة**، السَّنة التَّاسعة، العددان ٣٣-٣٤ (٢٠١٦) ٣٠-٣٧.

(٣٥) **المرجع نفسه**، ص ٦-٧ (راجع أيضًا إسطفان الدُّويهيّ، **منارة الأقداس**، الجزء الأوَّل، ص ١٠٥).

إذ إنَّ محتوى الحوار، في الطَّقسَين البيزنطيّ واللاتينيّ، هو من ٢٤ (٢٣): ٧-١٠، الَّذي يبدأ بالآية الآتية: "إرفعْنَ أيَّتها الأبواب رؤوسكُنَّ، وارتَفِعن أيَّتُها الأبواب الدَّهريَّة، ليدخُلَ ملك المجد". والجواب على سؤال المحتفل هو الآتي: "من هو هذا ملك المجد؟"، بحسب الرُّتبتَين عينهما[٣٦]. أمَّا الحوار الَّذي يجري بين الحبْر المُكرِّس والكاهن في رتبة تكريس الكنيسة، بحسب اللِّيتورجيَّا المارونيَّة، فينطلق من مز ١١٨ (١١٧): ٢٠: "إفتحْ بابَ الرَّبِّ الَّذي يدخل به الصِّدِّيقون"، ويتتابع ليُبرِز ما جاء رئيسُ الكهنة ليعمله في الكنيسة الجديدة، أي ليَرسُم هذا الهيكل ويقدِّسه. ويرتبط استخدام هذا المزمور بالقراءة الكتابيَّة الأُولى، أي تك ٢٨/١٠-٢٢، وبفكرة "باب الرَّبّ"، إذ إنَّ الكنيسة هي بيت الله أو "البيت الَّذي يحلّ فيه الله وبابها هو باب الرَّبّ". ويقرع رئيس الكهنة الباب على ثلاث دفعات: في المرَّتَين الأولى والثَّانية، لا يفتح الكاهنان الباب[٣٧]. أمَّا في الدَّفعة الثَّالثة فيقول الكاهن الشَّيخ للمحتفل: "تعال بالسَّلام" (٣ مرّات). فيفتح المحتفل الباب ويدخل هو وجميع الشَّعب، ويضع بخورًا ويتلو سِدْرو البخور في وسَط الكنيسة.

ح) بُنية رتبة تكريس الكنيسة وبُنية القُدَّاس

وبالإضافة إلى الرَّمزيَّة العماديَّة البارزة في رتبة تكريس الكنيسة، تبانُ العلاقةُ الوثيقةُ بين هذه الرُّتبةِ ورتبةِ القدَّاس المارونيّ، من خلالِ عناصرَ طقسيَّةٍ عديدة، أهمُّها: لحنُ **هوصا** الَّذي يلي تنبيهَ الشَّمَّاسِ عند صرْف الموعوظين؛ وقديشات ألوهو وقانونُ الإيمان اللَّذَان يُتلَيَان في رتبةِ التَّكريس وفي القدَّاس، في الموقع عينه؛ وصلاةُ استدعاءِ الرُّوحِ القدس و"مجموعُ صلاة الأبانا" اللَّذان يتضمَّنُ كلٌّ منهما البُنيةَ نفسَها في القدَّاس وفي رتبة التَّكريس.

خ) القراءات الكتابيَّة

أمَّا القراءات الكتابيَّة الَّتي تُتلى في هذه الرُّتبة فهي ستّ قراءاتٍ من العهدَين القديم والجديد ومزمور واحد، كالآتي: مز ١١٩ (١١٨)/١-٥٦؛ تك ٢٨/١٠-٢٢؛ حز ١/٤٣-٧؛ ٤٤/١٥-١٦؛ أش ٥٦/٤-٨؛ أع ٧/٤٤-٥٣؛ عب ٩/٢-١٠؛ مت ١٦/١٣-٢٣. وتشير القراءتان من أع ٧/٤٤-٥٣ وعب ٩/٢-١٠ إلى أنَّ الخيمةَ كانت رمزًا إلى البيعة المقدَّسة، وإلى أنّ الفرائضَ القديمة قد شكَّلَتْ رمزًا أو ظِلاً للحقيقة الآتية، وهي لم تستطِعْ أنْ تجعلَ الإنسانَ بارًّا ومُبرَّرًا. ومع

---

(٣٦) راجع **الإفخولوجي الكبير**، عُنيَ بتعريبه عن اليونانيَّة والسلافيَّة وتبويبه المثلّث الرَّحمات والخالد الذِّكر الأسقف رافائيل هَواويني، وأذِن بنشره وأَنفق على طبعه ثانيةً متروبوليت نيويرك وسائر أميركا الشّماليّة أنطونيوس بشير، سنة ١٩٥٥، مكتبة السَّائح، طرابلس-لبنان، ص ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١؛ وراجع أيضًا Joseph Saint-Denis, *Cérémonies de la Consécrationd'uneéglise*, Chambly, 1907, p. 20, 22, 24; T. MAERTENS et L. HEUSCHEN, *Doctrine et pastorale de la dédicaced'uneéglise*,Coll. «Paroisse et liturgie»- 15, Abbaye de Saint-André, Bruges (Belgium), 1955, p. 27-28.

(٣٧) إسطفان الدُّويهيّ، **شرْح التَّكريسات والشَّرْطونيَّة**، ص ٩، ١٠، ١١.

مجيء الحقّ، كان لا بدَّ من أنْ تزول جميعُ الرُّموزِ والذَّبائح، لأنَّ يسوعَ -حملَ الحقّ- قد أزال بموتِه على الصَّليب الحجابَ الَّذي يُغلِقُ قُدْسَ الأقداس، ومكَّنَ جميعَ البشرِ من الدُّخول إلى حضرة اللهِ أبيه، وصار هو الهيكلُ الحقّ، وحلَّتِ البيعةُ محلَّ المسكن الزَّمنيّ.

د) دور الرُّوح القُدُس في التَّكريس

لا نغفل عن الدَّور البارز والأساسيّ الَّذي يؤدِّيه الرُّوح القدس في تقديس البيعة الجديدة. فكما أنَّ الرُّوح القدس هو مُكمِّل ومُتمِّم (ܫܘܠܡܐ ܡܫܠܡܢܐ) جميع الرُّتَب البيعيَّة، وهو الفاعل الأساسيّ في الأسرار البيعيَّة كلِّها، نجد دوره - في ختام رتبة التَّقديس هذه- دور الَّذي يُنجز ويكمِّل ما بدأه الحبْرُ من رُتَبٍ سابقة، إذ يتمِّمها ويحقِّقها كلّها بحلوله في الكنيسة الجديدة كما حلَّ في هيكل سليمان، بشبْه الضَّباب، وكما حلَّ على التَّلاميذ في العلِّيَّة، بشبْه ألسنةٍ من نار.

ذ) حركة التَّصليب الطَّقسيَّة

ولا بدَّ لنا من تسليط الضَّوء على عنصرٍ مهمٍّ أيضًا لا تخلو أيّ حركةٍ طقسيَّةٍ من استخدامه، ألا وهو التَّصليب أو رسْم علامة الصَّليب، في الرُّتبة. إذ لا تخلو رتبة تكريس الكنيسة، في أيّ قسمٍ من أقسامها، من حركة رسْم علامة الصَّليب على الكنيسة من الخارج، وعلى سورها ومكان تُربتِها، وعلى عتبة الباب، وعلى الباب نفسه، وعلى الحيطان، وعلى جهات الكنيسة الأربع، وعلى الشَّعب (في رتبة رسْم المذبح). فلا شيء يتبارك في الكنيسة ولا شيء يتقدَّس إلاّ برسْم إشارة الصَّليب عليه. وبالتَّصليبات المتكرِّرة تُظهِر الرُّتبة أنَّ كلَّ شيءٍ قد أُخضِع لسُلطان المسيح، وأصبحت الكنيسة الجديدة مختومةً بختمِه ومطهَّرةً ومحصَنةً ضدَّ قوَّات الشِّرِّير، وملجأً حصينًا لمن يلجأ إليها طالبًا أن يُعاين الله ويتكلَّم وإيَّاه لأنَّه سيجده فيها.

خاتمة

إنَّ رتبة تكريس الكنيسة في الطَّقس الماروني رتبةٌ طقسيَّةٌ مهمَّةٌ كرُتَب الأسرار البيعيَّة السَّبعة. إذ تتضمَّن أبرز العناصر الطَّقسيَّة الَّتي تُكوِّن رُتَبَ الأسرار، ولا سيَّما رُتبتَي العماد والقدَّاس. وقد بُنيَت ونُسِّقَت بحسب بُنية القُدَّاس واستَوحَتْ رمزيَّتها من رُتبة العماد. وعلى الرُّغم من أهمِّيَّتها ما زالت مخطوطةً ولم تنشر وتُطبَع بَعدُ، لا بشكلٍ علميٍّ ولا للاستعمال الطَّقسيّ من ضمن إصدارات اللَّجنة البطريركيَّة المارونيَّة للشُّؤون الطَّقسيَّة. وهذه حال كتاب التَّكريسات الماروني برمَّته. ولقد تطرَّقنا، في هذا المقال، إلى رتبة تكريس الكنيسة فقط. لذا، علينا أنْ نعالج وندرس أيضًا رتبة رَسْم المذبح (أي تكريسه) ليستقيم البحث في تكريس الكنيسة، إذ لا يكتمل المشهد إلاّ بدراسة الرُّتبتَين معًا.

نافور

مار تيودورس

الأب منصور المخلصي

مقدّمة

سنين وقرون طويلة تفصِلُنا عن مؤلّفات ثيودورس المُعلّم الكبير والّذي تَرَكَ لنا تَعليمًا زاخرًا وغنيًا وبكلّ جَدارة استَحَقَّ لَقَب المُعلّم الكبير! ولم يَترك بَصمَتَهُ فَقَط في التّعليم والرّوحانيات بل أيضًا في الليتورجيا، ففي النافور المنسوب إليه نَلقى بصماتِه وتأثير تَعليمه المُميّز جدًا. ويَظهر ذلِكَ من خِلال المُقارَنة البسيطة مع بَقيّة النّوافير خاصّة نافور الرّسولين أدّي وماري.

أولاً: مخطوطات ونشرات

منذُ عهد الجاثليق ايشوعياب الثالث (٦٤٧-٦٥٨) تَعرِف كَنيسة المَشرق ٣ نوافير، وبحسَب التّقليد، تُرِكَت النّوافير الأُخرى (ديودورس، برصوما، نرساي) بأمر هذا الجاثليق. إنّ النافور الأوّل هو نافور الرّسولَين أدي وماري، ثُمّ النافور الثاني المنسوب إلى مار ثيودورس، والثالث المنسوب إلى مار نسطوريوس.

يُحفظ نافور ثيودورس في بعض المخطوطات القديمة مثل مَخطوطة مار أشعيا (حوذرا)، الّتي اكتَشفها ماكومبر

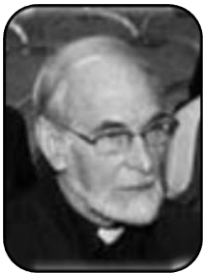

سنة ١٩٦٤، في كنيسة مار أشعيا (الموصل) ونَشَرَها سَنَة ١٩٦٦. إنّها مَكتوبة على يَد إيليا في القرن ١٠، ومَرجعها الدّير الأعلى في الموصل. بحسب ملاحظة في مَخطوطة الحوذرا كان الكتاب يَحتوي على الصّلوات لِمدار السّنة كلها بحسب نِظام مار جبرائيل ومار إبراهيم المعلمَين المسكونيّين اللّذَين عاشا في الدّير الأعلى. ازدَهَرَ هذا الدّير خِلال الفَترة السّلجوقيّة التركية (١٠٥٥-١٣٥٨) وواحد من جثالِقَة هذِهِ الفَترة هو العلاّمة مار عبديشوع الأول (٩٦٣-٩٨٦)، دَرَسَ في الدّير الأعلى وقام ببعض التّجديدات الطقسيّة. أثّر هذا الدّير على طَريقة مُمارَسَة طَقس كَنيسة المَشرق كما يَظهر مِن خلال عدد كبير من المخطوطات الّتي وُضِعَت خلال هذِه الفترة. أما مَخطوطة مار أشعيا فمِن صِفاتِها يُمكِنُنا أنْ نَذكُر المَيل إلى التّقصير. لذا لَم تُذكَر الصّلوات العامّة المعروفة (ordo communis) وتُرِكَت أكثريّة الملاحظات الرُّتبيّة (rubrics) أو الإشارة إلى تَقرير جُملة في بداية الصّلوات، كما أنّه في بَعض الأحيان تَحفظُ نَصًّا لاهوتيًّا خاصًّا بها. في النّوافير الثلاثة لَم تُحفَظ الصّلوات الخاصّة للكاهن (حوشخفا) عندما يُصلّي لِنَفسِه قبل صلوات الإنحناء

(رفع). في بعض المخطوطات القديمة أيضًا لم تذكر هذهِ الصّلوات "الكوشافى" (ماردين ٢٢ (١٢٨٧)، والمتحف البريطاني رقم ٥٧٥٠ (القرن ١٥)، والبطريركيّة الكلدانيّة رقم ٣٦، والفاتيكانيّة السريانيّة بورجية رقم ١٥٠) في حين تَظهر الكوشافى في مخطوطة ديار بكر رقم ٥٧ (القرن ١٢، ١٢٤٠) وكامبريج ٢٠٤٦ب (القرن ١٥) والبطريركيّة الكلدانيّة رقم ٣٣٣ (القرن ١٥). من المحتمل أنها كانت معروفة لكن إستعمالَها ما زال غير مُقررًا قانونيًّا ومتروكًا لحُريّة الكاهن الفردي.

في مخطوطة كامبريج ١٩٨٤ (١٧٠٧) تُحفظ هذه الملاحظة: "بقوة ربّنا يَسوع المسيح نَكتب "قوداشا" مار ثيودورس، مُفسِّر الأسفار المُقدّسة، الّذي أتى به مار أبا الجاثليق ونَقَلَه من اليونانيّة إلى السريانيّة، عندما ذَهب إلى روما (= القسطنطينيّة) وتَرجَمَه بتعاون مع مار توما المعلم الرهاوي". وجَرَت هذهِ المُقدِّمة نَفسَها في مخطوطات أُخرى. لقد توفى توما الرّهاوي عام ٥٣٣، وكان مار أبا جاثليقًا من ٥٤٠ حتّى ٥٦٢، وبحسب هذهِ الملاحظة يُمكِنُنا القول إنّ النافور يَعود إلى نصف القرن السّادس في شَكلِه السُّرياني. في بعض المخطوطات يُضيف أنّ مار إيشوعياب الثالث أمرَ باستعمال هذا النافور خلال الفترة الزمنيّة بين الأحد الأول مِن البشارة حتّى أحد السّعانين، يَعني بثلث السّنة تَقريبًا وهي فَترة الانتظار والاشتياق.

من النّشرات يمكننا أن نذكر:

النّشرة الأنكليكانيّة في أورميا، ١٨٩٠ و١٨٩٢. يوسف قليثا، الموصل ١٩٢٨، ومُجدّدًا على يد مار كيوركيس صليوا: بغداد ٢٠٠٤. نشرة الـ "قداس الكلداني" :في الموصل: ١٩٠١، ١٩٧٣. النّشرة النّقديّة[١]: فادكل، كوتايام ١٩٨٩.

ثانيًا: التّرتيب

في أكثريّة المخطوطات والنشرات يَتبَع نافور ثيودورس تَرتيب نافور الرّسولَين يَعني التّقسيم إلى أربعة أقسام، يَحتوي كل واحدٍ مِنها على مَجموعة مِن الصّلوات، لكن كما ذكرنا لم تَذكر الكوشافا في أقدم المخطوطات. أما التّقسيم فهو كالآتي:

١. كيكلا (ܟܝܟܠܐ) وهي صلاة المُحتَفِل عِندما يَتَقَرّب مِن المَذبَح ويَتبَعها صلاة انفراديّة (كوشافا) مع الانحناء (كهانثا) والتّمجيد (قانونا) مع جواب "آمين". جبرائيل القطري يُسمّي هذهِ المجموعة بـ"الصّلاة أمام المذبَح". ثم تَجري رُتبَة السّلام مع قراءة الديبتيك (الصلوات الستة) وكرازة الشّمّاس. خلال هذا الوقت يَرفع الكاهن المنديل عَن القرابين ويُبخِّرها احتفاليًا. أخيرًا يوجّه

[١] راجع:
J.Vadakkel, *The East Syrian Anaphora of Mar Theodore of Mopsuestia* (Or.Instit.ofRel.Stud.India 129), Vadavathoor, Kottayam 1989.

المُحتفل الكلام إلى المُجتمعين من خِلال الحِوار الافتتاحي للنافور.

٢. كوشافا – كهانثا – قانونا (= القدّوس).

٣. كوشافا – كهانثا (مع الكلام الجوهري وصلاة الذكرى) – قانونا (مع دعوة الشمّاس).

٤. كوشافا – كهانثا (مع الطلبات وأخيرًا الاستدعاء للروح القدس) – قانونا مع "آمين".

ثالث:ا: النّصوص بحسَب مَخطوطَة مار أشعيا

(١) **الانحناء الأول**[٢]: (ك ١) "أيُّها الرّبّ الإله القوي القادِر على الكُلّ، الّذي هو الوَحيد الأبدي وهو خَالِق جَميع البرايا، المَلك المَجيد الّذي صَنَعَ عَظائم لا تُدرَك، وأمورًا مَجيدة وسامية لا توصَف.

أنتّ الّذي بتَدبيرٍ عَجيبٍ ورَهيب، قامَ بـه بناسوتنا وحيدُك (ربُّنا يسوع المسيح)، جـدَّدتَنا في حياةٍ جَديدة، ومَنَحتَنا عَربونَ الـرّوح القُـدُس في قلوبنا، وأهّلتَنا لِمَعرِفَةِ هـذِهِ الأسـرار (المجيـدة) المُقدّسة، وأهّلتنا بنعمَتِكَ ونَحنُ لا نَستحقّها، ليس أنْ نَدنو ونُكمّلها فحسَب، بـل أنْ نتناوَلَهـا وأنْ نَشتَرِك فيها.

فلا تَنظُر يا رَبّ إلى نَقصنا وضَـعفِنا، بـل بنعمَتِكَ ورَحمَتِكَ الفائِضة، إملأنا نعمَـةَ الـرّوح القُدُس حتى إذا ما وَقفنا أمامَكَ بنيّةٍ صافية، ونُقدِّم لك هذه الذبيحة (**جسمك**) الحيّـة والمُقدّسـة والمقبولة وغير الدّمويّة، نَجـد أمامَـكَ النِّعمـة والرّحمة".

القانون: مَع جَميع الّذين أرضوكَ مِن الأبَد، بنعمَةِ وَحيدِكَ ورَحمَتِه، لَكَ ولَهُ وللروح القُدس، نـؤدّي المَجدَ والوقار والشُّكرَ والسّجود، الآنَ وكُلَّ أوانٍ وإلى أبَد الدّهور. آمين.

ويقول الكاهن: السّلامُ مَعَكُم

ويَرد الشّعب: مَعَكَ ومَعَ روحِكَ

ويقول الشمّاس: تبادَلوا السّلام بحُبِّ المسيح.

(ملاحظة: توافِق الفكرة مع مُحتوى الكهانثا الأولى في نافور الرّسولين، مع أنّنا نَسمَع تَعابير جَديدة في ما يَخصّ مُصطَلَح "الملك" المتوجّهة إلى الآب وطَلَب نِعمَة الرّوح القُدُس لِتَقدِمَة الذّبيحة).

القانون: لِتَكُن نعمَةُ رَبِّنا يَسوع المسيح ...

ويكمل: في عُلى عقولكم

ويردون: عندكَ يا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب...

ويكمل: يُقرّب القُربان ...

ويردون: يليقُ ويَجب.

ويقول الشماس: السّلامُ معنا...

(٢) **الانحناء الثاني**: (ك ٢) "يَليقُ يا رَبّ في كُلّ الأيام، ويَنبَغي في جَميع الأزمـان، وفي كُـلّ السّاعات أنْ نَشكُرَ اسمَـكَ القـدّوس ونَسـجُد لسيادَتِكَ في كُلّ مَكانٍ ومَوضع، لكَ يا الله، يا أبـا

[٢] حقق الأب ألبير أبونا ترجمة نافور ثيودورس بحسب النص الكلداني المطبوع (١٩٠١) واستعملنا – مشكورًا– هذه الترجمة لكن مع التغييرات بحسب نص مخطوطة مار أشعيا.

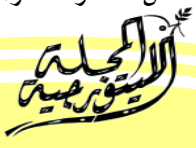

الحقّ الجوهر الأزلي، ولابنكَ الوَحيد ربّنا يَسوع المسيح، وللروح القدس إلى أبد الدهور.

فأنتَ الربُّ خالِقُ كُلِّ ما يُرى وما لا يُرى، فأنت بابنكَ الوحيد الإله الكلمة، الذي هو نورُ مَجدِكَ وشُعاعٌ مِنكَ وصورَةُ جوهَرِكَ، خَلقتَ وأسّستَ السّماءَ والأرض وكُلَّ ما فيهما، بالرّوح القُدُس روح الحقّ، الّذي هو مِنكَ، أيُّها الآب.

جَميعُ الطبائع النّاطقة المَنظورة وغير المنظورة تَتَلَقّى القوّة والتّقديس، وتؤهّل لتؤدي المجدَ لألوهيّتِكَ المَسجودة. أمامَكَ أيُّها الإله أبا الحقّ وأمام ابنكَ الوحيد ربّنا يَسوع المسيح وأمامَ روحِكَ القدّوس، تَقِفُ الوفٌ وربواتٌ من الملائكة القدّيسين، أولئك الّذين لِنَعيم حياتِهم يُقدّسون اسمَكَ العَظيم القدّوس، دائمًا بإرادَتِهم المُستقيمة، وقد أهّلت يا رَبّ أيضًا الجنسَ البَشري الضّعيف والمائت أن يؤدّي المَجدَ والاكرام مَعَ جموعِ السّماويين لسيادَتِكَ المُسلّطة على كُلِّ شَيء، مَعَ الّذين يُرتّلون دومًا أمامَ عَظَمَةِ قداسَتِكَ، وأن يُسبِّح ثالوثك المجيد"...

القانون: وهم يَصرخونَ ويُسبِّحون بلا انقطاع ويتنادون قائلين: قدوس ...

(ملاحظة: بالمقارنة مع نافور الرّسولين نلاحظ استعمال "الاسم" تعبيرًا عن عَظَمَة الله ويُميّز النافور الثاني أكثر بين فعاليات الأقانيم الثلاثة، مع ذِكرى الخَلق للآب بتَعاون "الكلمة" نوره و"شعاع جوهره" والرّوح القُدس الّذي مِنهُ. في الإشارة إلى الملائكة تَرجع العِبارة المعروفة من الرّسولين: ألوف وربوات المستعملة في الرّسولين).

(٣) الانحناء الثالث: (ك ٣) "حقًّا يا ربّ أنتَ قدّوسٌ إلى أبد الدهور. أنت قدّوس يا أبا الحقّ وقدّوس أيضًا ابنَكَ الوَحيد ربّنا يَسوع المسيح، وقدّوسٌ أيضًا حقًّا الرّوح القُدُس الطبيعة الإلهيّة غير المخلوقة التي خَلَقتْ كُلّ شيءٍ، ذاك الّذي طَبيعيًا قدوسٌ حقًّا من الأزل، وقدّوسٌ اسمُهُ، وقدّوسٌ سَكنه.وهو يُقدّس حَقًّا جَميع الّذين يؤَهّلون لتلقّي مَوهبَة نعمَتِه. ونؤدّي المَجدَ والاكرام والشُّكرَ والسّجود للآب والابنِ والروحِ القُدُس، الآنَ وكُلَّ أوانٍ وإلى أبدِ الدّهور.

نَسجدُ لك يا رَبّ ونشكرك ونُمجّدُك على جَميع نعَمِكَ علينا. فإنّك خَلقتَنا مِنَ العَدَم، وأهّلتَنا للاكرامِ العَظيم للحرّية والفَهمِ والمَعرفة، ولأنّك مِنَ الأزل وفي كُلِّ ساعةٍ أنتَ مُهتمٌ بحاجاتِ حياتنا.فنَركَع ونَسجُد أمامَ اسمِكَ العَظيم والرّهيب، ومَعَنا تُمجّد وتَشكُر الجُموع السّماوية أيضًا، على نعمَتِكَ التي لا تُوصَف. فلأجلنا نَحنُ البَشر، ولأجلِ خلاصِنا، الإله الكلِمة الوَحيد، لم يَعتدَّ مساواتَهُ لله غَنيمة، بل أخلى ذاتَهُ واتّخذَ صورةَ عَبدٍ، إذ نَزَلَ مِن السماء ولَبَس ناسوتنا، جسدًا مائتًا ونفسًا ناطقة وعاقلة وخالدة، من البتول القدّيسة. وبواسطتِها (الطبيعتين)، اكمَل وحقّق كُلَّ هذا التّدبير العظيم المُذهل، الّذي كان مُصمَّمًا بسابق مَعرفَتِك قبل وجود العالم.وقد حَقّقْتَه الآن في الأزمنةِ الأخيرة، بوساطةِ ابنكَ الحَبيب ربّنا يَسوع المسيح الّذي فيه سَكَن امتلاءُ اللاهوت جسديًّا، وهو رأسُ الكنيسة وبكرُ الرّاقدين، وهو كمالُ كُلِّ شيءٍ وبه يُكمل الكل، ذاك الّذي بالرّوح الأزلي قرّب نَفسَه لله بلا عيب. وقدّسنا

بذبيحة (**ذبيحة**) جسدَه مرّةً واحِدةً، وصالَحَ بدَمِ صَليبِهِ ما في السّماء وما في الأرض. ذاكَ الّذي يُسلَّم لأجل خطايانا، وقام لكي يبّررنا. الّذي مع رُسُلِهِ القدّيسين، في تلك الليلة التي أُسلِمَ فيها، عَمَلَ هذا السرّ المُقدّس الإلهي حينما أخذَ خُبزًا بيدَيه المُقدّستين وبارَكَ وكَسَرَ وأعطى تلاميذه قائلاً: هذا هو جَسَدي الّذي يُكسَر لأجلِ حياةِ العالم، لِمَغفِرَةِ الخطايا. وهكذا أيضًا على الكأس شَكَرَ وأعطاهُم قائلاً: هذا هو دَمي للعَهدِ الجَديد الّذي يُهراقُ لأجلِ كَثيرين لِمَغفِرَةِ الخطايا. خذوا جَميعكم وكُلوا من هذا الخبز، واشربوا مِن هذِهِ الكأس. هكذا تعملون كُلّما تَجتَمِعون لِذكري.

وكما أوصيتَنا اجتَمعنا نَحنُ أيضاً عَبيدَك الضُّعفاء، المساكين، لِنُقيمَ بسماحِ نعمَتِكَ هذا السرّ العَظيم المُقدّس الإلهي الّذي به صار خلاصٌ عظيمٌ للبشر كُلّهم".

القانون: ونَرفَع المَجدَ والإكرام والشُّكرَ والسّجود للآبِ والابنِ والروحِ القُدُس الآن وكُلّ أوانٍ وإلى أبَد الدّهور.

(ملاحظة: بصورة عامّة تَتبَع هذِه الصّلاة أيضًا ترتيب نافور الرّسولين وأفكارَها. بما يخصّ الكلام الجوهري تَستَعمِل الصّلاة نص الرسالة الى أهل فيلبي (٢)، بحسب الـ "فشطا-البسيطة"، مع أخيرًا التّعبير القديم "اجتَمَعنا نَحنُ عَبيدَك الضُّعفاء..." لكن بحسَبِ لاهوت ثيودورس عن الإنسانيّة الكاملة مع فِكرَة "الذّبيحة" وتَسلسُل أحداث حياة المسيح الأخيرة. مع تَوضيح دور الرّوح القُدُس السّاكن في المؤمن ليُقدسه).

(٤) **الانحناء الرابع: ويقوله الكاهن بهدوء:**

(ك ٤) "نَسجدُ لكَ يارَبّ، نَشكُرُك ونُمجّدُك. فإذ لانَستَحقُّ بالنّظر إلى خطايانا،قرَّبتنا إليك برحمَتِكَ الكثيرة، وجدَّدتَنا وقدَّستنا بنعمَةِ الرّوح القُدُس، وأهّلتَنا لِنَخدُمَ أمامكَ هذهِ الخِدمة الرّهيبة والإلهيّة لِخلاصِ حياتِنا، كما نَعتَرِفُ أمامَكَ شاكرينَ للنعمة العَظيمة، لأجلِ الخلاصِ الكبير الّذي صارَ لِجميعِنا، بابنكَ الحَبيب ربّنا يَسوع المسيح. ونُقدِّم أمامَ ثالوثِكَ المَجيد بقلبٍ مُنسَحِق وروحٍ مُتَّضِع، هذهِ الذّبيحة الحيّة والمُقدّسة والمقبولة، (سر) حَمَل الله حامِل خطيئة العالم. ونَحنُ نَلتَمِسُ مِنكَ ونَتَضرّع إليك أنْ تَرضى يارَب، أُلوهتُك المسجودة فيُقبَل برَحمَتِكَ هذا القُربان الطّاهر والمُقدّس الّذي به سُرِرْتَ وارتضيتَ لأجلِ خطايا العالم.

والآن أيضًا يارَب يُقرَّب هذا القُربان أمامَ اسمِكَ العَظيم والرّهيب لأجل الكنيسة المُقدّسة الجامعة كُلّها،لكي يَحُلَّ فيها أمنُكَ وسلامُكَ جَميعَ أيامِ العالم.ولتَبتَعِد عَنها الاضطهادات والاضطرابات والخصومات والانشقاقات والانقسامات، وليَتِمَّ الوفاق بين جَميعنا، بقلبٍ طاهِر ومَحبّةٍ كاملة.

ولأجل آبائنا القدّيسين، مار ... الجاثليق البطريرك وجميع الأساقِفة والقُسُس والشمامسة، الّذين هم في هذِهِ الخِدمة الحقّ، فيقوموا ويَخدموا أمامَكَ بطهارَةٍ ونَقاوة وقداسة، ويرضوا إرادَتَك لكي يَستَحِقّوا أنْ يَنالوا مِنكَ درجاتٍ حَسَنة ورَفيعة، عِند تَجلّي ربّنا يَسوع المسيح. ولأجلِ جَميعِ أبناءِ الكنيسة المُقدّسة الجامعة لكي يَتربّوا في السّجود لسيادَتِكَ في الإيمان الحقّ والأعمال

الصّالحة والفاضِلة، لِخلاصِ حياتِهم. ولأجلِ عَبدِكَ الخاطىء والمُذنب، لكي بنعمَتِكَ تَغفر خطاياي وتَتجاوَز عن جَهالاتي، التي بمعرِفَتي أو بغير مَعرفتي أخطأتُ وأذنَبتُ أمامك.

ولأجلِ جَميع الّذين لأجلِهِم يُقدَّم هذا القربان، لكي يَجدوا أمامَكَ الرّحمة والحنان فيحيوا.ولأجلِ ثِمارِ الأرضِ والمناخ، ليتبارَك مَدارُ السّنة بنعمَتِك. ولأجلِ الجنس البشري كُلّه الّذين هم في الخطيئة والضلال، لكي تؤهّلهم بنعمَتِكَ يارَبّ إلى مَعرِفَة الحقّ والسّجود لسيادَتِكَ، ليَعرفوك أنّك أنتَ إله الحقّ وَحدَك، الصّالِح الّذي تُريد أنْ يَحيا جَميع الناس ويَبلغوا إلى مَعرِفَة الحقّ، وليَعرِفوا أنّك أنت الرّبّ مِن الأزل وإلى الأبد، الطّبيعة الإلَهيّة الّتي لَم تُخلق وهي خَالِقة كُلّ شيء، الآب والابن والرّوح القدس. ولأجلِنا نَحنُ البَشر ولأجلِ خلاصِنا، ابن الله، الله الكلمة لَبِسَ إنسانًا كاملاً، ربّنا يَسوع المسيح، وكَملَ وتبرَّر بقوّة الله والرّوح القُدَس، وهو الوسيط بين الله والبَشر، وهو مانح الحياة الجديدة الأبديّة لِجَميع الّذين به يَقتربوا إلى الله الآب الّذي لَهُ التّسابيح والبركات إلى أبد الدّهور آمين.

أجَل يارَبّنا وإلَهنا إقبل مِنّا بنعمَتِكَ ذَبيحةَ الشُّكر هذهِ، وهي ثِمارُ شِفاهنا الناطقة، لِتكون أمامَكَ ذِكرى صالحة للأبرار الأولين، والأنبياء القدّيسين، والرُّسل الطوباويين، والشُّهداء والمُعترفين، والأساقفة، والقُسُس والشمامسة، وجَميع أبناء الكنيسة المقدّسة الجامعة، الذين بالإيمان الحق انتَقلوا من هذا العالم.

لكي بنعمَتِكَ يارَبّ تَغفِر لَهُم جَميع الخطايا والذنوب الّتي، في هذا العالَم، بالجسد المائت والنّفس المُتغيّرة، أخطأوا وأذنبوا أمامَكَ، إذ ليس إنسانٌ لايُخطىء، ونَسألُكَ أيُّها الرّب، ونَتَضرّع إليك، ونَسجدُ لَكَ، نَتَوسّل إليك أنْ تَرضى أُلوهيتُك المسجودة ورَحمتك.

ولتأتِ علينا وعلى هذا القربان نعمَة الرّوح القُدُس تَنْزل وتَحِلّ على هذا الخبز، وعلى هذهِ الكأس، لِتُباركهما وتُقدّسهما وتَختمهما باسم الآب والأبن والرّوح القُدُس، وليكن بقوّة اسْمِك هذا الخُبز جَسدُ ربّنا يَسوع المسيح المقدّس، وهذهِ الكأس دَمُ رَبّنا يَسوع المسيح الكريم.

لكي كُلّ مَن يأكُل مِن هذا الخبز بالإيمان الحقيقيّ ويَشرب مِن هذهِ الكأس، يكونُ له يارَبّ لِغُفرانِ الذّنوب ومَحوِ الخطايا، وللرجاء العظيم وللقيامة من بين الأموات ولِخلاصِ جَسَدِهِ ونَفسه وللحياة الجديدة في مَلكوت السّماء وللمَجد إلى أبد الآبدين.

وأهِّلنا جَميعنا، بنعمَةِ ربِّنا يَسوع المسيح، مع جَميعِ الّذين أرضوا مَشيئتك وعاشوا بحسَبِ وصاياك، أنْ نَفرح في مَلكوتِ السّماء بالخيراتِ العَتيدة الّتي لا تَزول".

القانون: وهنا وهناك، جَميعُنا معًا، نَشكُرُ ونَسجُد ونُمجّد الآبَ والابنَ والروحَ القُدُس، الآن وكُلّ أوانٍ وإلى أبد الدهور.

ويجيبون: آمين.

(ملاحظة: في بداية الصّلاة تُذكَر بَعض الأفعال المُستعمَلة في "الصّلاة للمسيح" في نافور الرّسولين.

وتَجري هُناك بَعد الكلام الجوهري. تَتبَع هذهِ الصّلاة تَرتيب نافور الرّسولين عِندما تُقدَّم الطّلبات قبل استدعاء الرّوح القُدُس وجوهريًا تَطلُب نَفس النِّعم لِصفوف القدّيسين وأبناء الكنيسة وفي الصّلاة لِهبوط الرّوح القدس تذكر نفس النتائج المعروفة من "الرسولَين"..).

رابعًا: ثيودورس والنافور المنسوب إليه

يظهر أنَّ مؤلف النّافور المَنسوب إلى ثيودورس كان يَعرِف أفكارَ المُفسِّر خاصّةً كما تُحفظ في التّرجمة السُّريانيّة للميامر التعليميّة. هُناك أخذ ثيودورس يَستَعمل عبارة "نِعمَة الرّوح القُدُس" عِوضًا عن التّعبير البسيط "الرّوح القُدُس". كما أنَّ ثيودورس كان يُشدِّد على إنسانيّة المسيح الكامِلة، ضِدَ أبوليناريوس، جَسَدًا مائِتًا ونَفسًا خالِدة، مَعَ الإشارة إلى حُرّية الكلمة وطاعتِهِ على ضَوء الرسالة الى أهل فيلبي (٢) والرّسالة إلى العبرانيين. في هذا المجال ظَهَرَ مُصطَلَح "الذّبيحة"، غير المعروف في "الرّسولَين"، وله أهمية في التّدبير الإلهي المُعترَف به من قبل الخَلق، والّذي يَحضر في سرّ الإفخارستيا.

في الانحناء الرابع تُذكر ٣ مرات كلمة "السرّ". إنّه مَفهوم مَركزي في الميامر التعليميّة، "سرّ حَمَل الله" والمَقصود مِنهُ الإفخارستيا كسرّ تَدبير المسيح، حياتَه وآلامَه وصَلبَه وقيامَتَه. إنّ الإفخارستيا هي ذِكرى آلام المسيح وذَبيحَتَهُ، الّتي تَحضر في الاحتفال سرّيًا وحقيقيًّا. عندما جَعلَت صلاة استِدعاء الرّوح القُدُس في النّهاية تذكر سرّ قيامَة المسيح بقوّة الرّوح القدس، كما أنّ نَفس الروح أيضاً يحضَر في القرابين والمؤمنين، نظرًا وتَحضيرًا لقيامَتِهِم الأخيرة. بهذِه العملية طَبّقَ المؤلّف أفكار ثيودورس بما يخصّ المسير الرّوحي لِتَسلسُل الحوادث الأخيرة (الحُكم، الصّلب، القيامة) على مراحل الإفخارستيا المُختَلِفة.

خامسًا: نافور ثيودورس ونافور الرَّسولَين

في القرن السّادس أثّر لاهوت ثيودورس على ليتورجيا كَنيسة المَشرق بطريقة أساسيّة وجوهريّة، وتمّ ذلك على حِساب اللاهوت السُّريانيّ القديم مع تَخفيف بعض مَفاهيمه ومَواقِفِه وتَرك تَعبيره القديم. أُلِّف نافور الرّسولَين قبل هذا التأثير، ويَختَلف هذا النافور تمامًا عن الثاني. مع أنّ مؤلّف نافور ثيودورس عَرَفَ "الرّسولَين" ويَنقل تَرتيبَه ويَحفظ بعض المصطلحات، لم يُفهم بعد حقيقةً مَعنى النّافور القديم بذاتِ نَفسِه. يَظهر هذا الموقف عِندما يَترك صلاة الذِّكرى القديمة المتوجِّهة للمسيح، والّتي شَكّلَت جَوهر النّافور القديم. في هذا المجال يَتَبَيَّن الاختلاف في فَهمِ مَعنى "التّكريس". لم يكُن النّافور القَديم يَقصد "تَكريس" المواد بالدرجة الأولى، بل يُريد حُضور القوّة

الخلاصيّة مِن خِلال ذِكرى الأفعال الماضية. وكأنَّ خطًّا عموديًّا يَربط بين الأبعاد المُختلِفة في دَربٍ واحد، ويَجمَع بين الماضي والمستقبل في شِدّة الصّلاة الحاضِرة. مِن خِلال ذِكرى نِعمَة الأفعال الخلاصيّة العَظيمة كانت الجماعة الكنسيّة تَشكُر وتَمدَح مَجدَ الله، وبواسطتِه حَضَرَت الطاقة الفدائيّة على القرابين في الاحتفال بفضلِ النّار والرّوح القدس. إنّ قوّة هذا النّافور في الذِّكرى التكريسيّة، أو بالأحرى الذِّكرى الّتي تَتَحَقّق في الحاضر. كون هذا النّافور على مِثال ما وَرَدَ في الصّلوات التكريسيّة المَحفوظة في كتاب أعمال مار توما. إنّها صَلوات بَسيطة تُحقِّق ما تقوله. نَلتَمِس هنا لاهوت سُرياني شَديد، لَم يُفهَم على مُستوى النّافور الثاني الّذي أُلِّف في مُحيط فِكري يَختَلِف عن السّرياني القديم. في النافور الثاني يُشكر الله في الثالوث الأقدس، من أجلِ الخلق والخلاص. يُفهم الخلاص بحسَب المراحل التاريخيّة منذ الخَلق وفي حياة المسيح. إنّه تَكريس أُفقي، يَتَحَقّق من خِلال الكلام الجوهري والإشارة إلى المراحل المُختَلِفة المُتسَلسِلَة. بهذا الموقف يوافق نافور ثيودورس مع أكثريّة النّوافير من القرن الخامس والسّادس. والجَدير بالذّكر أنَّ نافور "شرر" الماروني كان مُتوجهًا إلى المسيح، وتُحفَظ فيه حرفيًّا أقدَم صلاة للمسيح الّتي تَرِد أيضًا في نافور الرَّسولَين. في هذهِ الصّلاة لم يَشكُر بحسب المراحل التاريخيّة، بل بحسَب عَشرَة أفعال، على مِثال أسلوب أفراهاط الحكيم، حيثُ يُعبِّر هذا التّعدُد عَن عُمق الخلاص الأبديّ الحقيقيّ وامتدادَه العالَمي، مَعَ التّشدُّد على التّحقيق في اللّحظة الحاضِرة. لقد عَلَقَت هذهِ الصّلاة بالاستِدعاء للروح القُدُس، في وقتٍ مُبكِّر، كما يَظهر من أعمال مار توما، تَعبيرًا عن عَلاقَة حضور الخلاص، المسيح الحيّ، بسرّ تكريس الخُبز والخَمر. فلا يُمكن تَطبيق المراحل التاريخيّة على نافور الرَّسولَين الّذي قد وُضِعَ قبلَ القرن الخامس عِندما نَقَلَ المُفسِّرون هذا التّفسير الجَديد على مراحل الإفخارستيا. ذلك من أجل المؤمنين الّذين لَم يَفهموا بعد اللاهوت السُّريانيّ القديم، وتَحتَ تأثير التَّقدُّم اللاهوتيّ عن مَفهوم "الذّبيحة". طُبِّقت مراحل تَقديم الذّبيحة على الإفخارستيا ليجذب المؤمنين إلى الاشتِراك من أجل غُفران خطاياهُم. من ثَمّ تَرَكَ النّافور الثاني بعض المفاهيم القديمة ("خُدّام النّار والرّوح"، الاتجاه إلى المسيح ...) أو غيرها وجعل في مكانِها مَفاهيمًا جَديدة (الذّبيحة إلى جانب القربان) بحسَب اللاهوت المُعاصر مِن ذلك الوقت. في مثلِ هذا المَعنى أيضًا غيّر مَفهوم صَلاة استِدعاء الرّوح القُدُس، مِن هبوطِهِ الخلاصيّ على الجماعة الكنسيّة، إلى تَكريس المواد لِتكون عَربونًا للحياة الجديدة، حياة القيامة على أساس قيامَة الرّبّ يَسوع المسيح المجيدة.

سادسًا: تسلسُل الأفكار اللاهوتيّة

في الميامر التّعليميّة يُشدِّد ثيودورس على المَعرفة ومن أجلِ الحصول على المَعرفة كان يُلقي خُطَبَهُ. بالفعل مَن يَفهم مَعنى الأسرار يُمكِنُه أنْ يَشتَرِك فيها حقًّا. في كوشافا ١ و ٤ يَظهَر مَفهوم المَعرفة الّتي تُمنَح بفَضل نِعمَة الرّوح القُدُس. تُشكِّل هذِهِ المَعرفة الحيّة نوعًا مِن الاطار لِنافور ثيودورس. في (ك ١) يَشكُر المُحتَفِل المَلِك المجيد من أجلِ التّدبير (الخلاصيّ) الّذي حَقّقَهُ المَسيح بواسِطَة إنسانيّتنا. كانَت النَتيجة مَنح عَربون الرّوح القُدُس في قلوبنا، **مَعَ مَعرِفَة الأسرار** والاشتراك فيها. فيسأل المُحتَفِل "إملأنا بنِعمَةِ الرّوح القُدُس". في (ك٢) يَشكُر المُحتَفِل بسبب "إسمِكَ، الآب والابن والرّوح القُدُس"، والّذي ظَهَرَ في الخَلق بواسطة الكلِمة والرّوح. في(ك ٣) يُمجِّد الثّالوث الأقدَس من أجل الاسم وسَكَنِه فينا لكي يُقدِّسنا. مَرّةً أُخرى يَشكُر المُحتَفِل من أجلِ الخَلق مَعَ مَنح الحُرّية **والمعرفة**. ثُمّ يوضِّح مَعنى "مَعرِفَة الأسم"، إنّها مِن أجلِ الكلِمة الّذي لَبسَ إنسانيّتنا وكمَّل التّدبير (= مراحل الآلام). عِندما قدّمَ نَفسَه لله الآب جَعَلَ السّلام بين السّماء والأرض وقامَ ليُبرِّرَنا. ثُمَّ يُذكِر الكلام الجوهري، مع الخِتام القديم: "إفعلوا هذا لِذكري كُلّما تَجتمعون" ويردّ عليه: "بحسَب أمرِكَ اجتَمعنا، نَحنُ الضُّعفاء ... العَبيد، لِنَحتَفِل بالسرّ الّذي فيه يَتحَقّق الخلاص". يعني في الاجتماع الكنسي يَحضر الخلاص بكُلِّ قوّته وحَقيقَتِهِ. في صلاة (ك ٤) الأخيرة، تُشير إلى الأفعال الخلاصيّة الّتي كَمّلها المسيح، ويُشكر من أجل هذا التّدبير. يَظهر مَفهوم جَديد: "نُقدِّم أمامَك الذّبيحة"، يَعني سرّ الحمل الّذي يَحمل الخطايا. هُناكَ أخَذَت كلِمَة قُربان مَعنى الذّبيحة الّتي تُقدَّم أمام الاسم من أجلِ السّلام. "**ليَعرِفوكَ بمَعرِفَةِ الحقّ**": أنت الخالِق، والكلمة الّذي لَبسَ إنسانَ المسيح، الوَسيط مانِح الحياة الجديدة. بعد ذِكرى العَشاء الأخير وسرّ ذَبيحة الصّليب، يُعلّق استِدعاء الرّوح القُدُس بسرّ القيامة. إلى جانب عِبارات مَنقولة من نافور الرّسولَين، يَحفظ تَفسير ثيودورس حيثُ يُطلب تَغيير المواد من أجلِ الاشتراك "الجسديّ" في سرّ القيامة المجيدة.

الخاتمة

كم من كنوزٍ غَنية تَرَكها لنا آباؤنا، وكَم من إرثٍ غَنيّ أورثونا، لكِنّنا أحيانًا لا نَستَثقِل كُلّ ذلِكَ الإرث بسببِ عَدم تَمكُّنِنا من فَهمِ جَميعِ مُفرداتِهِ وتَعليمِهِ، وأبعادِه الخلاصيّة، المُتّكِلة على الكِتاب المُقدّس والخِبرة الايمانيّة للكنيسة من البداية وإلى اليوم. حاول ثيودورس المُعلّم الكَبير لَفتَ انتِباه مُعاصريه، واليوم نَحنُ أيضًا، إلى مدى ضرورة فَهم الاسرار لِنَتَمَكّن من الاشتراك بشكلٍ فعّال وحيوي، بالذّبيحة الالهيّة غير الدّموية، المُقدّمة لنا لأجلِ خلاصِنا.

رتبة السّلام الاحتفالي لعيد القيامة

بحسب طقس كنيسة المشرق

الأب إسحاق أدونيه تمرس

مقدمة

رُتبَة السّلام الاحتفاليّة لعيد القيامة، من الرُتَب المَميّزة والمهمة ونَجدها في أغلب ليتورجيات الكنائس الرسوليّة. ما سنحاول إيضاحه عن هذِهِ الرُتبة بحسب ليتورجيّة كنيسة المشرق، سيكون بصورة موجزة وموضوعية. سنتَّبع البُعد الكتابي لكلمة السّلام حسب النّصوص الكتابيّة، في كِلا العَهدين. مع عَرض مُفصّل للبُنيّة الطقسيّة لرتبة السّلام بحسب كتاب الحوذرا الطقسيّ. والمعاني الليتورجيّة لرُتبة السّلام بحسب النّصوص الليتورجيّة مع رَبطها ببُعدها الكتابي وبيان الخُلاصة اللاهوتيّة لهذه الرُتبة.

اولا: البُعد الكتابي لكلمة السّلام حسب النصوص الكتابية

تَرِد كلِمَة السّلام في العهد القديم (٢٣٩) مرّة، و(٨٦) مرّة في العهد الجديد. أمّا قُبلَة السّلام أو القُبلَة المُقدّسة فتَرِد في هذِهِ النّصوص الكتابيّة بعهديه تسعة (٩) مراتٍ: (مثل٦/٢٧؛ نش١/٢؛ لو٧/٤٥، ٢٢/٤٨؛ روم١٦/١٦؛ ١قور١٦/٢٠؛ ٢قور١٣/١٢؛ ١تس٥/٢٦؛ ١بط٥/١٤).

إنّ السّلام الكتابيّ هو أساس السّلام المُستخدم في ليتورجيّة الإفخارستيا. ومن خلال دراسة النّصوص الكتابيّة والخاصّة بقُبلَة السّلام يُمكن اكتِشاف النُّقطة الجوهريّة الّتي نَبَعَ مِنها السّلام في الليتورجيّة المسيحيّة. إنّ مفهوم (قُبلَة السّلام أو القُبلَة المقدّسة) كان مُنتشرًا في الكنيسة الأولى، وبعض المفسّرين يرون في القُبلَة إنّها كانت في الأصل عادة يهوديّة ثم تناقلتها الكنيسة الأول[1]. وبحسب قول باركلى: "بالتأكيد لم تكن قُبلَة مختلطة بين الرجال والسيدات، بل كانت بين رجل ورجل، وبين امرأة وامرأة. وأحيانًا لم تكن تعطى على الشفاه بل على الأيدي". واما عن سبب فُقدان أو تغير هذه القُبلَة أو السّلام يُوضح باركلى مبينا انّه: "عندما تَحوّلت الاجتماعات الصّغيرة

١ الدكتور وليم باركلي، تفسير العهد الجديد-المجلد الثالث، الطبعة الأولى، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١، الصفحة ٣٩٤.

إلى اجتماعات كَبيرة وعِندما أصبَحَت الغُرف الصّغيرة كنائس كَبيرة ضاعَت الأُلفة والمودّة، وضاعَت مَعَها قُبلَة السّلام". يبدو من هذا أنّ قُبلَة السّلام هي السّلام بحد ذاتِه، وهي تَقليد ليتورجيّ عَريق وعَميق في الجماعة اليهوديّة ومنها إلى المسيحيّة أيضًا، على سبيل المثال تَسليم رَبّنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالقُبلَة.

مِن المعاني الخاصّة بالسّلام وبقُبلَة السّلام، إنها أعظم حالة إنسانيّة تدل على التّواصل والوحدة والأُلفة وعبارة ضيافيّة (أي متعلقة بالضيافة) في الثقافة الشرقيّة. والمصالحة تبدأ بالسّلام وتَقبيل الواحد للآخر وهذا دَليل على المغفرة والتّسامح وبداية لعلاقة انسانيّة جَديدة. والاطار الكتابيّ لقُبلَة السّلام هي ضمن الاطار الخاصّ بمعنى المَحبّة Agape. وينبغي التمييز ما بين الكلمات التالية:philia وeros وAgape. التي غالبًا ما تُتَرجَم في العربيّة بالمحبة أو الحُب.

ثانيا: البعد الليتورجي لقُبلَة السّلام

قُبلَة السّلام أو السّلام بذاته، يبقى من النقاط الجوهريّة في ليتورجيّة الإفخارستيا الشّرقية، ومنها كنيسة المشرق. وإلى يومنا هذا نجد أنّ رتبة السّلام تَجري بنَفس المعنى والصّورة: "يُحَي الكاهن المؤمنين قائلاً: السّلام معكم، فيُجيبون: مَعَكَ ومَعَ روحِك. فيضع الكاهن يَدهُ اليُمنى على التّقادم ثم يَضعَها على المذبح، فيَصعَد أحد الشمامسة دَرجات المَذبح (قُدس الاقداس) ويَلثم المَذبَح ويَد الكاهن وينال مِنهُما السّلام. ثُمّ يَلتَفِت الشمّاس نَحو الشّعب قائلاً: إخوتي، تَبادلوا السّلام بِحُبّ المسيح. وعند نزولِه يُعطي السّلام أولاً للشمامسة الآخرين، ثم يَتبادَل السّلام مع أحد المؤمنين في الهيكل، ويتبادله المؤمنون بينهم، واضعًا كُلّ واحدٍ كفيّه في كفيّ الآخر، بعد ذلك يُقبّل الشّخص يَديه. وهكذا يَنحَدِر السّلام مِن المذبح إلى الكاهن، ثُمّ إلى الشمامسة وأخيرًا إلى المؤمنين"[٢]. في هذهِ اللحظة التي يَتبادل فيها المؤمنون السّلام يُقرأ سفرا الأحياء والموتى، اشارة الى أنّ السّلام هو سلام اسكاتولوجيّ شموليّ كونيّ، الآن وإلى الأبد. ويَتُم تبادل السّلام قبل بدايّة رُتبة التّقديس، لأنّنا سنكون في لَحظةٍ مُقدّسة مُتصالحينّ مع بَعضِنا البَعض ومع الله الآب الّذي صالَحَنا بأبنه الوحيد وجَعلنا به ومَعهُ أبناءًا له.

ثالثا: البُنية الطقسيّة لرُتبة السّلام

ܛܟܣ ܫܠܡܐ[٣] ܕܒܝܥܐ ܕܫܘܪܪܐ

رُتبة السّلام الاحتفالي لعيد القيامة

تحضيرات للرتبة: عند بزوغ الفَجر يدخل الكهنة والشمامسة بملابس موقّرة ومزيّنة

---

٢ المطران جاك إسحق، القداس الكلداني -دراسة طقسية تحليلية، منشورات دار نجم المشرق، الطبعة الثانية، بغداد، ٢٠٠٨. الصفحة ١٤٥.

٣ ܒܝܥܐ –ܫܘܪܪܐ بمعنى: دار في البيعة بزياح. عظّم. احتفل عيداً. احتشد. اجتمع. فرح. رقص.

ولائقة. وإذا، حضر عِدة أساقفة أو أسقف واحد، يرتدون الحلّة الطقسيّة. ويدخلون قُدسَ الأقداس، مع الصّليب والإنجيل وأغصان الزيتون (أوشعنه) والمبخرة والشموع.

١. البداية: الصّلاة الربيّة. (كما تقال في الأعياد).

٢. الصلاة الكهنوتيّة الإفتتاحية: ". ܒܝܕܟ ܐܦܩܕ ܢܦܫܝ ...: أُعضُد يا ربّنا وإلهنا ضَعفَنا". والتي تعبّر عن الاحتفال بعيد القيامة الماراني، وتمجيد قيامَة الأبن الحبيب.

٣. بعد الصّلاة الكهنوتيّة الافتتاحيّة يُرتلون مز ١٥٠ "سَبِّحوا اللهَ في قُدسِه سَبِّحوه في جَلَدِ عِزَّته". ثم يُضاف إليه مز ١١٦"سَبِّحي الرَّبَّ يا جَميعَ الأمَم وامدَحيه يا جَميعَ الشّعوب". ومع كل جملة من المزمور تُقال هذه الردة "ܗܘܠܟ ܡܫܝܚܐ ܕܐܬܩܛܠ ܒܥܒܝܕ ܕܐܝܟܢܐ: نَحتَفِل بقيامة مسيح الملك هلّلوَيا".

٤. الصّلاة الكهنوتيّة: "ܐܥܕܐ ܒܢܝ ܕܚܟܝܬܐ. ܘܐܝܬ ܐܝܕܝ ܒܝܟܒܟ. ܘܒܟ ܒܟܝܬܗ ܕܒܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܕܐܬܩܛܠ ܐܝܟ ܒܥܢܝ ܟܠ ܐܢܫܐ ܘܒܩܕ ܘܐܘܒܕ ܘܐܝܟ ܕܚܟܝܬ. ܚܕ ܚܕ ܐܝܬ: أحِلَّ أمنَكَ في كُلِّ الانحاء، وقوّم بيعتَكَ بصليبكَ، واحفظ بَنيها بنعمَتِكَ، لكي يرفعوا لكَ فيها المَجدَ والوقار والشُّكرَ والسّجود في كلّ آوان رب الكَلّ".

٥. ويبدأون ترتيل هذه التراتيل الطقسيّة (ܟܘܢܕܟܬܐ ܕܩܘܕܫ). وهم في قدس الأقداس. "ܙܒܢ ܐܘܣܝ ܒܝ ܡܝܬ ܟܠܗܝ: ܒܥܘܢܢ ܘܒܕܟܢ: ܐܘܣܝ ܐܘܣܝ ܐܝܟ ܙܒܢ ܐܘܣܝ." ٤

٦. (ܡܨܦܬܐ ܒܝ ܩܕܝܫܐ: ܒܝ ܙܒܢ ܒܥܘܢܢ ܒܟܒܫ ܡܙܒܚ ܩܕܝܫ. ܘܒܕܟ ܒܥܘܢ ܒܝ ܩܕܝܫܐ ܡܝܬ ܒܕܟ ܩܕܝܫ ܚܕ ܩܘܕܫ). ٥

وفي ختام هذه التراتيل يخرجون من قدس الأقداس وهم حاملين، الصليب والإنجيل وأغصان الزيتون (أوشعنه) والمبخرة والشموع. ويرتلون (ܚܘܕܝ ܕܝܗܒܐ) أي بدايات الصورة). أمام باب قدس الأقداس، كيفما يرغبون.

٧. ܚܘܕܝ ܕܝܗܒܐ. تَتكوّن من سَبعَةِ صورٍ كتابيّة وتَتبَعها تَرتيلة بنفس المعنى الكتابي للآيّة "ܡܘܫܐ ܐܒܪܗܡ ܘܐܝܠܝܐ ܒܟ ܙܟܘ ܚܘܙܝ. ܐܒܪܗܡ ܕܒܟ ܐܝܬ ܒܟܒܫ ܒܝܬ..."

٨. مع نهايّة هذه التراتيل يبدأون في السيّر البطيء من أمام باب قدس الأقداس إلى هيكل الكنيسة وهم حاملين، الصليب

---

٤ نص إنجيلي يسبق أبياتاً من الشعر الكنسي خلال طواف أو الزياح.

٥ آية كتابية، مستقاة عادة من العهد الجديد، تسبق الترتيلة.

والإنجيل وأغصان الزيتون (أوشعنه) والمبخرة والشموع. ويخرجون إلى (بيت الصلاة[٦]) في فناء الكنيسة.

٩. ثم تُضاف إلى هذه التراتيل "الألحان المساعدة"[٧]، ثم المجدلة. "حقكل. حكم ثمهنبب. يهوذكبج موبج بذكم. جج بوصبقا ٨كج هوبه معجبتا. حذبقا سؤوو بذكيك موذكبج هوبه. بعقتم بذيبج هوقا حوصوذ وكعصيجا حجبتا وجمتا.."

١٠. يكفقا. كعيوحدوصوو هذد .صلاة الكاهن: وهي خاصة بالأعياد الربانيّة فقط.

١١. القانون: "هعفقا[٨]". "حيجقا سجد. هذتا بعكج ٨وصج بذكم." ترتيل مزمور٩٧ "الرَّبُّ مَلَكَ فلتَبتَهِجِ الأَرض ولتفرَحِ الجُزُرُ الكَثيرة!"

١٢. يعجنفسكا. التسبحة: تُقال هنا تسبحة خاصة وقصيرة. (شجب نعفقا جيتا وكبكيجا. موكس جمتبج هصبب يعجنفسكا ✣ جمتعصوه بجدا تووو يحتقا. وصوقا هذكوكا مذعكج حمسكا.)

١٣. المُناداة: وتُقال من قبل شمّاسين بصوتٍ مَسموع. حذفووقا. هجذوبب كم ٨ذب هجعتقا حقكل حعبكل. " حعوم جعبذ حكب حبيوقا. ٨حد:ك: وجتب. هعبتل حكفا ويكتا مجتا وسكتا...: المسيح سلامُ العلويين وآمان السفليين".

١٤. صلاة كهنوتية: مزدوجة وهي عادة ما تُقال من قبل الأسقف – إذا كان حاضرًا. يكفقا. بعقا كب هذ، موكج ويوجعم حوجبووم بعكفج: أهِّلنا يا ربّنا وإلَهَنا لِنَتَنَعّم بنعمَةِ سلامِك".

سجذقا: حكفج هذد ٨ه وذجزوه هكبكجا.

١٤. ويهتفون الشمامسة جميعهم بصوت واحد ومسموع: "تبادلوا السّلام بِحُبِّ المسيح" ثلاثة مرات. ومن ثم يتبادل الجمع السّلام مع بعضهم البعض. حيث يلثمون الصليب والإنجيل. والذي يتبادر في المجيء يقول: قيامة ربنا. والواقف في مكانه يُجيب: القيامة والحياة والتجدد (فلتحلّ) عليكَ.

موهذب هوجبقا ٨جا: بوصبقا مجذ: حعبتا بجبتا.

١٥. ترتل في هذه الأثناء ترتيلة "بصلبه". هنا يدخل الجمع إلى داخل الكنيسة أي الهيكل.

هكفعوقا ٨جا.حجوجا قسكتا.

١٦. ثم يُقرأ "التعليم الكنسي الخاص بعيد القيامة".

---

٦ يوجد عن يمين الساحة إيوانا مسقفاً يسمى "بيت الصلاة" يستخدم لإقامة صلاتي الصباح والمساء والقسم الأول من القداس، أي رتبة كلام الله خلال فترة الصيف الحارة، أي منذ عشية عيد الصعود حتى الأحد الأول من زمن تقديس الكنيسة. ولها ابعاد لاهوتية أخرى لن نتطرق لها لموضوعية الموضوع.

٧ مجموعات من الأبيات الشعرية، يختارون مجموعة ترتل في ختام جلسة الصلاة.

٨ ردَّة ترافق آيات المزمور. وامتد معنى (قانونا) ليشمل المزمور وردته.

١٧. ܡܒܪܟ ܟܗܢܐ ܒܨܠܘܬܗ. ܡܟܝܠ ܠܡܒܪܟ ܒܟܠ ܒܪܟܬܐ. ܐܡܝܢ.

ثم ترتّل البركات من قبل الكاهن، وفي نهايّة كل بركة يُجيب الجمع بآمين. (الخاتمة).

رابعا: المعاني الليتورجيّة لنصوص رتبة السّلام

ترتكز رتبة السّلام أو (قُبلَة السّلام)، على الحدث الفصحي لربنا يسوع المسيح، بمعنى أدق إنّ النصوص الليتورجيّة المُستخدمة في هذه الرتبة تنطلق من حدث دخول يسوع المسيح إلى أورشليم مرورًا بآلامه وصلبه وموته وقيامته. خارج هذا المحور الأساسي لا يمكن فهم رتبة السّلام. ومُعظم النصوص تؤكد على ذلك. لذا، سنوجز أهم المعاني الليتورجيّة التي تنص عليها نصوص رتبة السّلام بالنقاط التالية:

١. **الصلوات الكهنوتية:** تحتوي الرتبة على أربعة صلوات كهنوتية:

الصلاة الأولى وهي الإفتتاحية: تُجسد المعنى الأصيل لصيغة الصلوات المشرقية، لأنها تبدأ بصيغة الصلاة المستخدمة في القداس الإلهي، "اعضُد يا ربّنا وإلَهَنا ضَعفَنا". وتمتاز بمعنى احتفالي (عيد)، وعيد ماراني (أي انه احد الأعياد الربيّة)، (عيد القيامة).

الصلاة الثانية: وهي صلاة تسبق (العونيتا)، هذه الصلاة نفسها المستخدمة في سابوع الصليب، تُقال قبل (الشورايا) في صلاة المساء لأيام الآحاد. ومعناها مرتبط بالصليب، لأنّ الكنيسة به تأسّست، وبه حلّ الأمان في ربوع العالم.

الصلاة الثالثة: وهي صلاة خاصة مرتبطة بالأعياد المارانيّة فقط، وتُقال قبل (الشورايا) في صلاة المساء. ومعناها مرتبط بالتدبير الإلهي، والأعياد المارانيّة هي أعياد التدبير الإلهي بشخص يسوع المسيح محور التدبير.

الصلاة الرابعة: وهي صلاة مزدوجة، تعبر عن معنى السّلام والأمان، الذي بُشر به من قبل الملائكة. وبه حل زمن الفرح، بمعنى عيد القيامة.

٢. **المزامير:** مز ١٥٠: "سَبِّحوا اللهَ في قُدسِه سَبِّحوه في جَلَدِ عِزِّه". معاني المزمور تتفق مع الاحتفال الليتورجي، وبدايّة الليتورجيّة تكون من قدس الأقداس التي هي قُدسه. والطابع الاحتفالي واضح في استخدام الآلات الموسيقية، والتي كانت تُستخدم في الأعياد والمناسبات القوميّة أيضًا. والمعنى الشمولي والكوني لحدث الخلق يتحدد في الآية ٢ عن سبب التسبيح، لأنّ القيامة تعبر عن خلق جديد. ثم يُضاف إليه مز ١١٦: "سَبِّحي الرَّبَّ يا جَميعَ الأمَم وامْدَحيه يا جَميعَ الشّعوب". هو امتداد لمزمور ١٥٠ بعلاقته

الشموليّة والكونيّة من ناحيّة الأُمم والشعوب، وبروز رحمة الله لكل الشعوب، لكن نودّ أن نوضح أنّ النص السرياني يُعبر عن الرحمة بـ "النعمة". مز٩٧: "الرَّبُّ مَلَكَ فلتَبتَهِجِ الأَرض ولتفرَحِ الجُزُرُ الكَثيرة!". البُعد الإسكاتولوجي هو مركز هذا المزمور، المنتصر هو الله والأبرار، والأبرار بتمسكهم بإيمانهم حتى النهاية. والفرح سيكون بخلاص عظيم لمدينة صهيون. والكل مرتبط بالمخلص الذي خلّصنا وحقق الخلاص النهائي الآن وإلى الأبد.

٣. التراتيل المرتّلة في هذه الرتبة:

<u>الترتيلة الأولى</u>: وهي عبارة عن أبيات شعريّة قصيرة جدًا، تتغنى بكل الأعياد المارانيّة والتدبير الخلاصي وذكرى الآباء والقديسين، والشهداء مثل اسطفانوس. ومن ثم سنجد أبيات أخرى تخص الصليب ووصف عمليّة الصلب ومفاعيل الصليب، ومن ثم أبيات عن القيامة والمجد، وباعتبار موت مخلصنا هو لخلاص وتقديس كنيسته. وتُرتّل كل هذه التراتيل في قُدس الأقداس.

<u>الترتيلة الثانية</u>: ܫܒܚܬܐ ܕܝܘܡܐ. تتكون من سبعة صور كتابيّة وتتبعها ترتيلة بنفس المعنى الكتابي للآية. النص الأول: هو من سفر اشعيا النبي (٦٠/١-٢)، لكن مع تغير طفيف في النص وهو: أنّ كلمة (الشعوب) تم استبدالها بكلمة (صالبيه). والفكرة واضحة جداً، فبهاء أورشليم سيكون بهاء الكنيسة (بمفهومها الجامعي). النص الثاني (اش٦٠/٣-٥). النص الثالث (يو ١٩/٣٣-٣٥). النص الرابع (يو ١٩/٤١-٤٢). النص الخامس (يو ١٩/١٦-١٨). النص السادس (يون ١/١٧ب-٢أ، ١٠). النص السابع (دا ٩/٢٤أ-٢٥ج، ٢٦أ و ب). هذه النصوص الكتابيّة التي تُعبر عن اكتمال النبوءات الخاصة بيسوع المسيح من قبل الأنبياء اشعيا ويونان ودانيال. والتراتيل التي تتبع هذه الآيات هي تفسير لمعنى النص الكتابي. وتكتمل هذه التراتيل بتراتيل أخرى، التي تقتصر في المعنى الليتورجي على شرح عمليّة الصلب ومعنى الصليب. وهي في إطار النص الكتابي إذا ما قورن معنى الترتيلة بالنص الكتابي. هذه الأبيات الشعريّة تعتبر من النقاط الجوهريّة التي تخص المفهوم اللاهوت لمعنى الصليب في كنيسة المشرق، وهي في إطار الوحي الإلهي الشمولي والكوني لحضور الله مع الإنسان في كل مراحل حياته الأرضية. وتُضاف "تراتيل الألحان المساعدة"[٩]، ومن ثم ترتيلة المجدلة، التي

٩ مجموعات من الأبيات الشعرية، يختارون منها مجموعة

تخص بمجد القيامة، وحقيقة القيامة والإيمان بها، وظهور يسوع لتلاميذه ومن ثم قصة توما وإصراره على رؤيّة يسوع المسيح شخصيًا.

٤. **المناداة**: تُعتبر هذه المناداة القمة اللاهوتيّة في تفسير ومعرفة رتبة السّلام أو قُبلَة السّلام أو القُبلَة المُقدسة. ففيها سنجد أصالة لاهوتيّة مشرقيّة وبأبعاد كتابيّة وليتورجيّة مُعاصرة. فالطلبات التي تحتويها المناداة تنص على مفهوم السّلام المسيحي الحقيقي الذي ينبع من القيامة، والقيامة بمفهومها الكوني الشمولي (الروحانيين والجسديين) وفي إطار السّلام الإسكاتولوجي الذي تحقق الآن. والتركيز على شخصيّة يسوع المسيح باعتباره الينبوع والمصدر الوحيد للسلام، به تم تحقيق الخلق أي بمعنى خلق عالم جديد يسوده السّلام الدائم. بما أنّ النصوص الليتورجيّة تنص على أنّ السّلام ترافقه القُبلات "ܫܒܘܩܐ ܕܫܠܡܐ - ܫܒܘܩܐ ܕܫܠܡܐ ܘܢܫܩܘܢ ܐܚܕܐ ܠܐܚܪܢ". فإذًا السّلام وقُبلَة السّلام أو القُبلَة المقدسة بحسب بولس الرسول، هما مفهوم أو طريقة واحدة في فهم رتبة السّلام في الليتورجيّة المشرقية.

٥. **تبادل السّلام**: من خلال البُنيّة الليتورجيّة سنصل إلى مرحلة تبادل السّلام وكيفيّة تبادل السّلام، وهي موضّحة أعلاه. لكن سنتطرق إلى وصف ليتورجيّ عريق ومُعبّر جدًا عن حقيقة السّلام. ففي هذه اللحظة يتبادل الجميع السّلام بتقبيل الصّليب والإنجيل ومن ثم تبادل السّلام. وهنا تُرتل ترتيلة جميلة جدًا وهي ترتيلة (بصلبه). وبعد تبادل السّلام يدخل الجمع من باحة الكنيسة التي فيها يكون تبادلَ السّلام إلى داخل فناء الكنيسة إذا صحّ التعبير (الفردوس الجديد). بمعنى أدق، إنّ معاني ترتيلة "بصلبه" تتركز بمفهومها اللاهوتي العميق على سرّ المُصالحة الذي حقّقه لنا الأبن (جنس آدم)، وبنفس هذا الجنس حُقق السّلام. والصليب بذاته أُعتبر علامة الخلاص والسّلام والتصالح، وبه رجع جنس آدم إلى أصله الفردوسي. أي أننا تصالحنا مع الله الآب من خلال إبنه الوحيد، وأدخلنا إلى فردوسه الدائم والحقيقي وهو معنا كل الأيام من الآن وإلى الأبد.

خامسا: الخلاصة اللاهوتيّة لرتبة السّلام

إنّ مفهوم السّلام هو مفهوم كوني ومُرتبطٌ بالحضارة الإنسانيّة وفي مقدمتها حضارة الرافدين، لذا السّلام الكتابي هو نتاج لهذه الحضارة. وهذا ما وجدناه من خلال التفاسير الكتابيّة التي تُفسر أنّ السّلام

ترتل في ختام جلسة الصلاة أي ܫܒܘܩܐ.

الفصحي هو سلام مُتّبع في التقليد اليهودي الذي هو من "الإرث الحضاري المشترك" وقد تناقل عبر الأجيال إلى يومنا هذا، ووصل إلينا من خلال الحدث الفصحي، ومن ثم الإفخارستيا التي كانت تُقام في المنازل ثم الكنائس الكبيرة. لكن السّلام هنا يدخل ضمن الوحي الإلهي المتواصل مع الإنسان والإنسانيّة في كل المراحل التاريخية، إنطلاقاً من قصة الخلق. لأنّ العالم المخلوق والخليقة كُلها خُلقت بالسّلام وعاشت مع السّلام، والغاية النهائيّة كانت العيش بسلام دائم وأبديّ. لكن حريّة الإنسان أفقدته هذا السّلام، وبالسّلام ذاته سُلِّم ربّ السّلام إلى الصليب. والمُفارقة إنّنا سنَرجع ثانيّة إلى السّلام الدائم من خلال الصليب، وبه سندخل الفردوس الدائم وإلى الأبد. وحقيقة السّلام الدائم تكتمل في قيامة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، وقيامته هي حقيقة خلق الكون الجديد والعالم الجديد. وكل هذا من خلال السّلام.

المحور الأساسي والجوهري في رتبة السّلام الطقسيّة يكمن، في مفهوم الصليب المرتبط في اللاهوت المشرقي بمفهومه الإسكاتولوجي. التراتيل والمزامير وصلاة الكاهن وحتى الآيات الكتابيّة تتمحور حول الصليب ومن ثم القيامة، والصليب هو سرّ من الأسرار الكنسيّة السبعة في كنيسة المشرق. ونحوه تتوجه الأنظار في الرتب الطقسية، وهو صليب مُمجد كونه لا يحمل المصلوب، دليل على قيامته. لذا فليتورجيّة الكنيسة المشرقيّة تتجه إلى الصليب، إي إلى المصلوب والقائم والحي معنا في صورة الصليب الذي يُعبّر عن سرّ دخول المسيح إلى تاريخ البشرية. فمن الممكن القول أنّ رتبة السّلام ببُعدها الإسكاتولوجي تعطي للمؤمن حامل صليبه، السّلام الدائم الذي به يتواجد في حضرة الثالوث الأقدس (الأب والأبن والروح القدس)، من خلال المشاركة الدائمة في سرّ الإفخارستيا، وفيها نستلم السّلام الدائم من يسوع المسيح بذاته، (إلى الموتى والأحياء معاً) ونكون شاهدين على قيامته، وقيامة (جنس آدم) الآن وإلى الأبد.

الخاتمة

تبادل السّلام رُتبة تَتَكَرّر في كل احتفال افخارستي، ولكن رتبة ليلة عيد القيامة، لها طابع خاص ومميز في ليتورجيّة كنيسة المشرق، كما لاحظنا، وخاصة ربطها بين حقيقتين متناقضتين، السّلام والصليب! ورأينا كيف ارتبطت هاتين الحقيقتين المتناقضتين بشخص ربنا يسوع المسيح الذي قبل ان يكون الحمل الذي من خلاله صالح الله البشرية، واصبح منبع للسلام الذي ينشده العالم اليوم ولن يراه اذا لم يقبل السّلام الذي يقدمه رب المجد من علو صليبه بكل مجانيّة وعطاء.

دور الجسد في الليتورجيا

الأب رائد جبو

مقدَّمة

كان البابا المتقاعد بندكتس السادس عشر قد اصدر كتابا قيّمًا جدًا باسم "روح الليتورجيا"، يَتَطرّق فيه إلى مَواضيع تَخصّ الليتورجيا، والأب البير أبونا كعادته شَمَّر عن ساعديهِ وتَرجَمَ الكِتاب لإغناء المكتبة العراقيّة المسيحيّة، من هذا الكنز الرائع. يتوقف هذا المقال عند ابرز ما يخدم عنوانه والذي هو دور الجسد في الصّلاة الليتورجيّة.

إنّ الليتورجيا، التي كانت تُعتبر سابقًا مثل مَجموعة صيغ يَجب احترامَها بدقّة، تأثّرت تَدريجيًا بحرَكَة التّجديد الليتورجي الّذي جَرى بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٦٣. والّذي فَتَحَ أمامها مَجالاً أوسع للاحتفال بالسرّ الفصحيّ للرب-آلام المسيح ومَوتِهِ وقيامَتِهِ-وهو مجالٌ لا يَشمل الفرد فحسب، بل الكنيسة كُلّها، والمُجتمع كُلّه، والكون كُلّه.

الصّلاة الليتورجيّة لا نَقصد بها الصّلاة الفرديّة والشّخصيّة، بل هي صلاة الكنيسة (الجماعة) الّتي تَجتَمِع لتؤدي معًا آيات المَجد والشُّكر والسّجود لله، من خلال كلمات الكُتُب المُقدّسة وصَلوات الآباء والقدّيسين الّتي توارَثتها أجيال المؤمنين عَبر قرونٍ طويلة، وغَذَّت نفوسَهُم وسَاعدتهُم في تَحقيق مَسيرَتِهم نَحو الله بأمان. وطالما هي

صَلاة الكنيسة يجب أنْ تكون تَحت رعاية الكنيسة وحمايتِها، فليس من حقّ الأفراد، أيًّا كان اختصاصُهم وعِلمُهم أو دَرجتُهم، أن يَتَصَرّفوا بها كما يشاؤون، وبحسب الأمزجة المُتقلّبة أو عِبادات كيفيّة.

فالإنسان المؤمن يُعرب من خلال حركات جَسَدِه تَفاعُلَه وتجاوبَه مع جَميع الرُّتَب والصّلوات الّتي تَضمّنا إلى المسيح القائِم، مِحور الليتورجيا وهَدَف الاحتفال، وبحضورهِ يولي الليتورجيا الأرضيّة مَعناها وأبعادَها الكريستولوجيّة والاسكاتولوجيّة ومَذاقَها السّماوي.

أولاً: إشتراكٌ نَشِط

إنّ المَقصود بـ "الاشتراك النّشِط" هو المَفهوم الّذي اختارَهُ المَجمَع المسكوني الفاتيكاني الثاني لِتَجديد مُشارَكَة الجّميع الفعّالة في الليتورجيا المُقدّسة. إنّه اختيارٌ حَكيم يَتجاوَب مَعَ التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة حيثُ توضَع كلِمَة الليتورجيا في صِلة بالكهنوت العام. وتَشمل بالنتيجة جَميع المسيحيين "ت م ك ك عدد ١٠٦٩".

إنّ العمَل الّذي نَحنُ مَدعوون للمُشارَكة فيه أثناء الليتورجيا، هو عَمَل الله نَفسه. فالله يَفتَح ورشَة الخَليقة الجَديدة، ويَجعَل ذاتَهُ في مُتناولِنا، مِن خِلال كُلّ ما موجود في الأرض، ومن خِلال عَطايانا، يَسمح لنا بالتّداول مَعهُ بصورة شَخصيّة.

ثانيًا: إشارة الصّليب

إنّ الحركة الأساسيّة في الصّلاة المسيحيّة هي رَسم عَلامَة الصّليب. وهي تَعبير جَسدي عن إيماننا بالمسيح، بحسَب كَلِمة القديس بولس: "فإنَّنا نُبَشِّرُ بمَسيحٍ مَصْلوب، عِثارٍ لِليَهود وحَماقةٍ لِلوَثنيِّين، وأَمَّا لِلمَدعُوِّين، يَهودًا كانوا أَم يونانيِّين، فهُو مسيح، قُدرَةُ اللّه وحِكمَةُ اللّه" (١كور١/ ٢٣-٢٤). ويقول أيضا: "فإنِّي لم أَشَأْ أَن أَعرِفَ شَيئًا، وأَنا بَينَكُم، غَيرَ يسوعَ المسيح، بل يسوعَ المَسيحَ المَصْلوب" (١كور٢/ ٢).

فعَلامَة الصّليب هي إقرار إيمان، إنّها "نعم" مَنظورة وعَلنيّة لِذاكَ الّذي، في تَجسُّدِهِ، أظهَرَ مَحبّةَ الله إلى أقصى حدّ، لِذلِك الّذي تألّم مِن أجلِنا وقامَ من بين الأموات، لِذلِكَ الّذي غيّر علامة العار إلى عَلامَة الانتصار.

نعم، إنّ عَلامَة الصّليب إقرارُ رَجاء. أومن بذاك الّذي، في ضَعفِهِ، هو القادر على كُلّ شيء. وإذ نَرسم إشارَة الصّليب على جِباهِنا، نَضَع أنفُسنا تحتَ حِمايَة الصّليب، ونَحمل هذِهِ العلامة مِثلَ ترسٍ يَحمينا في شدائِدنا اليوميّة، ويَنقل إلينا قوّته. علامَة الصّليب تُشير أيضًا إلى الطريق الّذي عَلينا اتباعه: "مَن أَرادَ أَن يَتبَعَني، فَلْيَزْهَدْ في نَفْسِه ويَحمِلْ صَليبَه ويَتبعْني" (مر٨/ ٣٤).

إقرار الإيمان بالله الثالوث، أثناء عِمادِنا، مُرتَبِط بعَلامَة الصّليب. فالصّليب حاضِرٌ في العماد من خِلالَ مَوتِنا مع المسيح، لكي نَقومَ معه (روم٦/١-١٤). ففي كُلِّ مَرّة نَرسم عَلامَة الصّليب، نَنضم من جَديد إلى إيمان عِمادِنا في الشِركة مع الإله الحيّ، لأنّ العماد مَعَ عَلامَة الصّليب الّتي توجزه نوعًا ما وتؤوّنه، هو قَبل كُلّ شيء سرٌّ ثالوثي. والصّليب علامة الآلام، وفي الوقت نَفسِه عَلامَة القيامة. إنّه نَوع مِن عصا النّجاة الّتي يَمدّها الله لنا، والجسر الّذي بفضلِه يُمكننا أنْ نَجتاز هاويَة الموت.

ولهذا أصبَحَ الصّليب بادِرَةَ البركة للمسيحيين. فبرَسم علامَة الصّليب على ذاتنا نَضع أنفُسنا تَحتَ بَركَة يَسوع المسيح. وبرسمها على الاخرين نَمُدّهم ببرَكَة الله المسكوبة عليهم، وعلى الأشياء التي نَضَعها تَحت حماية يَسوع. بالصّليب يُمكِنُنا أن نُصبح مَصادِرَ بركةٍ لِبعضنا البعض. وهذا ما كان يفعله أباؤنا وأجدادنا "ساوي وسوتي" حيثُ كانا يَرسمان عَلينا عَلامَة الصّليب مَعَ الماء المبارك إذ كُنّا مُضطَرين للسفر أو الذهاب إلى ساحاتِ القتال، أو أي مَكانٍ آخر. كانت لنا هذِهِ العلامَة الحسيّة بمثابَة بَرَكَة وصلاة والدينا وأجدادِنا، وكانَت تُرافقُنا وتَقودنا، فنَشعَر أنّنا مَحمولين ببَرَكَة الفادي. لا بل هذهِ البَركَة تُلزِمنا أيضًا بعدم نسيان ما يَعنيه الصّليب.

إن مَنح البَرَكة بواسطة رَسم الصّليب هي بادِرة كَهنوتيّة وعَمل خاصّ بهم، لكنّ مُبادرَة والدينا تلك يُمكنها أنْ تُشعِرنا بكهنوت أبوينا، وبكرامَتِه وقوّتِه الخاصّتين. وهذِهِ البركة تَعبير عن كهنوت جَميع المُعمّدين المُشترَك. ويا ليتَها تَجد مَكانها في حياتنا اليوميّة وتملأها بهذِه القوّة التي تأتي من مَحبّة الرّبّ.

ثالثًا: الركوع والإنحناء

يَتحاجَج البَعض اليوم ويَطلبون مِنّا التّخلّي عن الرّكوع والانحِناء أمام الله. مُستندين ومُبررين مَوقفهم من أنّ هذِهِ الحَركة لَم تَعُد تُناسِب ثقافتنا، ولا تَتَناسَب مَعَ المسيحي البالغ الّذي يَنبَغي له أن يواجِه الله واقفًا، أو أنّ هذِهِ البادِرة لا تتوافَق مَعَ وَضع الانسان المُخلَّص، لأن الإنسان الّذي حَرّره المسيح لا يَتَرتّب عليه أنْ يَركَع.

إنّ الرّكوع ليس ظاهِرة ثقافيّة ثانوية. بل هو آتٍ من أرث الكِتاب المُقدّس ومن مَفهومِه لله. يَرد فعل "بروسكينين" اليوناني ٥٩ مرة في العهد الجديد، منها ٢٤ مرة في سفر الرؤيا "ويَعني الانحِناء حتّى الأرض، مَعَ طَي الرُّكبتَين". وهذِهِ إشارة للأهمية الّتي يوليها الكِتاب المُقدّس لهذِهِ الحركة.

تُميّز البيبليا بين ثلاثة مواقف أو حركات مُتشابهة جدًا: الانبطاح بمعنى استلقاء المَرء على الأرض أمام قُدرَة الله. أمّا الحَركة الثانية هي الارتِماء عند قَدمي يَسوع والّتي نَجدها في العَهد الجديد؛ وأخيرًا يأتي الرّكوع بمعناه الخاصّ. قد يكون من الصّعب تَمييزالواحد عن الآخر بوضوح، لا بسياقها ولا بلُغتِها، لا بل حتّى مَعانيها قد تَتبادَل أو تَتقاطع.

ففي الليتورجيا بحسَب الطّقس اللاتيني، نَجد استعمال حَركَة الانبطاح في الصّلاة خلال مُناسبتين: جُمعة الآلام "الجمعة العظيمة"، وفي الرّسامات الكُبرى. في الجمعة العظيمة، أيّ يوم صَلب الرّبّ يسوع، يُعبّر انبطاحنا عن مَدى تَفاعُلنا الباطني، واعتِرافنا بأننا أناسٌ خَطأة، والمسيح وَحدَه يَقدر أن يُقيمنا. فنَحن نَنبَطِح، مِثل يَسوع، أمامَ سِرّ حضور الله وقُدرتِه، عالمينَ أنّ الصّليب هو العُلّيقة الحقيقيّة المُشتَعِلة، ومَحَبّة الله هي اللّهيب الّذي يُحرق ولكنّه لا يُدمّر!

أما الانبطاح أثناء الرّسامة الكهنوتيّة في "الطقس اللاتيني" و"الرّكوع" في الطقوس المَشرقيّة، يُعبّر عن الوعي بعدَم مَقدرتنا الجذريّة على القيام بذاتنا برسالة المسيح، وعلى التكلم بـ"أناهُ".

وبالاكثر فالركوع الّذي نُمارِسُه في ليتورجياتنا المشرقيّة، سواء على رُكبَة واحدة أو ركبتين، له دلالاته الكتابيّة. لغويًا فعل "بَرَكَ" (باللغة العبريّة الكتابية) "رَكَعَ" هو من أصل واحد، والاسم هو "بُرك" "ركبة".

عند العبرانيين تَرمز الرُّكبتان إلى القوّة، وعند طوي الرُّكبتين، فذلِك يَعني طوى الانسان قوَّته أمام الإله الحيّ واعتَرَفَ بأنّ كُلّ قوّته يَستمدها منه. حركة السّجود هذِهِ نَجدها في أحداثٍ مهمة من العهد القديم على سَبيل المثال، عند تكريس الهيكل، "جَثا سُليمان على رُكبَتيه أمامَ جَماعَةِ بني إسرائيل" (٢ أخ ٦/١٣). ولدى العودة من الجلاء، في أوقات الشِّدّة لدى إسرائيل الّذي لا هيكل له، يُعيد عزرا هذهِ الحركة في ساعة تَقدِمة المساء: "جَثَوتُ على رُكبَتَيَّ...، وبَسَطْتُ يَديَّ إلى الرّبّ إلَهي، وقلت..." (عز ٩/٥). وينتهي مزمور الآلام الكبير: "إلَهي إلَهي لِماذا تَركتَني؟" بالوعد: "له وَحدَه يَسجُد جَميعُ عُظماء الأرض، وأمامَهُ يَجثو جَميع الهابطينَ إلى التُّراب" (مز٢٢/ ٣٠). ويذكر لنا أعمال الرُّسُل هذهِ الحركة التي يقوم بها القديس بطرس (٩/٤٠)، والقديس بولس (٢٠/٣٦)، والجماعة المسيحيّة كلها (٢١/٥) حيث يؤدون الصّلاة وهم راكعين. يتّسم استشهاد اسطيفانوس وتَشبُّهِهِ التّام بالمسيح، أهمية خاصّة لِموضوعنا، فهوَ يَستعيد، راكعًا، صلاة يَسوع المصلوب قائلا: "يا ربّ، لا تَحسب عَليهم هذِهِ الخطيئة" (أع ٧/٣٠). ركوعه هذا يَعني دخولَه إلى صلاة يَسوع.

يولي نشيد فيلبي (٢/٦-١١) والّذي هو النّشيد الكبير للمسيح، أساسًا لاهوتيًا للركوع، حيث نَسمَع صَوت الرّسول، مُتّحِدًا مَعَ صلاة الكنيسة الرّسوليّة. وفيه تَظهر أيضًا الوحدة الداخليّة للعهدين القديم والجديد، ليس هذا فحسب بل نَجد البُعد الكوني للايمان المسيحي. فالنّشيد يُقدِّم لنا المسيح مِثل انعِكاسٍ مُضاد لآدم الأول. فالاخير تَوخّى الاستحواذ على الوَضع الإلهي بسُلطتِهِ الخاصّة، بينما المسيح يَتّضع حتى الموت على الصّليب، وبهذا الاتِّضاع الذي هو فعل محبّة، يتلقى الاسم الذي يَفوقُ جَميعَ الاسماء، كيما تَجثو لإسم يسوع كُل رُكبة في السّموات وفي الارض وتَحت الأرض.

إذا كان الرّكوع اليوم قد يبدو غريبًا للثقافة العصرية، فالسبب الوحيد الّذي قد يَبدو مَنطقيًّا هو ابتِعاد هذِهِ الثّقافة عن الايمان. وأنها لَم تَعدْ تَعرِف بعدُ ذاك الّذي تَواضَعَ ورَكَعَ لأجلِ الانسان، وأنّ الرّكوع أمامه هو تعبير عن شُكرنا وحمدنا له.

لذا فالليتورجيا الّتي لا تَعرِف الركوع من بعد، تَكون مَريضة جَوهريًّا. علينا أنْ نَتَعَلّم من جديد أن نَجثو، وأن نُدخِل الرّكوع في كُلِّ مكانٍ اختَفَى مِنهُ، لكي، بصلاتِنا نَظل في الشّركة مع الرُّسُل والشُّهداء، وفي الشركة مع الكون كُله، بالاتحاد مع يسوع المسيح.

رابعًا: أوضاع الوقوف والجلوس

الصّلاة وقوفًا هو الوضع الكلاسيكي للصلاة في العَهد القديم. ومثال ذلك حنّة "أُم صموئيل"، الّتي شُفيَت من عقرها بصلاتِها، وَوَلدت صموئيل. وبعد أن فُطِم الطفل، جاءَت الأُم السّعيدة إلى الهيكل لِتُقدِّم ابن الوعد للربّ. وهي تُذَكِّر عالي عظيم الكهنة وتقول له: "أنا المَرأةُ الّتي وَقَفَتْ لَدَيكَ

هٰهُنا تُصَلّي إلى الرَّبّ" (١صم ٢٦/١). أمّا في العهد الجديد فهناك نصوص عديدة تَشهد أن وضع الوقوف كان في عَهد يَسوع الطريقة الاعتياديّة للصلاة عِندَ اليهود (مت ٥/٦؛ مر٢٥/١١؛ لو٢٦/١٨). واستمر الوقوف أثناء الصّلاة عند المسيحيين طوال الزّمن الفصحيّ والقانون (٢٠) من مَجمع نيقية يَفرض على المسيحيين أن لا يَركعوا، بل أن يَظلوا واقفين في زَمن الفصح. إنّه زمان الفَرَح، زَمان انتصار يَسوع المسيح الّذي نَشتَرِك فيه بموقفِنا الجسدي.

الوقوف يُعبر عن إجلالنا وعن عَزمِنا على السّير في أثرِ المسيح المُنتَصر. والإصغاء إلى الإنجيل واقفين، يعني أنّ كلِمة المسيح تَقتَضي مِنّا جوابًا على ندائِه، وتَفرضُ علينا التّجاوب معها في حياتِنا وفي العالم.

إنّ الشّكل المألوف للوحة الانسانة "المُصلّية" في الدياميس يُنوّرنا كثيرًا في هذا الموضوع. وحسب بحوث حديثة، لا تُمثل هذه الانسانة المُصلّية، الكنيسة في الصّلاة، بقدر ما تمثّل النّفس الّتي دَخَلَت المَجد السّماوي، وهي تُصلّي واقفةً أمام وَجه الله. لا ترمز "المُصلّية" إلى الليتورجيّة الأرضيّة، ليتورجيّة الحجّ، بل إلى ليتورجيّة السّماء. وحركة المُصلّية تُشير إلى أن الصّلاة بالوقوف هي استباق للمستقبل، للمَجد العَتيد الّذي توجِّهُنا اليه صَلاتُنا. وبقدر ما تَكون الصّلاة الليتورجيّة استباقًا للمَجد العَتيد، فوضع الوقوف هو أنسَب الأوضاع، ولكن طالما لا تزال (صلاتنا) بين "أمرين" من واقعنا الحاضر، فإنّ الرّكوع هو التّعبير المُناسب.

صحيح إنّ وَضع الجلوس يُرافِق قراءات "العهد القديم، الرسائل" والمزمور والموعظة أثناء الاحتِفال الافخارستيّ، وغايتهُ المُساعَدَة على الاختلاء واستِراحَة الجَسَد، لئلا يَشغُلْ إصغاءَنا واستيعابَنا شيءٌ ما. لكن مِن الخير أنْ نُكرِّر أنّه لا شيء يُمكِنُه أنْ يَحلّ مَحلّ الرّكوع والوقوف في الصّلاة، لانَّ هذهِ الحركات المُرافقة لِصلاتِنا تُوجِّهنا نَحو وَجه الله، ونَحو وجه يسوع المسيح القائل: "مَن رآني فقد رأى الآب" (يو٩/١٤).

خامسًا: الحركات

حَرَكَة الذراعان المفتوحان والمرفوعان نَحو السماء، هي أقدم حَركَة صَلاة في المسيحيّة، وهي عَريقة في القِدَم، وقد نَقَلَت نِداءً موجهًا من إعماقِ الأجيال، إلى الله، نَجِدُها في جَميع الأديان. وهي أيضًا تَعبيرٌ مُمتاز عن اللاعُنف، وعلامةُ سلام: فحين يَفتَح الإنسان يَديه، فهو بذلك يَنفَتِح للآخر. وهي حَركةُ رَجاءٍ أيضا إذ بها يُعبّر الإنسان عَن شوقِهِ إلى مَعرفَة الله الخفيّ، وان يُحمَل إليه على أجنحة الصّلاة. هذه هي الصّورة التي تذكّرنا بها الأذرُع المَرفوعة إلى السّماء.

أضافَ المسيحيّون قيمَةً كريستولوجيّة إلى جَميع تِلكَ المعاني الرمزيّة، فالذراعان المرفوعان نَحو السّماء يُذَكّراننا بذراعي المصلوب اللّتان تُوليان عُمقًا جديدًا لِنوع الصّلاة الأصليّة. فحين نَمدُ ذراعينا، نُصلّي مَع المسيح على الصّليب، ونَتّحد بروحِهِ (فل٢/ ٥). فذراعا المَصلوب

الممزّقان لهما معنى مزدوج: إنّهما يُمثّلان لدى المسيح أسمى صيغةً للسجود، والتّطابُق التّام للإرادة البشريّة مع إرادة الآب. وفي الوقت نَفسِه؛ هاتان الذراعان مَمدودتان لَنا. إنّهما العِناق العَظيم الّذي يُريد به يَسوع أن يَجتَذِبَنا إليه (يو ١٢/٣٢).

أما حَرَكَة ضمّ اليدين فهي مُتأخِّرة، ولا شك إنّها تأتينا من النّظام الاقطاعي،حيث كان المُستَفيد، يَضع يَديه المضمومتين بين يدي السيّد بحرَكَةٍ ذات رمزية بسيطة وعميقة، وبذلك يُعبّر في الوَقت نَفسِه عن ثِقَتِه وأمانَتِه. وقد احتَفَظَت المسيحيّة بهذِهِ الحرَكَة. فنَجِدها في حَفلَة الرّسامة الكهنوتيّة، حينما يَضع المُرشَّح للرسامة يديه المضمومتين بين يَدي الأسقف ويَعِدَهُ بالاحترام والطاعة، يَضع ذاتَهُ في خِدمَة الكنيسة، الجَسَد الحيّ للمسيح. في هذه الحَرَكَة، يَستَودِع الكاهن كهنوته إلى المسيح. وهو يُقدِّم له يَديه لكي تُصبحا يَدّي المسيح. وحينما نَضمّ أيدينا للصلاة، نَضعهُما في يَدي المسيح، ونُسلِّم مَصيرنا بين يَديه. وإذ نَحنُ واثِقون بأمانَتِه، نَلتَزِم بأمانتِنا تجاهَهُ.

حَرَكَة تَضرُّع اليَدين أحيانا تُرافِقُها حَرَكَة الانحناء أثناء الصلوات، "مُنحنينَ أمامَكَ" نَتَضَرّع إليك. وهنا من جديد، يَتطابَق الجَسَد والوضع الرّوحي في حَرَكَة العشّار المذكور في الإنجيل (لو١٨/٩)، الّذي كان واعيًا بعدم استحقاقِه أمام الله. والصّلاة الّتي تُرافق هذِهِ الحَرَكة تَطلُب دَومًا أن تَكون ذَبيحتُنا مَقبولة وأن تَرتَفِع أمام وجهِ الله، وأنْ يَمنَحَنا الله رِضاهُ، لكي تَعودَ ذَبيحتُنا إلينا بالبركة. من أعماقِ عوزنا، نَدعو الله لكي يُنهضنا ويَجعلنا مُستحقّين لِنظراتِه وقادرينَ أنْ نَنظُرَ إليه.

فإنّ "التضرع" في انحنائه العميق، هو نوعٌ من التعبير الجسدي لما تسميه البيبليا: التواضع (فل٢/٨.. وَضَعَ نَفسَهُ). فمَن أراد الدّنو مِن الله، عَليه أنْ يَتَعَلّم رَفعَ نَظرَتِهِ، ليُضحى جَديرًا بنَظرَة الله. وفي الوقت ذاتِه عَليه أنْ يَتَعلّم الانحناء، لأنّ الله نَفسَهُ انحَنى. فنَحنُ نَجد المسيح، مع كونِه ابن الله يَنحني ليَغسِل أقدامَ التلاميذ. لذا فإنّ حَرَكَة الانحناء الّتي تُرافِق "التّضرع" مهمة جدًا. فهي تُعبِّر بصورة مَنظورة وجسديّة، عن جوهر إيمانِنا والموقف الرّوحي الّذي يَقتَضيهِ. طالَما أنّ الناس متساوون انطولوجيًا فيما بينهم، لا يجب أن يَنحني المرء أمامَ الإنسان، فالانحناء يَكون أمام الله فَقط! وإذا نسي الإنسان العَصري ذلك، عليه استعادَة هذِهِ الحركة ومُمارَستَها بجديّة.

حَرَكَة "قَرع الصّدر" التي نَجِدُها لدى القدّيس لوقا في رواية الفريسي والعشار (لو١٨/٩-١٤) وفيها يَقُرّ بـ"خطيئتِه"، تتناسَب مَعَ الحاجة الحقيقيّة للإنسان الّذي يَحضر أمامَ الله، ويُقِرّ بكونه خاطئًا ويَلتَمِس الرّحمة الإلهيّة. وقَرع الصّدر إذ ذاك يُشير إلى أنّنا نَتَذَكّر، بجسَدِنا، أن آثامنا تُثقل على كَتِفي المسيح، وأن "شفاءَنا في جروحه" (أش ٥٣/٥).

خاتمة

إنّ الجَسَد رَغمَ كونِه عُنصر مادّي-تُرابّي، إلا أنّهُ يَتَمَيَّز باستقلاليته تجاه الطّبيعة، وذلك بفَضلِ روحِهِ. وفي المنظور المسيحيّ فإنّ للجسد قيمَة واضِحة المعالم، تَرتَسم مَلامِحُها الانثروبولوجيّة بالشكل التالي: "التجسُّد الإلَهي وتَقديس الجسّد".

إنّ اختيار الله، للجسد البشريّ الّذي أخذه مِن مريم العذراء، ليكون جَسَدَه الإلهيّ الشّخصيّ، هو أعظمُ عَلامَةٍ لِقُدّسيَة جَسَد الإنسان؛ على نَقيض العديد من الفلسفات والأديان، التي تَحتَقِر الجَسَد ولا تُقدّر قيمَته.

حَقّقَ المسيح الخلاص بالجسد، إذ: "حَمَل خطايانا في جَسَدِه على الخشبة"(١بط ٢/ ٢٤). وقد: "قدَّسنا بتَقدمَةِ جَسَد يَسوع المسيح" (عب١٠/١٠). وقد قال ترتليانس: "الجَسَد نُقطة اتّصال الخلاص"؛ وقد سبق أن قال إيريناوس: "لو لم يُخلّص الجَسَد لمّا أصبحَ كَلِمةُ الله جَسَدًا إطلاقًا".

يَشتَرِك الجَسَد مَعَ الرّوح عِند الاحتفال الليتورجيّ والصّلاة. فالروحانيّة المسيحيّة بوجهٍ عامّ، لا سيّما الكتابيّة والآبائيّةالمشرقيّة خاصّةً، تُولي دورًا أساسيًّا للجسد، ولا سيّما للحواس والحركات التي نَقومُ بها، رؤية الله في بهاء الخليقة؛ الإصغاء إلى كلامه؛ شمّ رائحة المسيح الذكيّة، تذوُّقُ طيبَة الله وغُفرانِه ورَحمَتِه؛ اليدين والقدمين للقيام بالأعمال الصّالحة، وباللسان نُرنِّم ونَحمَد ونَشكُر الله ونُعلِن كَلِمَته؛ ومَعَ نَفس الرئتين نُسبِّح الله الآب. وبناءًا على دور الجَسَد هذا؛ يوصيّ بولس الرسول المؤمنين بتَقديم أجسادِهِم ذبيحةً حيّةً مَرضيّة لديه (روم ١٢/ ١). فيشتَرِك الجَسَد في الاتّحاد بالله، وقد أُعيد اتّحاده بالروح في وحدة الشّخص، وحدةٍ لا تنفصِم أبدًا.

المصادر:

١ -الأب أبونا، الأب، روح الليتورجيا، الكردينال جوزيف راتسنجر "البابا بندكتس ١٦"، أربيل-عنكاوا، ٢٠١٦.

٢ -جان كوربون، الأب، ليتورجيّة الينبوع، منشورات النور-لبنان، ١٩٩٣.

٣ -المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، الوثائق المجمعيّة، لبنان، طبعة ثانية،١٩٨٤.

٤ - التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، عربَّه عن الطبعة اللاتينيَّة الأصليَّة حبيب باشا و يوحنَّا منصور و كيرلس سليم بسترس و حنَّا الفاخوري، المكتبة البولسيّة، جونيه- لبنان، ١٩٩٩،عدد ١٠٦٩.

٥ -فاضل سيداروس، الأب، دراسات لاهوتية، الأنثروبولوجية المسيحيّة، دار المشرق- بيروت، ٢٠١٣.

تعليق ليتورجيّ على نصّ عربيّ مسيحيّ من القرن الثامن

د. أفرام عبّود اسحق

جامعتي غراتس وسالزبورغ – النمسا

مقدمة

لا زالت مئات لا بل آلاف المخطوطات، لم يُنفض عنها الغُبار، ولا يُعلم ما تَتَضَمّنه من كنوزٍ عَظيمة وغَنيّة، وفي كافّة المواضيع، قد تَرَكَها لنا مَن سَبقونا ليُخبرونا عن خُبراتِهم ومواقفهم، تجاه القضايا الّتي كانت تواجههم. يحاول هذا المقال الّذي يَدرس نصّ من القرن الثامن الميلادي، أن يوضّح بعضَ الامور الليتورجيّة، في شهادةِ حياةٍ تَرَكَها شَخصٌ آمن بالمسيح. نَشَرَ الأبّ الحلبيّ **إغناطيوس ديك**[١] في سنة ١٩٦١ نصًّا عن قدّيسٍ شهيدٍ عربيٍّ وهو: "الشريف أنطونيوس المختار الدمشقي الذي استشهد بمدينة الرقة على عهد هرون الرشيد ملك العرب"[٢]. تكمن أهميّة هذا النصّ في سرده لسيرة شريفٍ عربيٍّ آمن بالمسيحيّة وترك الإسلام، ممّا أغاظ قبيلته وأصدروا حكم القتل تجاهه، فصار شهيدًا مسيحيًّا مُكَرّمًا في السنكسار الملكيّ العربيّ البيزنطيّ والمارونيّ السريانيّ أيضًا. ولكنّ بالإضافة إلى هذه القصّة المتميّزة، تكمن أهميّة النصّ في الإشارات الليتورجيّة، ونحاول من خلال هذه الورقة إعطاء تعليقٍ ليتورجيٍّ عن هذا النصّ العربيّ.

اولا: مخطوطات النصّ

تضمُّ مكتبة المخطوطات **للقديسة كاترين** في صحراء سيناء، مخطوطات في غاية الأهميّة تنقل لنا أهميّة التراث الملكيّ السريانيّ[٣] والعربيّ. من المخطوطات العربيّة الملكية هناك نصّ هامّ جدًّا وهو ميمر للكاتب الملكيّ المعروف **ثيودور أبي قرّة** (٨٢٥ +)[٤]: **ميمر**

١ وُلِدَ الأبّ العلاّمة **إغناطيوس ديك** في حلب سنة ١٩٢٦ وخدم كاهنًا لكنيسة الروم الملكيّين لعدّة عقود في حلب. له مؤلّفات كثيرة باللغتين العربيّة والفرنسيّة حول التاريخ والقوانين الكنسيّة. توفّاه الله في حلب سنة ٢٠١٣.

٢ Ignace Dick,"La passion arabe de St Antoine Ruwah, néo-martyr de Damas (25 décembre 799)", Le Muséon 74 (1961), p. 111-133.

٣ ومنها مخطوطات ليتورجيّة غنيّة مازالت طيّ الكتمان ولحدّ هذا اليوم، لم تلقَ باهتمامٍ تستحقّه وذلك لسبب بسيط: لأنّ الكنيسة البيزنطية في الشرق العربي استبدلت تراثها السرياني الليتورجي بالتراث البيزنطي اليوناني وفيما بعد بالترجمات العربيّة لهذا التراث. وكما نعلم من الدراسات الليتورجيّة، إنّ دير مار سابا في فلسطين ظلّ يستخدم اللغة السريانيّة كلغة ليتورجيّة حتّى القرن الثاني عشر.

٤ لمعلومات أكثر عن أبي قرّة، راجع الطبعة التي نشرها الأب إغناطيوس ديك سنة ١٩٨٦: ثيودورس أبي قرّة، ميمر في إكرام الأيقونات، المطبعة البولسيّة، جونية ١٩٨٦. أيضًا:

في إكرام الأيقونات عن سيرة **مار أنطونيوس**. ورغم أنّ الأبَ **الحلبيّ إغناطيوس ديك** قد اعتبر أنّ أقدّم نصّ لسيرة هذا الشهيد العربيّ هو في المخطوطة السينائيّة العربيّة ٥٣٣، إلاّ أنّ الدراسة الحديثة للمستشرق الإسباني **خوان بيدرومونفيرار سالا** تُبرهن بأنّ استنتاج **الأب ديك** ليس دقيقًا لأنّ المخطوطة السينائيّة العربيّة ٤٤٥ هي الأقدم[٥]. هناك أيضًا المخطوطات السينائيّة العربيّة رقم ٥١٣ ورقم ٤٤٨ تتضمّنان هذا النصّ ولكن حسب دراسة **خوان بيدرو** الحديثة، إن نصّ المخطوطة العربيّة رقم ٤٤٥ هو أقدم وأقصر نسبيًّا من جميع نصوص المخطوطات السابق ذكرها. فمثلاً يوضّح **خوان بيدرو** الاختلاف في مقدّمة النصّ حسب المخطوطات الثلاث كالتالي:

رقم ٥١٣: "هذه شهادة القديس الشريف انطونيوس المختارالدمشقي الذي استشهد بمدينة الرقة على عهد هرون الرشيد ملك العرب"

رقم ٤٤٨: "نبتدي بعون الله وحسن توفقه خبر انطونيوس القديس الذي استشهد في مدينة الرقة على أيام هارون الرشيد صلاته تكون معنا امين"

رقم ٤٤٥: "خبر انطونيوس القديس الذي استشهد في مدينة الرقة على أيام هرون الرشيد"

أمّا **الأب ديك** والذي يرجّح المخطوطة رقم ٥٣٣،يبدأ النصّ بـ: "هذه شهادة القديس الشريف انطونيوس المختار الدمشقي الذي استشهد بمدينة الرقة على عهد هرون الرشيد ملك العرب".

هذا المثال الذي يقارن الاختلافات بين نصوص المخطوطات قد يوضّح ما استنتجه **خوان بيدرو** والذي برهن بأن نصّ **الأبّ ديك** (مخطوط رقم ٥٣٣)، مُقتبس من مخطوطتي رقم ٤٤٨ و٤٤٥ (واللتان تقدّمان نفس النصّ تقريبًا باختلافات بسيطة). إن نصّ مخطوطة رقم ٤٤٥ يمثّل أبسط وأقدم نصّ لسيرة شهيد دمشق القدّيس **مار أنطونيوس روح القرشي**، والذي أقدّمه هنا مثلما نشره **خوان بيدرو** مع بعض التعديلات التي وجدتُها ضرورية للقارئ، بهدف الدراسة الليتورجيّة[٦]:

ثانيا: النص

بسم الآب والإبن وروح القدس

خبر انطونيوس القديس الذي استشهد في مدينة الرقة على أيام هرون الرشيد (٧٦٦-٨٠٩م)

كان في أيّام هرون الرشيد رجل من أشراف العرب يسمّى رُوح. وكان نازل بمدينة دمشق في موضع يقال له النيرب خارج باب الحديد في دير هناك فيه بيعة على اسم الشاهد المباردك تادرس.

الأب سمير خليلاليسوعي: أبو قرّة. ج.١: السيرة والمراجع. ج.٢: المؤلفات. بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٠. سلسلة "موسوعة المعرفة المسيحية: الفكر العربي المسيحي".

٥ Juan Pedro Monferrer-Sala, *Šahādat al-qiddīsMārAnṭ ūniyūs. Replanteamiento de la 'antigüedad' de lasversionessinaíticas a la luz del análisis textual*. BIBLID (2008) 57; 237-267.

٦ قمنا باختصار النص مركزين على الاشارات الليتورجية لضيق المساحة (تحرير المجلة).

وكان هذا الفتى القرشيّ كثير ممّا كان يولع بالكنيسة ويسرق القربان المقدّس، ويأكله ويشرب ما كان يبقى في الكأس من دم سيّدنا المسيح، وكان ربّما قلع الصلبان من مواضعها ويجئ فيشقق ثياب المذبح. ومرار كثيرة كان يهزأ بالقسّ ومن يحضر معه في القدّاس. وكان مجلس هذا القرشي يشرفُ على الكنيسة فهو ينظر جميع ما يفعلون رعيّة المسيح، إذا حضروا يوم الأحّد وكيف يعبرون بالأجيّا، وهو كان يكون في الشرب واللهو قاعد وبني المعمودية في قدّاسهم وصلواتهم.

(...) فلمّا مضى هذا أيّام يسيرة انفق عيد مار تادرس القدّيس واجتمع في الكنيسة خلق كثير من كهنة دمشق وأهلها وأقاموا الصلوات وحضر وقت القدّاس وجلس هذا القرشيّ في طاقته كعادته فعندما خرج الكهنة في الأجيا حاملين القربان في الصواني والكؤوس ممتلئة من دم والصليب مرفوع والشمع يقد والبخور ظاهر وسائر الناس وقوف لعبورهم يسبّحون الله ويهلّلونه ويمجّدونه، نظر هذاالقرشيّ في صينية القربان شبه حمل أبيض كالثلج بارك على ركبتيه وعليه حمامة ترفرف بجناحيها حتّى صاروا بأجمعهم إلى المذبح فعندما وضعت صينية القربان على المذبح مع الكأس وغطيت النافور ارتفعت تلك الحمامة غير بعيد وكانت ترفرف على المذبح ورؤوس الكهنة وهم في التمجيد والتسبيح فلمّا وصلوا إلى القراءة إلى باتريجون، وقالوها بأجمعهم ورفعوا القربانة بالتمجيد والدعا الكبير ودنا أخذ القربان المقدّس نظر إلى ذلك الحمل كيف يفصل الكاهن عضوًا عضوًا وكيف يتقدّمون الناس يتناولون من يدي الأسقف المقرب لهم قطعة قطعة من ذلك اللحم فعجب من ذلك عجب عظيم وجعل يفكّر في نفسه ويقول سبحان الله ما أعجب دين النصارى بحقّ أنّه دين شريف صحيح فلمّا تقربوا الناس ورجع بالأجيا الأخيرة وبقيّة القربان وغيره راجع إلى بيت المقدس، نظر إلى تلك الحمامة ترفرف على العابرين وذلك الحمل قد رجع صحيح كما كان في الأوّل، فبهت وزاده ذلك عجب. فبادر ونزل من مجلسه فوقف على باب الكنيسة وجعل يسأل الكهنة وعامّة الناس وهم منصرفين ويقول: يا قوم لقد نظرت اليوم من دينكم عجب عظيم خلاف ماكنت أرى قبل يومي هذا. في قدّاسكم إنّي كنت أنظر كم تتقرّبون فلمّا اليوم خبزا نقيّ أبيض ومنذ ساعة رأيتكم تتقرّبون قطع لحم وتشربون من دينكم لشريف جدًّا.فعندما سمعوا كلامه الكهنة ومن حضر من الناس سبحوا المسيح المخلّص الذي يظهر سرائره ويكشفها لمن يحبّ ويريد وأنّهم انصرفوا فرحين مسرورين يحدث بعضه بعض بما أخبرهم به روح القرشّى النازل على كنيسة القدّيس تاودرس.

(...) حتّى وصل إلى نهر الأردّن موضع اعتمد السيّد المسيح. وإنّه وجد راهبين من دير ماري يوحنّا سواح فبادر هذا الشابّ القرشّي إليهما. فسجد على أقدامها وسألهما أن يعمّداه باسم الآب والابن وروح القدس فأجابه إلى ما سأل منهما وطلب.وأنّهما أمراه أن يترع ثيابه ويترل في الماء ففعل ذلك بفرح عظيم وكان ذلك يوم بارد شديد القرّ، فأعمداه على اسم الآب والابن وروح القدس فعندما صعد من الماء رسموا عليه وباركوا وأخذوه إلى ديرهم لزيق النهر وأضافوا وأكرموا. فسألهم

الرهبنة فرهبوه وقالوا له يكون اسمك من الآن أنطوني. ثمّ ألبسوه الاسكيم المقدّس وأصرفوه بسلام المسيح (....)

فبلغ خبره إلى الرشيد فأمر بالطلاقة من موضعه وفكّ الحديد عنه وإن يأتوه به. فعندما صار إلى الرشيد ووقف يديه، قال له: ويحك يا روح، ما حملك على ما صنعت بنفسك وأبعدت شرف حبسك ولبست هذا اللباس. أن كنت احتجت إلى مال فأنا أدفع إليك وأرفع مرتبتك وأريد إليك احسان فأرجع عن رأيك هذا ولا تخدع. فقال له المبارك أنطونيوس لاحقًا: ماخُدعت ولكنّي اهتديت وأمنت بالسيّد المسيح الذي جاء إلى العالم نور وخلاص لكل طلبه وسعا في رضاه وأنا اليوم نصراني مؤمن بالآب والإبن والروح القدس فلمّا سمع الرشيد كلامه أمر بضرب عنقه. فقال القدّيس بحقّ لقد أعطيتني مسألتي وبلغتني ارادتي اليوم ما أمرت في لأنّي أخطيت إلى ربّي ثلث دفعات ولا أحسبها تمحا عنّي إلاّ بضرب العنق. فقال له الرشيد: وما هذه الثلاث ذنوب؟ فقال له القديس: أمّا واحدة فإنّي صليت في مكّة بيت الحرام مرار وأنا حنيف وبحقّ أنّه كما سمي حرام من الله على المؤمنين بالمسيح، والثانية إنّي نحرت وذبحت في يوم الأضحا، والثالثة إنّي غزيت إلى أرض الروم وقتلت أنفس مؤمنة بالمسيح وبعد فإنّي أرجوا أن تمحاها الله عنّي بضرب عنقي ويعمدني بدمي.

فلمّا كالم كلامة وفهم عنه، ضرب عنقه وهو مؤمن من السيّد المسيح وإنّهم صلبوه على شط الفرات وقد كان أمر الرشيد يحرسون خشبته لئلّا يتقدّم إليها نصراني. وكانوا ينظرون هؤلائك الحراس في كلّ ليلة إذا هدت العيون، ثريا من نور تنزل من السماء حتّى تقف على رأسه. وكانوا يعجبون ويفكّرون في ذلك المعجز. وآمن كثير ممّن نظر وعاين تلك الثريا. وبلغ ذلك الرشيد وأمر أن ينزل عن الخشبة ويقبر. فأخذوه قبروه في موضع يعرف بعمر الزيتون قريب من الفرات بمدينة الرقة. وكانت شهادة هذا القديس مار أنطونيوس يوم الميلاد المجيد، بعد القدّاس في خمسة وعشرين يوما مضت من كانون الأوّل في سنة مائة وثلثة وثمانين من سنين العرب.

ولله السبح أبدا ونحن نسأل ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح أن يرحمنا بصلوات هذا الشاهد الشريف أنطونيوس. وأن يجعل لنا معه في ملك السماء حظ ونصيب ويغفر لجماعتنا أجمعين أمين بشفاعة سيّدتنا مرت مريم أمّ النور أمين

ثالثا: مُلاحظات ليتورجيّة

بعد قراءة النصّ يمكننا ملاحظة بعض العبارات الليتورجيّة الواردة، والتي قد تعطينا فكرة عن النمط الليتورجي لكاتب هذا النص الهاغيوغرافي. بشكلٍ عام، يبدو أنّ الليتورجيا التي يقدّمها النصّ هي أقرب إلى ما يمكن أن نسميّه اليوم بالطقس الملكيّ البيزنطيّ. فمثلاً تسبيح" الآجيا" (أي الآغيوس) وهي قد تكون إشارة إلى ترتيل التريصاجيون، أو ما نعرفه بالطقس السرياني بـ(قاديشات آلوهو...). ولكنّنا لا نلاحظ في التفاسير الليتورجيّة السريانيّة، مثل تفسير **يعقوب الرهاوي**(٧٠٨†)، أنّ التسمية اليونانية

(آغيوس) تُطلَق على تسبحة القاديشات. فعلى الأقل استخدام الكلمة اليونانية ككلمة تقنيّة ليتورجيّة، قد تشير إلى أنّ هذا النصّ يشير إلى كنيسة تلتزم بالتقليد اليونانيّ البيزنطيّ في أدبيّاتها الليتورجيّة، أيّ الكنيسة الملكيّة في سوريّا. تسبحة الآغيوس هذه في النصّ قد تشير أيضًا إلى **الدخول الكبير** في الطقس البيزنطيّ "وجلس هذا القرشيّ في طاقته كعادته فعندما خرج الكهنة في الأجيا حاملين القربان في الصواني والكؤوس ممتلئة من دم والصليب مرفوع والشمع يقد والبخور ظاهر وسائر الناس وقوف لعبورهم"، والذي بُني على أساس الليتورجيا التي تُمارَس في كنيسة آغيا صوفيا الكبرى في مدينة القسطنيطنيّة. يقول العلاّمة الليتورجي **الأب تافت** في كتابه عن **الدخول الكبير**[٧]، بأن الكنيسة الأمّ في القسطنطينيّة (كنيسة **هاغيا صوفّيا**) طوّرت طريقة نقل القرابين المقدّمة للأفخارستيّا بواسطة الشمامسة، ولا يوجد أي دليل على وجود طقس تقديمي للقرابين في الشرق قبل هذا التاريخ. أيّ أنّ طقس الدخول الكبير في الليتورجيا البيزنطيّة بُني على أساس الليتورجيا الممارسة في كنيسة عاصمة الإمبراطورية البيزنطيّة، ونال على هذا المنوال كلّ الكنائس البيزنطيّة التابعة لها. في حين أنّ هذا الطقس القيصري **الدخول الكبير** والذي ربّما كان يُصطحب بدخول القيصر البيزنطي للإفخارستيا، نشأ وتطوّر في كاتدرائية القسطنطينية بشكلٍ يتلاءم مع عظمة الأمبراطورية البيزنطيّة، وليس لسبب وجود طقس تقديمي للقرابين في كنائس الشرق.

فيما يتعلّق بطريقة المناولة في هذا النصّ العربي، نجدُ أنّ **روح القرشي** كان يلاحظ الحمل المقدّم والكأس، والمؤمنون يتناولون منهما بشكل منفصل، فهذه نقطة مهمّة تدفعنا للتساؤل عن كيفية المناولة في الكنيسة السريانيّة خلال القرن الثامن. لا تخبرنا الشروحات السريانية للقدّاس السرياني عن كيفيّة التناول في تلك الأيّام، ولكنّ النوافير السريانيّة تخبرنا بأنّ الكاهن في صلاة الشكر بعد تناول الأسرار يشكر **الربّ يسوع** على نعمة أكل الجسد وشرب الدم، كما هو مُمارس حتى يومنا هذا "جسدك المقدّس الذي أكلناه ودمك الطاهر الذي شربناه". قد يكون هذا دليلاً واضحًا على أنّ المؤمنين يجب أن يتناولوا الجسد والدم، ولكن يبقى السؤال: كيف كانت طريقة التناول؟ هل يشرب المتناول من الكأس مباشرة؟ ربمّا يصعب علينا الإجابة فيما إذا كان الطقس السرياني للقدّاس يعطي الجسد لوحده للمتناول ثمّ الكأس ليتناول الدم (كما هو ممارس في الطقس البيزنطيّ والقبطيّ حتى اليوم).

---

٧ Robert Taft, *The Great Entrance. A History of the Transfer of Gifts and other Pre-anaphoral Rites of the Liturgy of St. John Chrysostom*, Rome 1975.

ملاحظة أخرى تستحقّ الانتباه في هذا النصّ العربيّ، هو عن لفظة "الحمل" لتصف خبز القربان الذي يُقدّم للتقديس "نظر هذا القرشيّ في صينية القربان شبه حمل أبيض كالثلج بارك على ركبتيه". رغم أنّ الطقس الليتورجيّ السريانيّ مليء بتراتيم تمجّد "حمل الله" ولكنّنا الممارسة الطقسيّة اليوم، لا تطلق على القربان المقدّس هذه اللفظة (بخلاف الكنيسة القبطيّة التي تخصّص طقسًا لاختيار ورفع الحمل قبل القدّاس الإلهي). فالكنيسة السريانيّة تطلق لفظة لححا أي "ختم" على الخبز الذي سيُقدّم للقدّاس الإلهي، والسبب لأنّ الخبزة تُختَم بختم عليه رموزٌ وصلبان (وهناك ختم آخر لقربان قدّاس عيد الفصح في خميس الأسرار عليه إشارة الصليب المقدّس). يبقى السؤال هل كان هذا شكل القربان السرياني في القرن الثامن؟ مرّة أخرى لا يخبرنا تفسير **مار يعقوب الرهاوي** عن هذه النقطة. ولكن في الكنيسة البيزنطية السوريّة كما في القبطيّة المصريّة، يُطلق اسم الحمل على الخبزة المنتقاة (واحدة فقط) لتقديمها للقدّاس. وتُختم هذه الخبزة في الطقس البيزنطيّ بالخَتم الذي عليه الأحرف التالية:(IC XC NI KA) .قد تكون هذه أيضًا إشارة أخرى، إلى أنّ النصّ العربيّ الذي بين يدينا هو نصّ من بيئة ليتورجيّة ملكيّة عربيّة.

يسترعي انتباه القارئ أيضًا الرمز الواضح للحمامة والروح القدس التي ترفرف على الأسرار المقدّسة "ارتفعت تلك الحمامة غير بعيد وكانت ترفرف على المذبح ورؤوس الكهنة وهم في التمجيد والتسبيح "، وهذه الصورة للحمامة المقدّسة المرفرفة لها بُعد ليتورجي رمزي في المسيحية الشرقيّة بشكلٍ عام، ولكن خاصّة في التفاسير السريانيّة. فنقرأ مثلاً في مواعظ **القديس باسيليوس الكبير** عن **الأيام الستّة**، بأنّ روح الله في البدء الذي كان يرفرف على المياه، هو مثل الحمامة التي ترفرف وتلد الحياة. ويقول القديس **باسيليوس** بأنّ "ذاك السريانيّ" هو أعرف بلغة العبرانيّين كون لغته [السامية السريانيّة] أقرب إلى اللغة العبرانيّة، ويعرف بأنّ فعل "الرفرفة" للرياح، هو ذات الفعل الذي يشير إلى رفرفة الحمام، ممّا يربط**باسيليوس** فِعْلَ حركة الرياح في البَدء إلى عمل الروح القدس منذ البدء في الخلق. ورغم أنّ معظم البحّاثة قد اعتقدوا بأنّ الإشارة إلى "ذاك السريانيّ" هي **لمار أفرام السريانيّ**[٨]، ولكن الأبحاث في نهاية القرن العشرين قد أثبتت بأنّ السريانيّ الذي يشير إليه **القديس باسيليوس الكبير** في عظاته عن الأيّام الستّة هو **أوسابيوس الحمصي**[٩]. إنّ هذا الرمز

٨ Sebastian Brock, *The Ruah Elohim of Gen1,2 And Its Reception History in the Syriac Tradition: Lectures et Relectures de la Bible* (Leuven, 1999), 329.

٩ B. Romeny, *A Syrian in Greek Dress. The use of Greek, Hebrew and Syriac Biblical Texts in Eusebius of Emesa's Commentary on Genesis*(Lovanii: Peeters, 1997).

السريانيّ لرفرفة الروح القدس مثل حمامة، صار هامًّا جدًّا في التفاسير الليتورجيّة السريانيّة اللاحقة في القدّاس الإلهي وطقس المعموديّة وعيد حلول الروح القدس. وبالعودة إلى نصّنا العربي عن "روح القرشي"، يمكننا الاعتقاد بأنّ اسم القديس الشهيد قد يكون رمزيًّا أيضًا، وربمّا السيرة كانت كلّها عبارة عن أدب دفاعي! وهذا ليس بغريب، لأنّنا نجد محاولات مشابهة كما في الرسالة المعروفة بـ "رسالة عبد الله بن اسمعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن اسحق الكندي في أيّام الخليفة العبّاسي المأمون سنة ٨٦١م". والتي تُعدّ محاولة أدبيّة مسيحيّة عربيّة في الجدل الديني مع الإسلام.

هناك إيضًا ملاحظة أخرى عن نصّ **روح القرشي** فيما إذا كان من الممكن أن يتمّ التناول باليدين إلى خارج الكنيسة. فعندما نقرأ في قوانين **مار يعقوب الرهاوي** في السينوديكون السريانيّ الغربيّ الذي نشره المستشرق **آرثر فوبوس**[١٠]، نجد أنّ **يعقوب الرهاوي** قد علّق حول موضوع التناول عندما سأله **أدّاي** فيما إذا كان مسموحًا قانونيًّا أن تقدّم المناولة بواسطة ورقة نبات إلى مريض لا يستطيع الحضور إلى الكنيسة والمشاركة في الذبيحة الإلهية؟ فيجيب **مار يعقوب** بأنّه ليس من هناك أي مشكلة ليتورجية ولكن يجب بعد التناول أن تُحرق الورقة التي حملت الأسرار للمريض (٢٧ أوس: ٢ أوه وحلهذا وهكذا هه وحذا بحلا هوذا حتهذا. /حمحوحد: حقهذا بمبا وهذا حكم وهكذاحلاه حقهذا. ح حقهذا أه حقهذا هوهبح حده. هاه حفه وهذا وهكذا حمحوا حب أه هه هكذاحلاه حمحوا حدوا[١١]).

أمّا بالنسبة إلى احتمال بقاء الكأس المقدّس خلال الليل بلا خدمة، فإننا نجد أيضًا في رسالة **مار يعقوب الرهاوي** إلى **توما الحبيس** ما يتعلّق بهذا الشأن. فبالنسبة **ليعقوب** لا يجوز أن تبقى الكأس من دون خدمة إلّا في حالات استثنائية، ولكن يجب أن لا تتحوّل الاستثناءات إلى قواعد. لأنّ بقاء الكأس على المائدة هو مخالف للتقليد الكنسي، وقد يغضب الله. إذ يربط **يعقوب** هذا الغضب الإلهي بغضب الله في سفر اللاويين، حيث لا يُقبَلُ تقاعس كهنة المذبح في العهد القديم من أكل الأضاحي، فإن بقيت حتّى صباح اليوم التالي، فهذا يجعلهم مستحقّين الموت من غضب الله. لكنّ الاستثنائين الذين يسمح **يعقوب الرهاوي** بقبولاهما، هما: الأوّل، في حالة المرضى المؤمنين الذين يقتربون من دنو الأجل لهذا يجب مناولتهم ولو في منتصف الليل. والسبب الثاني، هو للصائمين الذين يصومون حتى منتصف الليل. في هاتين

١٠ Arthur Vööbus, ed. *The Synodicon in the West Syrian Tradition*. CSCO 367-368, 375-376, Syr. 161-164. Louvain: Secrétariat du CorpusSCO, 1975-1976.

١١ Arthur Vööbus, ed. *The Synodicon in the West Syrian Tradition*. CSCO, Vol. 367 Syr. 161 Louvain, 1975, p. 262.

الحالتين الاستثنائيّتين، يجب المناولة من دون شكّ أي بقاء الكأس المقدّسة حتى اليوم التالي. ولكن يضيف **الرهاوي** في إرشاده الليتورجيّ، بأنّه يمكن دائمًا مباركة الكأس إذا كان الجسد محفوظًا، والكاهن إن أراد يستطيع تحضير الكأس للمناولة مع الجسد المحفوظ بوقتٍ قصير.(١٢ [illegible]). نستنتج من كلام **يعقوب الرهاوي**، بأنّه كان هناك تقليدًا كنسيًّا منتشرًا في كنائس تلك المنطقة (بلاد الشام)، يسمح ببقاء الكأس المقدّسة، وهذا ما يمكننا ربطه مع قصّة **روح القرشي** الذي كان "يولع بالكنيسة ويسرق القربان المقدّس ويأكله ويشرب ما كان يبقى في الكأس من دم سيّدنا المسيح". فبالنسبة للتقليد السريانيّ في ذلك الزمان كما نرى من **يعقوب الرهاوي**، بقاء الكأس المقدّسة لليوم التالي مرفوضًا ومخالفًا للتقليد الكنسي، ولكنّه ربّما كان متعارفًا عليه في الأديرة حيث يصوم بعض الرهبان لساعات متأخّرة من الليل، وهذا أمرٌ مسموح بهِ حتّى عند **يعقوب الرهاوي** كما قرأنا. إذًا قد ينسجم هذا الاستثناء ببقاء الكأس حتّى اليوم التالي في "دير المباردك تادرس" الذي يرد في نصّ سيرة **روح القرشي**.

رابعا: الإسلام والليتورجيا السوريّة في نهاية القرن الثامن

كما وجدنا بوضوح في بداية النصّ العربي أنّ **روح القرشي** كان يتدخّل أثناء الذبيحة الإلهيّة التي تُقام في الكنيسة، ويتصرّف بما لا يليق وكأنّه كان له الحقّ في ازعاج المصلّين الوافدين للمشاركة في الليتورجيا. فإذا أخذنا مراسلات **يعقوب الرهاويّ ويوحنّا عامودي أتارب** نجد أنّ هذه الازعاجات كانت منتشرة في مناطق كثيرة، وهذه المضايقات متكرّرة. فنقرأ مثلاً في السؤال التاسع من **يوحنّا الأتاربي**، عن وجوب إغلاق الأبواب خلال الاحتفال بالقدّاس الإلهي؟ فيجاوب **يعقوب**، بأنّه ضروري كي لا يدخل الهاجريّون (أي المسلمون[١٣]) إلى الكنيسة ويختلطون مع المؤمنين ويسخرون من الأسرار المقدّسة (٩مسح: [illegible]).

١٢ Arthur Vööbus, ed. *The Synodicon in the West Syrian Tradition*. CSCO, Vol. 367 Syr. 161 Louvain, 1975, p. 227-228.

١٣ في الترجمة الأنكليزية لهذه النصوص، يخلط المترجم **آرثر فوبوس** أحيانا الهاجريون فيسمّيهم أحيانًا بمسلمين وأحيانا بمحمّديين.

هنالك أيضًا ملاحظة أخرى عن المسلمين في مراسلات **يعقوب الرهاوي** مع **يوحنا الأتاربي**، بأنّ بعض المسلمين في الحروب مع الروم كانوا يغتنمون الأواني الكنسيّة الليتورجيّة، وهذا ما يتشابه مع قصّة "نوح القرشي" الذي كان يتجرّأ بالتلاعب في أواني المذبح المقدّس وكان يشرب منها. بالنسبة **ليعقوب الرهاوي**، عندما أعطى له أحّد المحاربين المسلمين الآنية المقدّسة التي اغتنمها من بلاد الروم (وأعطاها **للأسقف يعقوب** بسبب ندامة ضمير هذا المحارب)، فإنّ **يعقوب الرهاوي** أرسلها إلى الكنيسة الخلقدونيّة، لأنّ هذه الآنية قد أُخِذَت من الكنيسة الخلقدونيّة. (٢٣ مسم: ابم اهمم منها صخ واتالهمم حمصهما وهنوا. هما زوم وبحب حتارا وحصم./ محمص: بعلوم حما حتم مصهاصم. اه ابا حمن حبعلم هوا. حرح الهم إبعتم مح مصحتما. مونحما وعجمح مح اناا وقما. مص مجم مح اناتال مصاصم حن: عبوناه حصتم اونحما وهم قما.[١٥]) فالسياق العام وظروف قصّة "نوح القرشي" ليست بعيدة جدًّا عن الإطار العام في تلك الفترة الزمنية، إلاّ أنّ هنالك إشارات واضحة بأنّ كاتب هذا النصّ يتعاطف مع الإمبراطوريّة البيزنطيّة، فمثلاً في نهاية السيرة وعند الحوار مع هارون الرشيد، نرى بأنّ ثالث الذنوب التي أعلنها **نوح القرشي** كانت: "إنّي غزيت إلى أرض الروم وقتلت أنفس مؤمنة بالمسيح". فهذا الذنب يشير إلى العذاب الذي سيناله كلّ من حاربَ وقَتَل في أرض الروم، ممّا يرجّح على أنّ الكاتب ينتمي للكنيسة البيزنطيّة.

الخاتمة

كما وجدنا في الأسطر السابقة، إنّ هناك احتمالاً بأن تكون سيرة **القدّيس أنطونيوس نوح القرشي** هي مثالاً للأدب الدفاعي المسيحيّ العربيّ في فترة الجِدال الديني مع الإسلام، وقد تكون الأسماء رمزيّة ربّما خوفًا من عقوبة ما، أو أن تدفع إلى زجّ بعض المسيحيين في مشاكل كانوا بغنى عنها. ولكن هدف هذه الورقة كان في التعليق الليتورجيّ على هذا النصّ العربي، والذي بالرغم من وضوح انتمائه إلى الطقس البيزنطيّ الملكيّ العربيّ (الخلقدونيّ) كاحتفال الدخول الكبير، والآغيوس، ولكنّه أيضًا يشترك بصفات ساميّة سريانيّة والتي أثرّت في أوقات سابقة ومعاصرة للقرن الثامن في الليتورجيا البيزنطيّة (عن طريق أنطاكيا)، مثل رفرفة الحمامة كإشارة إلى الروح القدس الذي يحلّ على القرابين المقدّسة.

١٤ Arthur Vööbus, ed. *The Synodicon in the West Syrian Tradition*.CSCO, Vol. 367 Syr. 161 Louvain, 1975, p. 237.

١٥Ibid. pp. 243-244.

الليتورجيا في التقليد الكنسي اللاتيني -١-

نأخذ الحياة من ينبوع ماء جاري

الراهب تشارلوكاميليري*

المعرِّب: داليا قندلفت **

مقدمة لاهوتية

يبدأ جان كوربون كِتابَهُ "نَبعُ العبادة"[١] *The Wellspring of Worship*، والذي يُعتَبَر من أحد الكُتُب المهمّة في الليتورجيا، بتَشبيه مَسيرة حياة آباء الكنيسة وحياة كُلّ إنسان بالبئر. لأنّنا في بَعض الأوقات في هذِهِ المَسيرة نَقفُ ونَبحَث عن الماء، نَحفر الآبار بحثًا عن الماء وعن العيون المُختَبِئة تَحت الأرض. كوربون يُنوِّه، عن لِسان اوريجانوس، بأنّ مَسيرة حياة آباء الكنيسة كانت في مُعظَم الأوقات حَفرًا للآبار بَحثًا عنِ الماء.[٢] فقد كانوا يَبنَون الهياكِلَ والمعابِد إلى جانب هذِهِ الآبار. في العَهد القَديم هُنالكَ ٣٠ مَرجعًا لِهذِهِ الآبار والّتي لَيسَت بالضّرورة مُرتَبِطة مع نَبعِ ماءٍ[٣]. أمّا في العَهد الجَديد في إنجيل يوحنّا فإنّ البئر مُرتَبِط مَعَ نَبعِ ماءٍ جاري، ذاكَ الماء الذّي يَخرُجُ من أولئك الّذين يُؤمنون بيَسوع المسيح ويَشربونَ مِنَ الماءِ الّذي يُعطيه هو (يو ٤/١٤).

أوريجانوس يَدعونا لِقراءَة الكِتاب المُقدّس بَحثًا عن هذه الآبار إلى أنْ نَجِدَ البئرَ الّذي إرتاحَ عليه السيّد المَسيح في إحدى مَسيراتِهِ[٤]. عِندَ بئرِ يَعقوب، جَلَسَ يَسوع وأعطى ماءَ الحياةِ للسامريّة العَطشانة، ليسَ فقط للماء بل للحياة الدّائمة ايضا. وهو عَطَشٌ يَختَبِئُ تَحتَ ذلِكَ التّعب مِن الذّهابِ والإياب تحتَ حرارَةِ الشّمس لكي تَملءَ مَاءً يَنفَد. إلاّ أنَّ أشعيا النّبي يُخبرُ شَعبَ اللهِ بأنّهُم "سَيَسْتَقُونَ مِيَاهًا بِفَرَحٍ مِنْ يَنَابِيعِ (آبار) ٱلْخَلاصِ" (١٢/٣).

أولا: سرّ الليتورجيا

قصّة السّامريّة هي واحِدةٌ مِن المَفاتيح المهمّة الّتي تُساعِدُنا على فَهمِ سرّ الليتورجيا لأسبابٍ عِدّة، مِنها لأنّنا في مُعظَم الأوقات نَحفِرُ لأنفُسِنا آبار مَشقوقَةً يَتَسرّبُ مِنها الماء. يَسوع يَفتَح لنا أعيُنَنا ويَقول لِكُلِّ مَن يؤمِن بِهِ

---

*CharlòCamilleri: راهب كرملي من مالطا. أستاذ اللاهوت الروحي في كلية اللاهوت في جامعة مالطا. له العديد من الكتب والمقالات.

**Dalia Kandalaft: من العذارى المكرسات من الأردن.تعيش وتخدم حاليا الكنيسة في مالطا. متخصصة في الاتصالات.

١ جان كوربون، نبع العبادة، المطبعة الاغناطيوسية، ١٩٨٨.

٢ أوريجانوس، الوعظة عن سفر التكوين، ١٣.

٣ مثل في سفر التكوين ١٩:٢٦؛ نشيد ١٥:٤.

٤ راجع أريجانوس، الوعظة عن سفر العدد، ١٢.

أنّ مِنهُ ستَخرُجُ أنهارٌ مِن الماءِ الحيّ (يو ٣٨/٧). حزقيال النّبي يَقولُ لَنا بأنّ الماءَ الّذي يَخرُج مِن جانبِ الهيكل يعطي الحياة في كُلّ مَكان يَسيل فيه ولكُلّ شيءٍ يلمسُه (٩/٤٧). في الكُتُب المُقدّسة نَجِدُ صِفات الماء الحيّ الّذي نَستَطيع الحصولَ عَليه إنْ حَفَرنا روحيًّا في المكان الصّحيح:

١. إنّها المياهُ الّتي تَخرُجُ من هَيكل الله إلى جَنوبِ المَذبَح (حز٤٧/١؛ يوئيل ١٨/٣).
٢. إنّه الماءُ الّذي لا يَنضَب أبدًا. ماءُ يَجري في الصّيفِ وفي الشّتاء (زك ٨/١٤).
٣. يسوع المسيح هو النّبعُ الّذي تَخرُجُ مِنهُ هذهِ المياه (يو٤/١٠).
٤. إنّها مياهٌ تَروي (يو ٣٧/٧).
٥. إنّها مياهٌ تفيض في مَن يَشرَب مِن الرّب يَسوع (يو ٣٨/٧).
٦. إنّه الحمَل والرّاعي الّذي يُعطينا هذهِ المياه (مز ٢٣؛ رؤ ١٧/٧).
٧. إنّها المياهُ الّتي مَتى تَخرُج مِن عَرشِ الله تُكثِرُ فينا الثمار (رؤ ٢٢/١-٢).
٨. إنّها المياهُ المَفتوحَةُ للجميع (رؤ ١٧/٢٢).

هذا الماء، يُضيفُ يوحنّا الرّسول، "هو الرّوح الّذي يَحلُّ على كُلِّ مَن يؤمن بيسوع" (يو٣٩/٧). وهو الرّوح الّذي أُعطيَ لنا كتلاميذ ليَسوع المسيح والذي هو حياةُ اللهِ فينا، والّذي يَصرُخ بهِ قَلبُنا "يا أبّا الآب" وبهِ نُصبِح أحبابَ الله "وتُصبح السّماءُ وَطنَنا". نَحن نَعتَبِر الله أب لِجَميعِ البَشَر لأنّنا بالمسيحِ أصبَحنا أبناء له. لِذلِك يَسوع يُجيب السّامريّة على سؤالِها: في أي مَكانٍ يَحلُّ به عِبادَةُ الله؟ أعلى هذا الجبل أو على ذاك؟ في ذاكَ المَعبَد أو في آخر؟ ليفتَح لنا أعيُنَنا على هذهِ الحقيقة: "يَا ٱمْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ ٱلآنَ، حِينَ ٱلسَّاجِدُونَ ٱلْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِٱلرُّوحِ وَٱلْحَقِّ، لِأَنَّ ٱلآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلاءِ ٱلسَّاجِدِينَ لَهُ. ٱللهُ رُوحٌ. وَٱلَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَٱلْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا" (يو ٢١/٤، ٢٣-٢٤).

ثانيًا: العبادة الحقيقيّة

اللّقاء بين يَسوع والسّامريّة والتّعليم الّذي أرادَ السّيّد المسيح أن يُعلّمنا إياه، يأخذُنا إلى مَسيرَةِ أبناءِ إسرائيل في الصّحراء حين نابَهُم العَطَش. هذهِ التّجربة القاسية الّتي شاءَ الله أن يَجعَل الشّعب اليهوديّ يَمرُّ بها، بعدما أخرَجَهُ مِن مصر "بالقوّة والعَزم" (لأنّ هذا الشّعب رَغمَ أسرِهِ أرادَ البقاء في مصر)، كانت تَجربة ضَرورية لكي يَعبُر به مِن الوثنيّة (الّتي تَعلّمها في مصر) إلى العِبادة الحقيقيّة لله. قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني يقول في هذا الشأن:

"أعطِيني لأَشرَب" (يو ٧/٤). بهذه الكلِمات يَسوع النّاصريّ يوجّه طَلَبَهُ لإمرأةٍ سامريّة عِند بئرَ يعقوب. يَسوع أخذَه التّعب مِن المشي والوعظ لِذلِكَ يَطلبُ القليلَ من الماء. هذا الطّلب يُضاف إلى إصرار أولاد اسرائيل في مَسيرَتِهم نَحوَ أرضِ الميعاد. كان ذلِكَ في صَحراءِ رافيديم. إصرار الشّعب كان قويًّا بل عدوانيا: "لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِتُمِيتَنَا وَأَوْلاَدَنَا وَمَوَاشِيَنَا بِٱلْعَطَشِ؟" (خر٣/١٧). لِذلِكَ يَتَقَدّم موسى أمامَ الله بطَلَب الماء لأجلِ شَعبه،

فيُخرج لَهُم الله الماء من الصّخرَة. هذِهِ الحادثة هي بُرهان على قوّة الله وعلى عِنايَتِه الإلهيّة الّتي خَصّ بها هذا الشّعب المُختار. في البَلدَة السّامريّة سوخار، السيّد المَسيح يَطلُب مِن المرأة السامريّة الماء من بئرِ يَعقوب، وفي نَفسِ الوَقت يَظهر لَها سرّ الماء الحيّ، الّذي لا يَخرُج مِن بئر بل يُعطى لنا هِبة مَجانيّة مِن عِند الله. "لَو كُنْتِ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ ٱللهِ، وَمَنْ هُوَ ٱلَّذِي يَقُولُ لَكِ أَعْطِينِي لأَشْرَبَ، لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيًّا" (يو ٤: ١٠).[٥]

لقد ظنّ الشّعب اليهودي بأنّ الله أخرَجَه مِن مصر إلى الصّحراء لكي يَقضي عَليه، إلاّ أنّ الله لَم يَشأ القَضاء عَلى الشّعب بل على الوثنيّة الّتي كانت في قَلبه. البابا بندكتُس السادس عشر يَتَكَلّم عن أهميّة الخروج إلى الصّحراء والحاجة الماسّة لَها والتي أرادها الله لِشَعبه أن يَمرَّ بها، حيث كانت السّبب الأول لإعطائِه الأمر لفرعون إلى إطلاق الشّعب اليهودي، وذلك ليَتَعَلّم هذا الشّعب العِبادة الحقّة، العبادة التي تُتَرجَم في الحياة بحسب قَلب الله، لا بحياةٍ وثنيّة زائِفة بحسب مُعتقداتِنا وشهواتِنا. العبادة الوثنية ما هي إلاّ خُزعبلات، لانّها عبادة مَصدرها ليس الإيمان.

في كتابه "روح الليتورجيا" يَتَكَلّم راتسنجر (البابا بندكتس السادس عشر) عن هذا الموضوع، ويقول لنا بأنّ العبادة الحقيقيّة لله هي أنْ نَجعَل الله يُعلّمنا هو كيفَ نَعبُدُه ونَسجُد له في "روح الحقّ" لأنّنا كما يقول بولس الرّسول: "..لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ ٱلرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لا يُنْطَقُ بِهَا. وَلَكِنَّ ٱلَّذِي يَفْحَصُ ٱلْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَاهُوَ ٱهْتِمَامُ ٱلرُّوحِ، لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ ٱللهِ يَشْفَعُ فِي ٱلْقِدِّيسِينَ" (روم ٨/٢٦-٢٧).

ثالثًا: الصّلاة تقودُنا لينبوع الحياة

لِنَستَذكّر ما يُعلّمنا أيّاه القدّيس اغسطينوس حول الصّلاة والعبادة الحقيقيّة لله:

إنّنا في كُلِّ ما نَطلُب ونَسأل، نَطلبُه ونَسأله لأجلِ الحصول على الحياة في الله. وكُلّ من يَحصل على هذا السّلام في حياتِهِ، يكون قد حَصَلَ على كُلِّ شيءٍ ولا يحتاج لأيّ شيء آخر قد يُبعِدُه عن هذِهِ الحياة. هنالك فقط نَجد يَنبوعَ الحياة عندما نُصلّي، لأنّنا نَعيش في أمل إنتظارِ ذاكَ الّذي لا تراهُ أعيُنُنا اليوم، ولكن تَحتَ ظِلّ جناحيهِ نَضع كُلّ آمالِنا، لكي نَرتوي من أنهارِ حُبِّه وحنانِهِ، ومن نورِهِ نَرى النّور، لأنّ قلبنا تَشبَّعَ من خيراته، وهكذا نَعيش لا يَنقُصُنا شيء مسرورينَ وراضينَ. هذا هو السّلام الّذي تَفشل قوّة عقولِنا ادراكه. لذلك عندما نَتأمّل في كيفيّة صلاتنا نُدرك أنّنا لا نُصلّي بالشّكلِ الصّحيح. لأنّنا لا نرى في عقلِنا ذاك الّذي لا تراهُ أعيُنُنا كما هو. ولكننا نُبعِد ونَتجاهَل كُلّ شيءٍ آخر رَغمَ أنّنا لا نَعرف بعد ذاك الشيء الّذي تَبحثُ عَنهُ نفوسُنا. في عَقلِنا يكون مثل الفراغ، ولكننا نَستَطيع أن نُسمّيه المَعرفة؛ فهو مُمتلىء من روحِ الله ويساعِدُنا في ضَعفِنا، كما قال بولس الرّسول: "لأَنَّنَا لَسْنَا

٥ البابا يوحنا بولس الثاني، **وعظة** (الأحد ٢٥ آذار ١٩٨٤).

نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ ٱلرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لا يُنْطَقُ بِهَا. وَلَكِنَّ ٱلَّذِي يَفْحَصُ ٱلْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ ٱهْتِمَامُ ٱلرُّوحِ، لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ ٱللهِ يَشْفَعُ فِي ٱلْقِدِّيسِينَ". لا ينبغي علينا فهم هذا النص على أن روح الله – الذي هو في الثالوث الإله الحيّ، إله واحد مع الآب والإبن– يشفع للقديسيين وكأنّه ليس الله نَفسَه. فقد قيل فعلا: "إنّه يَشفَع للقديسين" لأنّه يُساعد القديسين على الصّلاة. ونصّ آخر يقول: "الرّبُّ إلهُكَ يَختبرُك ليَعرِف إن كُنتَ تُحبّهُ" (تث ١٣/٤)، وبذلك نَعلم إن كُنّا نُحبّه فِعلاً. إنّ روح الله يُحرِّك القدّيسين للصلاة بتنهُداتٍ لا توصَف، ويُلهم نفوسَهُم الرّغبة في شيءٍ كبير جدا، لا يزال غير معروف، نَنتَظِرُه بأمل. وإلا فكيفَ يُمكِنُنا أنْ نَفهم في الصّلاة هذا الخير العظيم الّذي نُريدُه دونَ أن نَعرِفُه؟ إلا أنّه في الواقع نحنُ امام مفارقة: لا يُمكِنُنا طَلَبُ شيء إن كُنّا فعلاً لا نَعرِفُه، ولكنّنا إن عَرفناهُ وحَصلنا عليه، فإنّه يُصبح حَقيقة لا نَشتاقها ولا نَتَلَهّف عليها.[٦]

٦ القديس أغسطينوس من هيبو، **رسالة الى بروبا**.

رابعًا: التفاعل الحيّ في الليتورجيا

الليتورجيا توصِلنا إلى هذِهِ الحقيقة الرائعة. لذلك فإنّ المسيحيّ لا يَستطيع أنْ يَعيشَ من غير الليتورجيا. وإذا أرادَ أن تُفتح له ينابيع الحياة في الصّلاة، عليه أن يَبني صَلاتهُ على ليتورجية الكنيسة. لأن الكنيسة هي جُزء من عَمل الخلاص في جَسَد المسيح السرّي على هذِهِ الأرض، الجَسَد الّذي يَسوع المسيح هو رأسُه. هذا العَمل الخلاصيّ الّذي تُقدِّمُهُ الكنيسة للآب، أُعطيَ لها من السيّد المسيح الّذي هو الرأس والّذي بَذَلَ نَفسَهُ لأجلها، وتشارَكَ بِهِ ومَعَهُ في نَشرِ الخَبَر السّار للعالم بأسرِهِ.

إنّ المجمع الفاتيكاني الثاني في الدستور الخاصّ بالليتورجية المقدّسة *Sacrosanctum concilium* (١٩٦٥)، يَتَكَلّم عن ما يُسمّيه *participatio actuosa* والذي يَعني "تفاعُل حيّ". إنّ الكلمة اللاتينيّة *actuosus* والتي مِنها تُشتق الكلمة المؤنثة *actousa* تُشير إلى شيءٍ حيّ، فَعّال وحيوي. إنّ هذا المصطلح الّذي يَستعملهُ دستور الليتورجية المقدّسة لا نَستطيع القول بأنّه مُصطَلَح جَديد في الكنيسة اللاتينيّة، فالبابا بيوس العاشر في *Motu Proprio Tra le Sollecitudini* عام ١٩٠٣، عندما بدأ عَمَل الإصلاح في ليتورجية الكنيسة اللاتينيّة قال بأن "المؤمنون يَجتَمعون (في الليتورجية) لكي يَرفعوا لله أرواحَهُم من خِلال عَمَل واحد لا يُمكن الاستغناء عَنهُ، وهو المشاركة الفعّالة في الأسرار المقدّسة وفي الصّلاة العامّة والاحتفاليّة للكنيسة". وفي نفس المجال قال البابا بيوس الحادي عشر

في الدستور الرسولي *Divini cultus* عام ١٩٢٨، "أنّ إصلاح الليتورجية في الكنيسة – مع الدخول الجديد للترنيم الغريغوري– يجب أن يُعطي الوسائل اللازمة "للمؤمنين من أجلِ مُشارَكَةٍ أكثر كاملة (فعّالة) في تَسبيح الله" لكي تَكونَ العِبادة أكثرُ جمالاً تَجذُب قلوب المؤمنين المُجتمعين إلى الله وتَرفعُهُم إلى السّماء. وقد أكدّ البابا بيوس الثاني عشر لاحقًا في المنشورات *Mystici corporis* (١٩٤٣) و *Mediator Dei* (١٩٤٧) على أنّ المشاركة الفعّالة (*actuosa participatio*) ليست مُجرّد مُشاركة خارجيّة بل هي مُشارَكة تَنبَع من الاتحاد مَعَ المسيح وجَسَدِهِ السرّي في سرّ المعموديّة.

في سرّ المعموديّة جذورُنا تَتَرَسّخ في المسيح، ونُدفَن فيه، مَعموديتُنا تُصبح غِطاء المسيح لَنا وبذلِكَ تُصبح حَياتَنا شَبيهةً بحياتِه، فنُصبح مِثلهُ، كما هو صار مِثلنا في سرّ التّجسّد. كُلّ مَسيحي في المعموديّة يَستطيع القول: "لستُ أنا أحيا، بل المسيح يَحيا فيّ". فنُصبح *alter Christus* هَيكل المسيح، نَتّحد مَعَ الكنيسة التي هي جَسَدَهُ على هذهِ الأرض. هذا هو فِعلا ما نَحتَفِل به ونَعيشه في الليتورجيّة كُلٌّ بحسَب مَوقعِهِ وعَمَلِهِ ومواهبِهِ الّتي أعطاهُ أيّاها الرّوح القُدُس لبناءِ جَسَد المَسيح "الكنيسة". فإذا فَهمنا هذا المبدأ فَهمنا المعنى الحقيقي لليتورجية، عدا ذلك تَكون احتفالاتُنا وشعائِرُنا خارجيّة ومُجرّدة ونَقع من جَديد في الوثنيّة. فلنتذكّر دائما كلمات القديس بولس: "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ ٱللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ ٱللهِ، عِبَادَتَكُمُ ٱلْعَقْلِيَّةَ. وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا ٱلدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ ٱللهِ: ٱلصَّالِحَةُ ٱلْمَرْضِيَّةُ ٱلْكَامِلَةُ" (روم ١٢/١-٢).

خامسًا: لاهوت السّنة الليتورجيّة اللاتينيّة

في الواقع نَحن نَعيش هذا المثال في الليتورجية بطُرق مُختَلِفة وتَقاليد مُتنوّعة نَسَجَت لِنَفسها شعائر موافَق عليها من قبل الكنيسة على مدار سنين عديدة، فأصبَحَت تَعبيرًا حَيًّا عن التنوّع والاختلاف في جَسَد المسيح والّذي هو الكنيسة جَمعاء، الكنيسة الكاثوليكيّة الّتي نَحنُ نَعتَرِف بها عندما نَتلوا قانون الايمان: "نؤمِنُ بكَنيسةٍ واحِدة جامِعة (كاثوليكية) مُقدّسة رَسوليّة، وفي شَركَة القدّيسين". تَعيش الكنيسة، في التّقليد الكنسيّ اللاتينيّ، هذا اللاهوت كُلّه من خلال تَقسيم السّنة بحسب الزمن الليتورجي. فالسنة الطقسيّة مُقسّمة على النحو التالي:

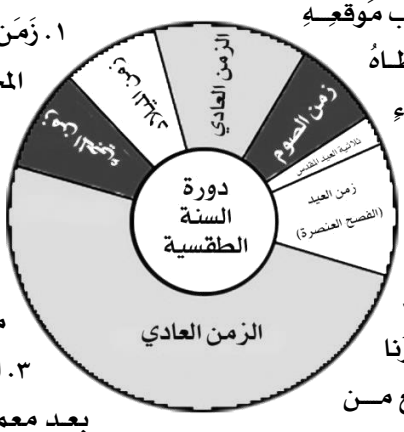

١. زَمَن المجيء (من الأحد الأول لزمن المجيء في شَهر تشرين الثاني حتّى صَباح الرابع والعشرون من شهر كانون الأول).

٢. زَمَن الميلاد (من الرابع والعشرون مساءً حتّى معموديّة الرّبّ).

٣. الزّمَن العادي (من يوم الاثنين بعد معموديّة الرّبّ حتّى يوم الثلاثاء

قبل أربعاء الرماد، أي قبل زَمَن الصّوم الاربعيني).

٤. زَمَن الصّوم (أربعون يومًا من الصّيام والتّقشُّفات، من يوم أربعاء الرّماد حتّى يوم الجمعة العظيمة).

٥. ثلاثيّة الفصح المُقدّس (من يوم خميس الأسرار حتّى أحد عيد الفصح المجيد).

٦. زمَن القيامة المجيد (من سهرة ليل العيد حتّى عيد العَنصرة، أي حلول الروح القُدُس على التلاميذ).

٧. الزمن العادي (من يوم الاثنين بعد عيد العَنصرة حتّى صباح يوم السبت قبل أوّل أحد من زَمَن المجيء).

إنّ تقسيم السّنة على هذا النّحو يَتماشى تَمامًا مع قصّة الخلاص، أي من انتظار وَعد الله بارسال ابنِه لخلاص البشريّة (زَمن المجيء) وحتّى المجيء الاستكاتولوجي للمسيح في آخر الزمان والّذي نَحتَفِل به في عيد يسوع الملك (آخر أحد من الزمن العادي). إن الاحتفال بعيد الفصح المجيد هو مَركَز الاحتفالات في السّنة الليتورجيّة، حيث مِنه تَخرُج وإليهِ تَتَوَجّه كُلّ الإحتفالات الأُخرى على مَدار السّنة، من أعياد الرّبّ او أعياد والِدَة الله القدّيسة مَريم او أعياد القدّيسين. إنّ الماضي، والحاضر، والمستقبل كُلّها تَتَجَمّع في السّنة الطقسيّة، لأننا نُحافظ على ذِكرى حيّة لكُلّ ما صَنَعَهُ الله مَعَ شَعبِهِ في قصّة الخلاص، في الوقت الّذي نَنتَظِر تَحقيق وعود الله في "مِلْءِ ٱلأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي ٱلْمَسِيحِ، مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى ٱلأَرْضِ، فِي المَسيح" (أف ١/١٠). وذلك سيجري "مَتَى سَلَّمَ ٱلْمُلْكَ لِلهِ ٱلآب، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ. أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ ٱلأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ ٱلْمَوْتُ. لأَنَّهُ أَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ ٱلْكُلُّ، فَحِينَئِذٍ ٱلابْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ ٱلْكُلَّ، كَيْ يَكُونَ ٱللهُ ٱلْكُلَّ فِي ٱلْكُلِّ" (١ كور ١٥/٢٤-٢٨).

وعندما نَعيش كُلّ ذلِكَ في الليتورجية نُدرِك بذلِكَ الّذي يُنبّهنا إليه القدّيس بولس وهو بأنّ كُلّ شيءٍ يَبدأ وينتَهي في المسيح، "وفيه أيضًا جُعِلْنا وَرَثَة وقد كُتِبَ لَنا "بتَدْبيرِ ذاكَ الَّذي يَفعَلُ كُلَّ شَيءٍ كما تُريدُه مَشيئَتُه أَن نَكونَ مَن سَبَقَ أَن جَعَلوا رَجاءَهم في المسيح لِلتَّسْبيحِ بِمَجْدِه" (أف ١/١١-١٢).

Bibliography

- Augustine, 'Letter to Proba' (Ep. CXXX), in *Corpus ScriptorumEcclesiasticorum*
- *Latinorum*(CSEL) 44, 56-60.
- Corbon, Jean, *The Wellspring of Worship*, Ignatius, 1988.
- John Paul II, Pope, *Homily* (Sunday March 25, 1984).
- *L'Eglise en Prière:Principes de la liturgie*, edited by A.G. Martimort, Desclée: Paris-Tournai, 1983.
- Origen, 'Homilies on the Book of Genesis', XIII, in *Patrologia Graeca* (PG) XII, 239-236.
- Origen, 'Homilies on the Book Numbers', XII, in *Patrologia Graeca* (PG) XII, 636-666.
- Pius XI, Pope,'Apostolic Constitution*DiviniCultus*', in *Acta Apostolice Sedis* (AAS) XXI/XXI (1929)
- Pius XII, Pope, 'Encyclical *Mystici Corporis*', in *Acta Apostolice Sedis* (AAS) XXXV/II.X (1943).
- Pius XII, Pope, 'Encyclical *Mediator Dei*', in *Acta Apostolice Sedis* (AAS) XXXIX/II.XIV (1947).
- Ratzinger, Joseph (Pope Benedict XVI), *The Spirit of the Liturgy*, translated by John Saward, Ignatius Press: San Francisco, 2000.

نشيد كتابي ليتورجي

(اشعيا ٦٣/١-٦)

دائس المعصرة: المُتكلّمُ بالبرّ والكثيرُ الخلاص

الأخت نازك خالد الدومنيكية

مقدّمة

منذُ البداية، لم تَقتَصِر العِبادة المسيحيّة على مُقاسَمَة الخُبز والخَمر فَقَط، بل أيضًا على الصلاة التي تَضَمّنَت نصوصًا كتابيّة مُتَعدِّدة ومُختَلِفة؛ (كالمزامير والتّسابيح وصَلوات بَعض الشّخصيات البارزة في الكتاب المقدس مثل الأنبياء (أشعيا ٣٥/١-١٠ويونان ٢/٢-١٠ وحبقوق ٣/٢-١٩)، كما هو الحال في الليتورجيّة اليهوديّة. اتخذَت الكنيسة هذِهِ النّصوص الكتابيّة كصلوات لأسبابٍ مُتَعدِّدة أهمّها كونها نّصوص موحاة ورأت فيها خَيرَ وسيلَةٍ لِتُعبِّرَ عن إيمانِها وفِكرِها وخُبرَتِها بكلماتِ مَن سَبقوها في الايمان. عندما تُصلّي الكنيسة هذهِ النّصوص، تَضعُ نَفسَها في مَكانِهِم وتَقرأ الأحداث كما فَعلوا هُم. لِذا جاءَت القِراءات الكتابيّة مُتَعدِّدة ومُختَلِفة بحسَب الأزمِنة الليتورجيّة التي تَعيشُها الكنيسة. والنّص (أش ٦٣/١-٦) الّذي سيُقدّم في هذهِ الصّفحات هو أحد النّصوص الّتي صَلّتها الكنيسة لِما فيه من معاني كتابيّة ولاهوتيّة مُعَبِّرة.

بالحقيقة، يُعتَبَر نَصّ "دائِس المَعصرة" (اش ٦٣/١-٦) من النّصوص الليتورجيّة المُهِمّة. لكن، في هيئتِه الحاليّة وكما نَقرأُه في الكتاب المقدس يَعرِضُ النّص ويُثير أسئلة اكثَر مِن أن يُعطي أجوبة. فهو مُفعَمٌ بالرّموز والمفاهيم الّتي تَستَحِق الوقوف عندها.

يبدأ النّص بما يَجعَل القارئ يسأل: مَن ذا الآتي من آدوم؟ ما بالُ لباسِهِ أحمر؟ ما بالُ ثيابِهِ كدائسِ المَعصَرَة؟ مَن هَذا المُتَكلِّمُ بالبرّ والكثيرُ الخلاص؟

هل يَتَكلّم النّص عن الله؟ أم عن المسيح؟ أم عن شخصيّة يهوديّة مُعيّنة؟ وهل لِهويّة الشّخص وما يَفعلُه عَلاقة بزَمَن قِراءَة النّص في الطّقوس؟ هذه أسئلة قد تَخطر على بال المُصلّي عِندما يُصلي هذا النشيد. للإجابة أو لِفَهم هذهِ الأسئلة مِن الضّروري دراسَة النّص عن كثَب.

أولاً: النشيد كتابيًا

"مَن ذا الآتي مِن أَدوم بِثياب قِرمِزِيَّةٍ مِن بُصْرَة هذا الّذي يَتَباهى بِلباسِه ويَختالُ بكَثْرَةِ قُوَّته؟ ((أَنا المُتَكلِّمُ بالبرّ الكَثيرُ الخَلاص)). ما بالُ لِباسِكَ أَحمَر وثِيابُكَ كَدائِسِ المَعصَرَة؟ دُستُ المَعصَرَةَ وَحْدي ومِنَ الشُّعوب لم يَكُنْ مَعي أَحَد. وَطِئتُهم بِسُخْطي ودُستُهم بِغَضَبي فَآنتَضَحَ عَصيرُهم على ثِيابي فَلَطَّختُ مَلْبوسي كُلَّه لأَنَّه كانَ في قَلْبي يَومُ آنتِقام وبَلَغَت سَنَةُ فِدائي وقَد نَظَرتُ ولم يَكُنْ مَن بَنصُر ودَهِشتُ ولم يَكُنْ مَن يَعضد فأَنجَدَتْني ذِراعي وغَضَبي هَو أَيَّدَني فدُستُ الشُّعوبَ في سُخْطي وأَسكَرتُهم في غَضَبي وأَسلَتُ في الأَرض عَصيرَهم".

بصورة عامّة، يُقدِّم أشعيا الثالث شَخصيّة النشيد بهيئةِ مُحارِب عائِد مِن المَعرَكَة. هذا المُحارِب يَدّعي الشّرعيّة والقوّة ليُخلِّص (أي ليُعاقِب المُتمرّد ويَجعَل المَنطقَة آمِنة). يُعطي هذا المُحارِب تَقريرًا عن مَعركَة (الآيات ٣-٦) الّتي فيها حَارَبَ بدونِ مُساعَدَةِ الشّعوب (تاريخيًّا، قد تكون الحرب إشارة إلى الصّراع الموجود في منطقة آدوم في وقت كِتابَة النّص الّذي يمكن ان يكون بعد السّبي عندما كانت الإمبراطوريّة الفارسية تُحاوِل أن تُسيطر على المنطقة).

صورَة المُحارِب العائِد موصوفَةٌ في إطار دائِس المَعصَرة الّذي يَدوسُ العِنَب وقتَ الحصاد. في النّص كَلِماتٌ عن اللّون الأحمر والكروم وحَصَاد العِنَب والثياب القرمزيّة الّتي تُشير الى مَنظَر العُمّال العائدينَ مِن المَعصَرة إلى أماكِنِهم وقُراهُم في اليهوديّة. في وَسطِ كُلِّ ذلِك، يَنتَصِب الشّخص العَسكري الغامض المُثير للإنتباه. وحسبَ كلامِه، كان عمله وواجِبُه أن يُعيدَ الأمانَ لِلمَنطَقَة (يبدو أنّ الكاتب حاوَلَ الرّبط بينَ المُحارِب ودائِس المَعصَرة. ربما بين الحَربِ والانتصار من جِهة وبين فَرحَة الحَصاد واقتِناءِ الثّمَر من جهةٍ أُخرى)[1]. لكن لِماذا هذا الرّبط بين الصّورتين؟ ولِماذا يُنشَد هذا النص في زمن القيامة أو أزمِنة أُخرى؟

بخصوص السؤال الأوّل، الأمر ليس بمفاجأة، فهناك شواهد في الكتاب المُقدّس تَربط بين الحَرب ودَوس المَعصَرة. مثلا في مراثي ١٥/١ يُشبِّه النّص صورَةَ الحَرب والدّمار بدوسِ المَعصَرة؛ ويوئيل النّبي أيضًا يَتَكلّم في ١٣/٣ عن المَعصَرة في سياقٍ عَسكريّ. يبدو أنّ الفِكرة الّتي يُريد أن ينقُلها الكاتِب والّتي تَرِد في كِلتا الصّورَتين، هي أنّ الوَقت قد حانَ لِعَمَل شيءٍ ما وهو: دوسُ العِنَبِ في المَعصَرة، والقضاءُ على العدوّ الّذي تَفاقَمَ عُنفُهُ.

لكنّ الموضوع المُثير للانتباه هو أنّ المُحارِب يُعلِّل في (آ ٤) ما فَعَلَه ويُعطيهِ تَفسيرًا: "لأَنَّه كانَ في قَلْبي يَومُ آنتِقام وبَلَغَت سَنَةُ فِدائي" إذًا، كلّ ما يَحدث (وبضمنهِ العودة) يَتمُّ في إطار سَنَة الفِداء. سَنة الفِداء هي سَنَة رِضَى الرّبّ. إذا ما فَهمنا سَنَةَ الفداء على ضوءِ ما جاء في (لاويين ٢٥) عن سَنَةِ اليوبيل، سَتكون الفِكرة أوضَح، ففي ١٠/٢٥ يَتَكلّم النّص عن قانون سَنة اليوبيل الّتي فيها يَعود "كُلُّ واحدٍ إلى مُلكِهِ وإلى عَشيرَتِه". يبدو أنّ سَنَة الرِّضى بالنِّسبة للكاتب هي سَنَة العَودة إلى الدّيار والأهل[2]. من هُنا تُصبِح عَودَة المُحارِب، دائِس المعصرة، في أشعيا ٦٣ هي عَودة إلى الحُريّة. عودَةُ كُلِّ ما هو للأرض إلى الأرض، وكُلّ ما هو للأهل إلى الأهل، وكُل ما هو لله إلى الله. فِكرَة العَودَة مِن الشّتات غير مُستبعَدَة في النّصوص الأشعياويّة.

الأمر الآخر الّذي حَرَصَ الكاتب على إبرازه هو تَنفيذ الحُكم مِن قبل الرّب لِوحدِهِ: "ومِنَ الشُّعوبِ لم يَكُنْ مَعي أَحَد". هذا الإعلان يَتَكرّر في (أش ١٥/٥٩-١٩) حيث يقول النّص:

١ Watts, J.D.W., *Isaiah 34-66*. (WBC 25; Dallas 2002), p 317.

٢ Blenkinsopp, J., *Isaiah 56-66: A New Translation with Introduction and Commentary* (New Haven 2008), p 250.

"وصارَ الحَقُّ مَفْقوداً والمُعرِضُ عن الشَّرِّ مَسْلوبًا. وقد رأَى الرَّبُّ فساءَ في عَينَيه أَن لا يَكونَ حُكمٌ هُناكَ ورأى أَنَّه لَيسَ هُناكَ إِنْسان ودَهِشَ أَن لا يَتَدَخَّلَ أَحَد فذِراعُه هي أَنْجَدَته وبِرُّه هو أَيَّدَه...." بين هذين الاعلانين (٥٩/١٥-١٩ و ٦٣/٥-٦) يَتَكلّم أشعيا عن مُستقبَل أورشليم المَذكور في الفصول ٦٠-٦٢. هذا يَعني أنّ مُستقبَل أورشليم يَعتَمِد على الله وَحدَهُ وإنّ الاعتِمادَ على قورش ليسَ بالأمر الأساسيّ في نَظَر أشعيا[٣]. يبدو أنّ هُناكَ تَحوّلٌ كَبير في الفكر الاشعياوي الّذي كان يَرى في (٤٠-٥٥) الملك قورش كملك مُخلّص لِشَعب إسرائيل مُرسل مِن الله. أما في (٥٦-٦٦) فالأمر يَختَلِف: المُخلّص الحقيقي هو الله نَفسه.

ثانيًا: النشيد ليتورجيًا

بعدَ عَرضِ أهم المواضيع والأفكار الكتابيّة واللاهوتية في النّص يَبقى السؤال عن استِعمالِه في الليتورجيّة. النّص يَعرض صورةً لِمُحارِبٍ عائدٍ في سَنَةِ الفِداء، يُشبِهُ دائِسَ المعصرة، وقد نَفّذَ الحُكم (الدينونة) على العدو لِوحدِه. كيف يؤثر كل ذلك على سبب اختيار النص في الليتورجية؟

لِلوَهلة الأولى قد يَتَصَوّر المرء أن النشيد تَصحّ قراءتُه في الأزمِنة الفصحيّة، حيثُ يَتَكلّم عن الانتِصار والتّحرُّر. وهكذا هو الأمر في بَعض الكنائس، إلا انّ هناك احتمالاتٍ أُخرى.

١. زمن الآلام: في كتابه "روعة الأعياد"، يُبيّن الأب مَنصور أنّ (اش ٦٣/١-٦) مُدرَجٌ ضِمن القراءات الثمانية عن الآلام الّتي كانت تُقرأ في جُمعة الآلام حسبَ طَقس أورشليم القديم[٤]. لِماذا؟ هل لأنّ النّص يَستَعمِل تَعابير تُشير الى الدّم؟ رُبما. قد يَتَصوّر المُصلّي أنّ مَنظَر دائِس المَعصَرة يُشبهُ مَنظرَ يَسوع في وقتِ الآلام.

٢. زمن القيامة: هناك كنائس تَقرأ النّص في زَمن القيامة. والسبب المُبرِّر لإنشاده في هذا الزّمن هو أنّ البعض يَعتَقِد أنّ الشخصيّة المَهيبة في النص تُمثّل الله أو المسيح المُنتَصِر الّذي غَلَبَ العدو. وهنا يوجد تقارُب مع النّصوص الشّرقية القديمة التي تَتَكلّم عن تَطهير الآلهة بعد الحرب[٥]. في كلّ حال، لاختيار هذا النّص وقراءتِه في

٣ Blenkinsopp, *Isaiah*, 250.

٤ الاب منصور المخلصي. *روعة الأعياد. الأعياد المسيحية الكبرى: اصلها ومعناها وصورتها*. (بغداد ١٩٨٤). ١٥٨.

٥ Riley, J., "Does YHWAH Get His Hands Dirty? Reading Isa 63: 1-6 in Light of Depictions of Post-Battle Purification", in Kelle, B.E. *et al* (eds), *Warfare, Rituals and Symbol in Biblical and Modern Contexts*. (Atlanta, 2014), 243-270.

زَمن القيامة جذور يهوديّة ليتورجيّة من المهم أن نذكُرها.

أ) القراءات المجمعية اليهودية: كان نص (أش ٦٣/١-٦) يُقرأ مع نص (تك ٤٩/١٠-١٢) وذلك لوجود مواضيع وكلِمات مُتشابهة بينَ النّصين: اللون الأحمر، عصير العنب، ولون الدم في المعارك.

تك ٤٩/١٠-١٢	اشعيا ٦٣/٢-٣
لا يَزولُ الصَّولَجانُ مِن يَهوذا ولا عَصا القِيادةِ مِن بَينِ قَدَميه إلى أَن يأتِيَ صاحِبُها وتُطيعَه الشُّعوب. رابطٌ بالجَفْنَةِ جَحشَه وبأَفضَلِ كَرمةٍ آبنَ حِمارتِه. غَسَلَ بالخَمْرِ لِباسَه وبدَمِ العِنَبِ ثَوبَه. عَيناه أَشَدُّ ظُلمةً من الخَمْرِ أَسنانُه أَشَدُّ بَياضًا مِنَ اللَّبَن.	ما بالُ لِباسِكَ أَحمَر وثِيابُكَ كَدائِسِ المَعصَرَة؟ دُستُ المَعصَرَةَ وَحْدي ومِنَ الشُّعوب لم يَكُنْ مَعي أَحَد.

في كلا النصين هناك إعلان التِزام الرّب بشَعبه. واليهودي المعاصر ليسوع يَقرأ في كلا النّصين بشارة مسيحانيّة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أنّ اليهوديّ في القرون الميلاديّة الأولى كان يَقرأ التّرجوم (الكتاب المقدس باللغة الآرامية) الّذي كان يُترجِم وأيضًا يُفسِّر ما جاءَ في التوراة والانبياء. إذًا الشخصيّة المهيبة المُشار إليها في (اش ٦٣/١-٦) يمكن أن تكون المسيح الّذي يَفدي الشّعب ويأتيهِ بالخلاص.

ب) الكنيسة الاولى: لم يبقى الأمر على صعيد الليتورجية اليهوديّة، بل أخذَت الكنيسة الأولى، الّتي كانَت مُعتادَة آنذاك على القِراءات التّرجومية، مِن نَفس المَعين، وحاوَلَت أن ترى في يَسوع ذلِك المسيح الّذي تَتَكلّم عنه النّصوص في العهد القديم. فرأت في المسيح الّذي يَتَكلّم عنه أشعيا (في الترجوم) يسوع القائِم مِن الموت. وأكثر من ذلِك، رَبَطَت الكَنيسة الأولى بينَ دائِس المَعصَرة والدّيان الّذي يُجري الدينونة لِوَحدِه. نرى هذا الأمر واضحًا في سفر الرؤيا الّذي يَستَعمِل صورَةً مُشابهة لِصورَة دائِس المَعصرة في النّص الاشعياوي، "مِن فَمِه يَخرُجُ سَيفٌ مُرهَفٌ لِيَضرِبَ به الأُمَم. وإنَّه سيَرْعاها بعَصًا مِن حَديد، ويَدوسُ في مَعصَرَةِ خَمرَةِ سَورَةِ غَضَبِ اللّهِ القَدير" (رؤ ١٩/١٥) مِن الواضح انّ الشخصّ الّذي يَتَكلّم عنه كاتب الرؤيا هو المسيح الآتي والّذي يَقوم بالعمل الفدائيّ المنسوب إلى الله في النص الاشعياوي. هكذا يُطبِّق كاتب الرؤيا القراءة المسيحانيّة لِنص اشعيا على ضَوء يَسوع المسيح الناصري. إذا، في اشعيا يمكن أن يرى المسيحي المؤمن صورة الفادي المَهيب الخارِج مِن المعركة مُنتَصِرًا على أعدائِه[٦].

وعليه، ممكن ان نستنتج انه إذا كان النشيد يشير الى الفادي المنتصر، فقراءة النصّ تصحّ أكثَر في زمن القيامة. وهذا ما نراهُ في التّقاويم الليتورجيّة لِبَعض الكنائس مثل تقويم الليتورجيّة المارونيّة (جُمعة أسبوع الحواريين)[٧]. وتقويم الليتورجيّة السريانيّة

٦ يارة متى، "قراءة مسيحانية في سفر اشعيا ٦٣: ١ -٦ من خلال ترجوم الشريعة والانبياء"، في شهوان أيوب، سفر اشعيا، مجموعة محاضرات، دراسات ببلية ٥٢ (لبنان ٢٠١٤)، ص ٤٨٥ -٤٩٧.

٧ يارة، "قراءة"، ص ٤٩٧.

الانطاكيّة (أربعاء أسبوع القيامة).

يجدر القول أنّه مِن المتوقّع أن نَرى النّص في الفناقيث التي تَضم صلوات الفَرض لأيام الآحاد والأعياد وتذكارات القديسين والشهداء للكنيسة السريانية الانطاكية كونها بُنيَت من عُنصرين أساسيين هما: النُصوص الكتابيَّة ومؤلفات الآباء، إلاّ أنّ النّص غير مَوجود. بدلاً مِن ذلِكَ نَرى مُقتطفات مِن الصّلوات والشّروحات الّتي تَذكر أجزاء من النشيد وذلك في أزمنة مُختَلِفة. على سبيل المثال نقرأ في[٨]:

-مساء إثنين الآلام: "أشعيا رأى بأنّ ثيابَ المسيح مَصبوغةٌ بالدّم قبل أن يأتي إلى العالَم وتَنبّأَ بالروح القُدس وقال: مَن هو الآتي مِن آدوم وهو مِثلَ العاصرِ وهو مَصبوغٌ بالدّم؟ هلليلويا مُبارَكٌ الّذي حَمَلَ أوجاعنا ولأجلِنا احتَمَلَ الآلام"؛

- ليل خميس الصعود: "وَقَفَ الخُدّام السّماويون بِخوفٍ ورِعدة وحَيرةٍ وانشَدوا مَزمور أشعيا المُفرِح: مَن هو هذا الآتي من آدوم وثيابُهُ حَمراء وقوّته شَديدة؟ أنتَ يا رَبّ المَجد عَلّمتَهُم: أنا دُستُ وَحدي مَعصَرَةَ الشّعوب المعنويّة ولَم يوجَد مَعي أحدٌ مِن الشّعوب وظَهرت هكذا واتّضَح للأركانِ وللسلاطين الّذين في السماء بِمعرِفَةِ حِكمتِكَ الإلَهيّة المليئة تَمييزًا. لِنَهتِف مع اشعيا: من هو هذا الذي يأتي من آدوم وحَمراءٌ هي الثياب الّتي يَلبسُها مِثل مَن عَصَرَ المَعصَرة؟ أيُّها الشّعوب سَبِّحوهُ وعَظّموهُ إلى أبد الآبدين".

-ليل الاحد الثاني من العنصرة: " قال أشعيا النّبي للمسيح لَمّا قامَ مِنَ القَبر: ما هذِهِ الجروحُ في يَديكَ؟ لِماذا هي مَصبوغَةٌ بالدّم أعضاؤكَ؟ وثوبُكَ مُلطّخٌ بِجروحِكَ؟ قال الرّب: دُستُ المَعصرَة وَحدي ولَم يكُن مَعي أحدٌ مِن الشّعوب ليأتيَ ويَعضُدني هلليلويا أنا وحدي تعذّبت".

من الواضح أن النّص في التقليد فُهِمَ بأكثَر من طريقة وقُرِأ في أكثر مِن عيد أو مُناسبة ليتورجيّة. البَعض يَرى في النّص صورةَ يَسوع الملطخة ثيابُه بالدِّماء. فتَكَلّمَ عن يَسوع المُتألِّم الّذي يَحملُ الأوجاع وصلّى القراءة في زَمن الالام. والبعض الآخر رأى في النّشيد صورة المسيح المُنتَصِر على العدو فصلّى النشيد في زمن القيامة. والأكثر من ذلك هناك من رأى في النّشيد صورةَ المسيح الدّيان الّذي بعد أن أنهى كُلَّ شيءٍ صَعِدَ إلى السّماء. وبذلِكَ تكون صورةُ المُحارِبِ المُنتَصِر دافعًا لِتَسبيحِ الشّعوب.

خاتمة

في النّص صورة للمحارب المنتصر على العدو. ممكن ان نرى فيه صورة المسيح المنتصر على العدو الظالم. ومنظر المحارب الدائس المعصرة هو دعوةٌ لكُلّ مسيحيّ أن لا يفقد ايمانه وثقته بالله. فالابن داس المعصرة وغلب الشرير. واليوم في معصرة الألم والغربة التي نعيشها في وقتنا الحالي نضع رجاءنا بالله وبمسيحه ان ينعم علينا بالعودة أولا اليه والى كنيستنا والى بعضنا البعض. انها سنة رضى الرب. سنة التحرر من كل ما يستعبد الانسان ويبعده عن الله. وعليه، يبدو ان النص يناسب اكثر زمن القيامة اذا ما ركز القارء على صورة المسيح المنتصر.

٨ الفناقيث، بهنام سوني (الأب د.)، ترجمة من السُّريانيّة إلى العربيّة.

حدث ليتورجي

اعمال اللجنة الليتورجية البطريركية

للكنيسة السريانية الانطاكية الكاثوليكية

الأب جاك مراد

مقدمة

تعوّدنا في كُلّ عَدد جَديد مِن المجلة الليتورجيّة، أن يكون لنا حدث ليتورجيّ، ونقصد به حدث نادر الحدوث او رُبما حدث لا يتكرر لفترات طويلة، والحدث الذي رَصدناه لهذا العدد هو "اعمال اللجنة الليتورجية البطريركية" وآخر ما توصلت له، لِنفسَح المجال لقرائنا الاعزاء الاطلاع على تلك الاعمال وربما ابداء ملاحظاتهم.

تقرير أعمال اللجنة الليتورجية البطريركية

مشروع القداس المُقتَرَح حسبَ طَقس الكنيسة السريانية الانطاكية الكاثوليكية الذي عُمل على إعادة النظر به وتجديده ما بين سنة ١٩٩٩ وحتى ٢٠١٧.

لابُدّ من الرجوع إلى بدايات عمل اللجنة الليتورجية لفهم الخطوات التي أدت للوصول الى مشروع القداس الذي طُرِحَ مؤخرًا على مجمع كنيستنا السريانية الانطاكية المقدس. وأقول مَشروع، لأنه وإن تَمّت الموافقة المبدئية عليه من قبل آباء مجمعنا المقدس، إلا أنّه وضِعَ قيد التّجربة في كافة رعايا أبرشياتنا السريانية الناطقة باللغة العربية والسريانية. بانتظار الملاحظات الأخيرة التي يُمكن لِرُعاة الابرشيات أن يُرسِلوها إلى غبطة البطريرك قبل اعطاء الامر بالطباعة.

تأسّست اللجنة الليتورجيّة البطريركيّة بتوجيه ومساعي المثلث الرحمات البطريرك الكاردينال مار اغناطيوس موسى الاول داود حيث عُقِدَ أول لقاء لأعضاء اللجنة في حزيران سنة ١٩٩٩ برئاسته وبمشاركَةِ عَددٍ من أساقفة وكهنة وعلمانيين من ذوي الاختصاص والنشيطين في حقل العمل الليتورجي.

في الاجتماع الاول، تم النقاش حول ما يمكن أن نسميه خُطة عمل ومنهج لما يمكن القيام به كأولويات وحاجات مُلِحّة في رعايا أبرشياتنا السريانيّة في العالم. وقد دعى غبطة البطريرك عددًا من كبار الآباء العاملين في حقل الاصلاح والتجديد الليتورجي في الكنيسة السريانية المارونيّة التي سبقتنا وبجدارة في هذا المجال ومن بعد الاستماع إليهم ولاستفادة من خُبراتِهم وتوجيهاتهم التي كانت مؤسِسة لعَمَلِنا وانطلاقتِنا، ابتدأت المسيرة.

لقد وقع الخيار للعمل على دراسة القداس السريانيّ وتطوره عبر التاريخ وكيف وصل إلينا بهذه الهيكلية، خلال الاجتماعات التي كان يدعو إليها صاحب السيادة مار يعقوب بهنان هندو الذي اختاره غبطة البطريرك رئيسًا للجنة الليتورجيّة البطريركيّة.

خلال الاجتماعات الدورية للجنة في السنين الاولى قمنا بدراسة تفصيلية وتاريخية للقداس السرياني لا سيما القسم الاول منه والذي تتميز به ليتورجيتنا السريانيّة والذي يَتَضَمّن بتفاصيله خمس أقسام.

- رتبة النور: وتعود إلى القرن الرابع الميلادي
- رتبة ملكيصادق

- رتبة التوبة
- رتبة الكلمة
- قانون الايمان

كل قسم من هذه الاقسام يتآلف من:

صلاة الابتداء، لحن، حسابة، لحن، صلاة بخور

ترتيب هذا القسم من القداس يعود إلى مار يعقوب الرهاوي الذي نظّم طقوس الكنيسة السريانيّة في القرن السابع الميلادي.

ما عدا الرتبة الأولى، رتبة النور، والتي تعود إلى القرن الرابع الميلادي، حيث نجد فيها فقط نشيد النور الذي يُفتَتح كل إحتفال وكل رُتبة ليتورجية إذ هو المسيح الذي يأتي ليحتفل بنا ونَحتفل به هو النور الحقيقيّ الذي يُنير بحضورهِ الكون بأسره. وما عدا قانون الايمان. فقد قمنا في باقي الرُّتب باختزال في الترتيب الذي ذكرتُه أعلاه كي نُركِّز على مبدأ:

- الحفاظ على ما هو أقرب للهيكلية ولكن الاختصار الممكن ليس على حساب النصوص فقط إنما على حساب البنية الجزئية لأقسام القداس لنخرج في النهاية بهيكلية أقرب ما يكون للجذور الاولى للقداس السرياني الأنطاكي.

- ألا نبتعد كثيرًا عن كنيستنا الأم أي الكنيسة السريانية الارثودكسية محافظين على ما هو مشترك بيننا ونعتبره جوهريًا إذ تشترك العديد من رعايا كنائسنا في مناطق عديدة من بلادنا كما وفي المهجر في الاحتفالات الراعوية معًا ولا سيما القداس الالهي.

لقد توزعت المهام لدراسة القداس السرياني على كل أعضاء اللجنة وقام كل واحد بدراسة تفصيلية للقسم الذي أوكل إليه بعيدا عن المقترحات والتمنيات الشخصيّة.

أما القسم الثاني من القداس والذي يسمى الأنافورا أي التقدمة أو القسم الافخارستي فقد تم التّركيز على ضرورة اختيار عدد أكبر من الصّلوات الافخارستية لإغناء احتفالاتنا، استنادا إلى خبرة آباء كنيستنا الذين تركوا لنا إرثًا كبيرا وفريدًا من الصّلوات الافخارستية يصل إلى ٧٢ أنافورا. وهذا ما يميز ليتورجية كنيستنا السريانيّة خلافًا لكل الكنائس الأخرى.

كما قام بعض آباء لجنتنا المحترمين بدراسة بعض الأقسام التي تشكل أهمية في هذا القسم من هذه الصلوات الافخارستية، كصلاة القصي ودعوة الروح القدس.

والبعض الاخر من آبائنا قاموا بالعمل على اقتراح توزيع قراءات الكتاب المقدس الطقسية على ثلاث سنوات، ولكن هذا المقترح علِّقَ، وحوِّلَ إلى اللجنة الكتابيّة التي لم تؤسّس بعد، والتي عليها تَقديم دراسة معمّقة ومرتكِزة على دراسة المقارنة لكافة التقاليد السريانيّة التي لدى كل مِنها رزنامة للقراءات خاصّة بها. وعليها أيضًا دراسة المسيرة الروحيّة التي ترافق المؤمن من خلال نصوص القراءات الكتابية لتشمل في أوسع نطاق أغلب النصوص من الكتاب المقدس.

كما وقام بعض آباء اللجنة والعلمانيين من ذوي الباع في الالحان السريانية بعمل هام، وهو ترجمة عدد لا بأس به من الألحان من اللغة السريانية إلى اللغة العربية مرتكزين على المصادر الاهم في الإرث الليتورجي السرياني. فقد قاموا بترتيب مجموعة من الألحان على مدار السنة الليتورجية والأعياد الثابتة السيديّة والسيدة العذراء والقديسين. وكذلك الهولالات والحوتومات أي النشيد الذي يختم القداس والمتغير بحسب الزمن الطقسي أو المناسبة التي يحتفل بها من عيد سيديّ أو لامنا العذراء مريم أو لأحد الشهداء أو القديسين من الدرجة الأولى. وغيرها. مرتكزين على مجموعة الفناقيث والتي هي المصدر الجامع لأغلب التراث الليتورجي السرياني.

وقد قامت اللجنة الليتورجية بتحويل هذا العمل أيضاً إلى لجنة موسيقية مختصة، لدراسة هذه الاعمال وضبطها موسيقيًا كتابة وتسجيلا كي يسهل على أبناء رعايانا أينما كانوا وجوقات الترتيل تعلمها، كي تكون احتفالاتنا الليتورجية مرتبة في كل مكان أسوة بسائر الطقوس والتقاليد الليتورجية العريقة.

لقد قمنا بوضع هيكليتين للقداس ليستا مُختلفتين بالمبدأ واحدة للآحاد والأعياد والأخرى للأيام الإعتيادية من الأسبوع.

بعض ما ألغي في قداس الأيام الاعتيادية هو:

-نشيد الكلمة: "أعظّمُك أيُّها الرب الملك.." والمنسوب إلى البطريرك السرياني سويرس الأنطاكي من القرن السادس الميلادي وقد وضعه باللغة اليونانية وأدخل في القداس الالهي اعتبارا من القرن الثاني عشر الميلادي إذ لا نجد أي ذكر له في المخطوطات قبل هذه المرحلة وكذلك الامر في الكنيسة البيزنطية.

- قانون الايمان

-الصلوات الثلاث التي تسبق المناولة والاكتفاء بصلاة واحدة فقط.

إن الجهد الذي بذله كافة أعضاء اللجنة الليتورجية يَستحق التقدير ورفع الشكر لله كما ويستحق الشكر لكل واحد من هؤلاء الأعضاء الذين لا بد من ذكر أسمائهم، وهم:

- غبطة البطريرك مار اغناطيوس يوسف الثالث يونان الكلي الطوبى
- مار يعقوب بهنان هندو - رئيس اللجنة
- مار رابولا أنطوان بيلوني
- مار فلابيانس يوسف ملكي
- مار باسيليوس جرجس القس موسى
- مار غريغوريوس بطرس ملكي
- مار يوحنا بطرس موشي
- مار بولص أنطوان ناصيف
- الخورأسقف منير سقال
- المرحوم الخورأسقف إميل أسود

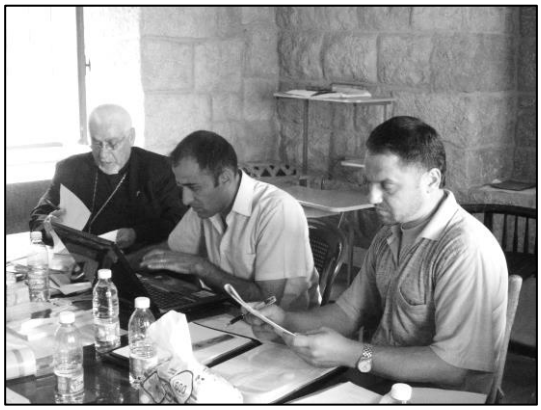

- الأب الراهب يعقوب مراد
- الأب أفرام سمعان
- المرحوم الأب عيسى نعوم
- الراهب ياسر عطاالله
- المرحوم الشماس يوسف وهبة الذي قام بعمل جبار وهو ترجمة الفناقيث والمعدعدونو إلى اللغة العربية
- الشماس طليع جحولا
- شربل صموئيل
- إياد غانم

خاتمة

إن هذا العمل جاء خطوة رجاء كان أغلب أساقفة وكهنة ورعايا كنيستنا السريانية بانتظاره. لقد طال العمل وتعطل لسنين بسبب الحرب البغيضة التي ألمت بسوريا والعراق والتي كانت تعيق أحيانا وصول بعض أعضاء اللجنة إلى دير الشرفة في لبنان، إلا أننا بهمة رئيس اللجنة استطعنا الوصول اليوم إلى هذا الشكل من الاحتفال الذي لا يتجاوز ٤٥ دقيقة عمليًا بدون العظة التي أوصى قداسة الحبر الأعظم في أحد توجيهاته للكهنة بألا تتجاوز السبع إلى عشر دقائق، وهو ككل الوقت المناسب لمجتمعاتنا وعصرنا.

إن هذا المشروع يفتح أمامنا آفاقًا مستقبليّة لا تقل أهميّة عن القدّاس وهو المعدعدان أي كتاب الرُّتب للاحتفالات الليتورجية بالأعياد السيدية الخلاصية، كرتبة الشعلة المرتبطة بقداس الليل لعيد ميلاد ربنا يسوع المسيح. ورتبة تقديس الماء مساء عيد الدنح أي معمودية الرب يسوع على يد يوحنا المعمدان في نهر الأردن، ورتبة تبريك الشموع يوم عيد دخول المسيح إلى الهيكل، ورتبة المسامحة في بدء الصوم الأربعيني ورتب أسبوع الآلام إلخ.

وكذلك لدينا، ما لا يقل أهمية، الرتب الراعوية، أي المعمودية والميرون، الزواج، والجناز.

ختامًا، نسأل القراء الأعزاء تشجيعنا بإبداء ملاحظاتهم هم أيضًا إما لإدارة المجلة وإما لأصحاب السيادة أساقفة الأبرشيات الذين هم بدورهم يستطيعون نقلها إلى اللجنة الليتورجية وصاحب الغبطة.

كما نسألكم طالبين الدعاء ليكون عملنا هدفه الأول والأخير هو مساعدة المؤمنين للاحتفال والصلاة وإيجاد الغذاء الروحي الذي يغني نفوسهم وأجسادهم.

صلاة العائلة

تقديم

كم هو جميل عندما تعلّم الأمّهات الأبناء الصغار أن يرسلوا قبلة ليسوع أو للعذراء. كم من الحنان يحمل هذا التصرّف! في تلك اللحظة يتحوّل قلب الأطفال إلى مكان صلاة. وهذه عطيّة من الروح القدس. فلا نَنسيَنَّ أبدًا أن نطلب هذه العطيّة لكلّ فرد منّا! لأن روح الله يملك أسلوبه الخاص ليهتف في قلوبنا "أبَّا أيّها الآب"، هو يعلمنا أن نهتف "أيها الآب" كما كان يسوع يهتف، أسلوب لن نتمكّن أبدًا من إيجاده بمفردنا (غل ٤/ ٦). ففي العائلة نتعلّم أن نطلب ونقدّر عطيّة الروح القدس هذه. إذا تعلمتها بالعفويّة عينها التي تتعلّم فيها أن تهتف "أبي" و"أمّي"، تكون قد تعلّمتها للأبد. وعندما يحدث هذا الأمر، يلفّ حشا محبّة الله زمنَ الحياة العائلية بأسره، فتبحث عندها العائلة بعفويّة عن وقت الصلاة. (البابا فرنسيس، من المقابلة العامة في ٢٦ آب ٢٠١٥)

بحسَب تَعليم الكنيسة، العائلة مَعنيّة بتَربية وتَنشئة أولادِها على الصَّلاة، وهذا أحد أهداف المجلّة اللّيتورجيّة، لذا ستتمحور مواضيع الصَّلاة لهذِهِ السّنة حولَ أمثال يَسوع الّتي عَلّمَ خلالَها الكثير عن سرّ مَلكوت الله (سرّ الحياة مع الله) ليُساعِدَ مُستَمعيهِ وقلوبَنا أن ترى ما لا تراه عيونُنا، من حضور الله في حياتِنا وخاصّة في الأمورِ البسيطة. لقد كانت الامثال تُجسّد مواضيع من واقع الحياة اليوميّة لِزمان يَسوع، واليوم في واقع حياتِنا تَدعونا صلاة العائِلة أنْ نُبصر حضورَ الله الطيّب في حياتِنا اليوميّة.

أينَ تُصلّي العائلة؟ من الطبيعي ان كل مكان ممكن ان يكون مكان صلاة ورفع الشكر لله الثالوث، ولكن يبقى الاجتماع العائلي او اجتماع عدّة عوائل مع بعض أو اجتماع مَجاميع للصّلاة، عَلامة رجاء في وسط الفوضى. ويمكن ترتيب مكان الصلاة ببساطة عندما يحين وقت الصلاة حيث يوضع الكتاب المقدس مَفتوحًا مع صليب او ايقونة مع شمعة أو سِراج.

تَتَضَمّن الصَّلاة لهذه السّنة: تسبيح قدوس؛ صلاة الابتداء؛ ومزمور أو تَسبحة؛ تأمل في المزمور؛ انتيفونة؛ النّصّ الكتابيّ، تَعليقٌ يوجِّهُنا لفهم النّص المُصلّى؛ ترتيلة مناسبة؛ قراءة نص تأملي من أحد الاباء القديسين أو من التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية او الرسائل البابوية؛ الطلبات؛ ثُمَّ رُتبةِ السَّلام؛ بعدها صلاة الأبانا؛ وتُختم بصلاة البَركة من الكتاب المقدّس. التراتيل المقترحة في الصَّلاة يُمكن تغييرها حسبما تَعرفه العائلة، ويمكن للعائلة أن تُضيف أوقات صمتٍ للتأمُّل في الكلمة الّتي نُصلّيها ونُصغي إليها وأيضًا يمكن للمصلّين أن يُصلّوا طلبات خاصّة.

مثل الأب الرحيم

تسبيح (جماعي): قدوسٌ أنتَ يا الله، قدوسٌ أنتَ يا قوي، قدوسٌ أنتَ يا مَن لا يَموت، ارحمنا (٣ مرات).

ربَّنا ارحمنا، ربَّنا اشفِق علينا وارحمنا، ربَّنا اقبل خدمتنا وصلواتنا وارحَمنا.

المَجدُ لَكَ يا إلَهنا، المَجدُ لَكَ يا خالِقنا، المَجدُ لكَ يا رجاءنا الى الأبد. آمين

صلاة الابتداء (يقرؤها أحد الوالدين): نشكُرُكَ يا إلَهنا على أبوّتِكَ لنا، وعلى قَلبِكَ المُفعَم بالحُبّ، وعلى صَبرِكَ اللامَحدود المليء بالانتظار والّذي يَمنَحَنا الحُرّيّة. أعطِنا أن نَدَعَ حُبَّك يَلمس ظُلماتِ حياتِنا، ولنتأمّل بنورِ وجهِكَ حَتّى نُصبح على مِثالِكَ رَحومين مع أنفُسنا ومَعَ الآخرين.

المزمور (١٠٣/٨-١١) (يُرتّل أو يُردَّد جماعيًّا بين جَوقين بالتناوب)

* الرَّبُّ رَؤوفٌ رَحيم / طَويلُ الأَناةِ وكَثيرُ الرَّحمَة.

** لا على الدَّوامِ يُخاصِم / ولا لِلأَبَدِ يَحقِد

* لا على حَسَبِ خَطايانا عامَلَنا / ولا على حَسَبِ آثامِنا كافأَنا.

** بل كارتِفاعِ السَّماءِ عنِ الأَرضِ / عَظُمَت رَحمَتُه على الَّذينَ يَتَّقونَه

* كَبُعْدِ المَشْرِقِ عَنِ المَغرِب / أَبعَدَ عنَّا مَعاصينَا.

** كما يَرأَفُ الآبُ بِبَنيه / يَرأَفُ الرَّبُّ بِمَن يَتَّقونَه.

* و** ولَكَ التَّسبيحُ يا الله.

تأمل في المزمور (يقرؤه أحد الأبناء): نحن مدعوون لِنُقدِّمَ ذَبيحةَ التّسبيح للربّ، كونه الخالِق والمُخلِّص الرّحوم الّذي يُفيضُ مَراحِمهُ على الجميع، فهو إلهٌ رَحيمٌ رؤوفٌ بطيءُ الغَضَب كثيرُ الإحسانِ والوفاء غافِرُ الإثمِ والمَعصية، حتّى وإن كانت خطايانا كثيرة وثقيلة فهو يُريدُ أن يرفَعنا من التُراب إلى السّماء. إنّ حُبّ الله يَفوقُ مَحبّة الأب لأولادِهِ بِقَدَّر ما يَفوقُ النّورُ الظُّلمة والخيرُ يفوق الشّر.

انتيفونة: قلبًا نقيًا أُخلق فيَّ يا الله، وروحًا مُستقيمًا جدِّد في أحشائي.

قراءة من انجيل القديس لوقا (١٥/ ١١-٢٤) (يقرؤها أحد الأبناء) كانَ لِرَجُلٍ ابنان. فقالَ أَصغَرُهما لأَبيه: يا أَبَتِ أَعطِني النَّصيبَ الَّذي يَعودُ عَلَيَّ مِنَ المال. فقَسَمَ مالَه بَينَهما. وبَعدَ بِضعَةِ أَيَّامٍ جَمَعَ الابنُ الأَصغَرُ كُلَّ شَيءٍ لَه، وسافَرَ إِلى بَلَدٍ بَعيد، فَبَدَّدَ مالَه هُناكَ في عيشَةِ إِسراف. فَلَمَّا أَنفَقَ كُلَّ شَيء، أَصابَت ذلكَ البَلَدَ مَجاعَةٌ شَديدة، فأَخَذَ يَشْكو العَوَز. ثُمَّ ذَهَبَ فالتَحَقَ بِرَجُلٍ مِن أَهلِ ذلكَ البَلَد، فأَرسَلَه إِلى حُقولِه يَرْعى الخَنازير. وكانَ يَشتَهي أَن يَملأَ بَطنَه مِنَ الخُرنوبِ الَّذي كانتِ الخَنازيرُ تَأكُلُه، فلا يُعطيهِ أَحَد. فرَجَعَ إِلى نَفسِه وقال: كم أَجيرٍ لأَبي يَفضُلُ عنه الخُبْزُ وأَنا أَهلِكُ هُنا جُوعًا! أَقومُ وأَمضي إِلى أَبي فأَقولُ لَه:يا أَبَتِ إِنِّي خَطِئتُ إِلى السَّماءِ وإِلَيكَ. ولَستُ أَهْلاً بَعدَ ذلك لأَن أُدْعى لَكَ ابنًا، فاجعَلْني كأَحَدِ أُجَرائِكَ. فقامَ ومَضى إِلى أَبيه. وكانَ لم يَزَلْ بَعيدًا إِذ رآه أَبوه، فتَحَرَّكَت أَحْشاؤُه وأَسرَعَ فأَلْقى بِنَفسِه على عُنُقِه وقَبَّلَه طَويلاً. فقالَ لَه الابْن: يا أَبَتِ، إِنِّي خَطِئتُ إِلى السَّماءِ وإِلَيكَ، ولَستُ أَهْلاً بَعدَ ذلِكَ لأَن أُدْعى لَكَ ابنًا. فقالَ الأَبُ لِخَدَمِه: أَسرِعوا فأتوا بِأَفخَرِ حُلَّةٍ وأَلبِسوه، واجعَلوا في إِصبَعِه خاتَمًا وفي قَدَمَيه حِذاءً، وأتوا بالعِجْلِ المُسَمَّن واذبَحوه فنأكُلَ ونَتَنَعَّم، لأَنَّ ابني هذا كانَ مَيتًا فعاش، وكانَ ضالاًّ فوُجِد. فأَخذوا يتَنَعَّمون

تعليق على النّصّ الكتابيّ (يقرؤه أحد الوالدين): يَسرد لنا الانجيليّ لوقا مثَل الابن الضّال، ويُبيّن موقف الابنين الاصغر والاكبر تجاه اباهما الحنون والرحوم. فالابن الأصغر يُشير للأُمم، بتصرفه وسلوكه تجاه والده، الّذين شَرَدُوا بعيدًا عن الله، اما الأكبر فيَرمز لليهود، من جانب انهم عاشوا في كَنَفِ الله، ومن جانب اخر؛ انهم استصعبوا رحمة الله الكبيرة لجميع الامم. الأصغر تاهَ بعيداً، والأكبر تاهَ داخل البيت. الأصغر يُمثل النّفس البشريَّة الغارقة بتفاهاتِ هذا العالم وشهواته. وأَمَّا، الأكبر فليس بأَفضل منهُ، فهو يُمثّل النّفس البشريَّة المُتكبرة، وكبرياءها جعلَها تنحرف عن فكرِ الله. نستنتج من عودةِ الابن: أوّلاً/ الآب السمّاويّ آبٌ حنّان وليس جلادًا، ولا قاسيًا، بل إنّهُ آبٌ رحومٌ على أبنائه. ثانيًا/ الآب السمّاوي يَنتظر منّي ومِنكَ خُطوةً واحدة، وهو سيُكمّل المشوار معك حتّى النهاية. ثالثًا/ انّ الحضن الإلَهيّ مَفتوحٌ دائمًا فالابنُ بَسطَ يداهُ على عودِ الصّليب ليَحتضن الجميع وأَوّلَهم الخطأة. رابعًا/ الخطوة المهمّة بالنسبة لنا هي المبادرة بالعودة إلى الآب بواسطة التّوبة.

صمت (يُمكن لكُلّ مُصلٍّ أن يُضيفَ تعليقًا قصيرًا)

يا رب ارحمنا (جماعية، يُمكن تغييرها حسبما تَعرفه العائلة مِنَ التراتيل)

يا رب آرحَمْنَا نَحنُ البائسين (١) ها قد رجعنا إليكَ تائبين
انظرْ شقانا واشفق علينا (٢) وآمُر ان يأتي عونُك الينا
أنت أبونا إلهُ الرّحمة (٣) ما لَنا غيرَك يا بَحر النِّعْمَة

من المقابلة العامة للبابا فرنسيس (١٤ حزيران ٢١٧) (يقرؤها أحد الأبناء) اللهُ لا يَربُط مَحبّته بارتِدادِنا بل على العكس الارتِداد يولَد من خُبرَة المَحبّة... لا يُمكِنُنا أن نَعيشَ مِن دونِ المحبّة... إنّ اللهَ لا يَربط مَحبّته بارتِدادِنا بل هو نَتيجَة مَحبّة اللهِ لنا. يقول القديس بولس: "أما اللهُ فدلّ على مَحبّته لنا بأنّ المسيح قد ماتَ من أجلنا إذ كُنا خاطئين" (رو ٥/٨) لقد أحبّنا حتى عندما كُنّا خَطأة لِدرجة أنّ مَحبّتَهُ دَفعته إلى أن يَخرُج مِن ذاتِه حتى يَلتقي بنا على الأرض حيث لَم يكُن عُبوره مَنطقيًا أبدًا.

رتبة السَّلام (يقرؤها أحد الوالدين): يا رَبّ، أنتَ خَلَقتَنا بحُبٍّ والدي وأعطيتَنا الحُريّة لِنقبَلَ حُبَّكَ أو نرفضه. إجعلنا أن لا نفقد ثِّقتنا من أنَّكَ تنتظرنا دوما، حتّى لو حاولنا أن نُجرِّب حياتنا خارجًا عَنكَ، لِتُعيدَ لنا سَلامَنا وفَرَحَ قلوبنا، فَنبنِ عالَمًا يسودُهُ السّلام والحُريّة وتَقبُّل الآخر.

يتبادَل المُصَلّون السَّلام فيما بَينَهُم بالمُصافحة أو المُعانقة وهم يُرتّلون:

يا ربّ السّلامِ أمطِر علينا السّلام يا رَبّ السّلامِ إملأ قلوبَنا سَلام

طلبات (يقرؤها أحد الأبناء) لِنَرفَع صلاتَنا إلى اللهِ أبينا وبكُلِّ ثِقةٍ نُرتّل قائلين: "يا أبتاه، يا أبتاه، قد خَطِئتُ إلى السّماءِ وإليك، يا أبتاه، ولا أستَحِقُ بعدُ أن أُدعى لك ابنًا".

- أيُّها الأبُ الرَّحوم، إنَّ الابتعادَ الأعظم ليس بالمسافاتِ المكانيّة والذّهاب إلى بلادٍ مُختلِفة وإنّما بِحَملِ اتّجاهاتٍ وعاداتٍ مُختَلِفة، مَن يَنفَصِل عن المسيح يَتَغَرّب عن الوطن، اجعلنا دومًا قريبينَ مِنكَ، مُلتفّين حولَكَ مِثل التفاف الأطفالُ حول أُمِّهم، منك نطلب.
- أيُّها الأبُ الرَّحوم، كمْ من مَرةٍ تَمردنا وابتعدنا عَنكَ، وأصابنا اليأس، ساعِدنا لنكون متواضعين فنعود إلى رُشدِنا، لأنّ حُبَّ الآب هو الذي يجذبنا لنتوب، بعكس توبة الابن التي كان الجوع والموت سببها. منك نطلب.

- أيُّها الأبُ الرَّحوم، بسبب كِثرَة خَطايانا تفككت عوائلنا اليوم، واصبحت علاقاتنا مع بعضنا البعض هشة وغير متينة، ساعِدنا لنعيشَ دائمًا كإخوة وأخوات مُفعمينَ بالمَحبّة تَحت كَنَفِ أبوّتِكَ، منك نطلب.
- أيُّها الأبُ الرَّحوم، انت تُلبس العائدين اليك حِذاءً وحُلّةً وخاتَمًا وتذبَحَ العِجلَ المُسمّن، لا لتسُدّ حاجتنا وحسب، بل لتُعطينا الكرامة في البيت. قُدنا يا رَبّ إلى الحّرّية بعدَ عُبوديّة الخطيئة، منك نطلب.
- أيُّها الأبُ الرَّحوم، أنت تدعونا للمشاركة في وَليمَتِكَ السّماويّة، ساعدنا لنكون اهلا للتَنْعَمِ بها مَع الأبرارِ والصّديقين في الفَرحِ العَظيم، منك نطلب.

الصلاة الربيّة (جماعية)

صلاة البركة الختامية (يقرؤها أحد الوالدين): السَّلامُ على الإخوَة والمَحبَّةُ مع الإيمانِ مِن لَدُنِ اللهِ الآب والرَّبِّ يسوعَ المسيح. لِتَكُنِ النِّعمَةُ على جَميعِ الَّذينَ يُحِبُّونَ رَبَّنا يسوعَ المسيحَ حُبًّا لا يَزول! (أف ٦/٢٣-٢٤)

مثل لعازر والغني

تسبيح (جماعي): (راجع ص٨٣)

صلاة الابتداء (يقرؤها أحد الوالدين): نشكُرُكَ يا رَبّنا وإلَهنا، لحضورك في عالمنا وللجميع؛ فأنت تقترب من الاغنياء بشخص الفقراء (لعازر الفقير) المتواجدين بالقرب من بعضهما البعض لكن احدهما في الداخل والاخر على الباب! أعطِنا أنْ نَعي حضورَكَ مِن خِلالِ بَعضِنا البَعض، فنُصبِحَ عَطية الله احدنا للاخر، مُعتَرفينَ بقيمَةِ الآخر بامتنانٍ لَكَ، يا رَبّنا وإلَهنا إلى الأبد. آمين.

المزمور (٤٩ /٦-١١ و١٤-١٦) (يُرتّل أو يُردَّد جماعيًّا بين جَوقين بالتناوب)

* لِماذا أَخافُ في أيامِ السُّوء؟ / الإثمُ يَتعَقَّبُني ويُحيطُ بي:
** إنَّهُم على ثَروَتِهِم يَتَّكِلون / وبِوفرَةِ غِناهُم يَفتَخِرون.

* لا يَفتَدي أَخٌ أخاه / ولا يُعطي اللهَ فِداه:
** فِديَةُ نفوسِهم باهِظة / وهي للأبَدِ ناقِصة.
* أَفَبَعدَ ذلِكَ للأبَدِ يَحْيا / والهُوَّةَ لا يَرى؟
** بَل يَرى الحُكَماءَ يَموتون / الجاهِلَ والغَبيَّ كِلاهُما يَهلِكان فَيترُكانِ ثَروتَهُما لِلآخرين.
* تِلكَ طَريقُ المُعتَدِّينَ بِأَنفُسِهم / وعاقِبَةُ الرَّاضينَ بِمَصيرِهم.
** كالغَنَمِ تُرِكوا في مَثوى الأَموات / والمَوتُ يَرعاهُم والمُستَقيمونَ يَسودونَهُم.
* في الصَباحِ تَتلاشى صورَتُهم / ومَثْوى الأمواتِ سُكناهُم
** لَكِنَّ اللهَ يَفتَدي نَفْسي / مِن يَدِ مَثوى الأَمواتِ يَأخُذُني.
* و** ولَكَ التَّسبيحُ يا الله.

تأمل في المزمور (يقرؤه أحد الأبناء): الحَكيمُ والجاهل كلاهما يموتان فلا نفَع للحِكمة ولا للثّروة، لانهما لا يُبَرِّراننا امام الله أو يُدخِلاننا لِشركةِ الميراثِ الأبدي ولا يَقدران أن يَفتديا أخًا أو واحدًا من الأقرباء لأنّ كُلّ واحدٍ يُكافئ مُنفرِدًا حَسَب أعمالِه. مَن فدانا هو حَمَل الله بدَمِه وليس بذهبٍ أو فِضّة. ففي فَجرِ القيامة يَنْزلُ المسيح الى الجحيم ويأخُذُ نَفسَ البارِّ والصّدّيق مِنَ الهاوية ويُصعِدها إلى الفردوس.

انتيفونة: تشتاقُ وتذوبُ نفسي الى ديارِ بيت الربّ.

قراءة من انجيل القديس لوقا (١٦/١٩-٣١) (يقرؤها أحد الأبناء) كانَ رَجُلٌ غَنيٌّ يَلبَسُ الأُرجُوانَ والكَتّانَ النّاعِم، ويَتَنَعَّمُ كُلَّ يَومٍ تَنَعُّمًا فاخِرًا. وكانَ رَجُلٌ فَقيرٌ اسمُه لَعازَر مُلْقىً عِندَ بابِه قَد غطَّتِ القُروحُ جِسْمَه. وكانَ يَشتَهي أَن يَشبَعَ مِن فُتاتِ مائِدَةِ الغَنيّ. غَيرَ أَنَّ الكِلابَ كانت تَأتي فَتَلحَسُ قُروحَه. وماتَ الفَقيرُ فحَمَلَتهُ المَلائِكَةُ إلى حِضْنِ إبراهيم. ثُمَّ ماتَ الغَنيُّ ودُفِن. فرَفَعَ عَينَيهِ وهُوَ في مَثْوى الأَمْواتِ يُقاسي العَذاب، فرأَى إبْراهيمَ عَن بُعدٍ ولَعازَرَ في أَحضانه. فنادى: يا أَبتِ إبراهيمُ ارحَمْني فأَرسِلْ لَعازَر لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصبَعِه في الماءِ ويُبَرِّدَ لِساني، فإِنّي مُعَذَّبٌ في هذا اللَّهيب. فقالَ إبراهيم: يا بُنَيَّ، تَذَكَّرْ أَنَّكَ نِلتَ خَيراتِكَ في حَياتِكَ ونالَ لَعازَرُ البَلايا. أَمَّا اليَومَ فهو ههُنا يُعزَّى وأَنت تُعَذَّب. ومع هذا كُلِّه، فبَيننا وبَينَكم أُقيمَت هُوَّةٌ عَميقة، لِكَيلا يَستَطيعَ الَّذينَ يُريدونَ الاجتِيازَ مِن هُنا إِلَيكُم أَن يَفعَلوا ولِكَيلا يُعبَرَ مِن هُناك إِلَينا. فقال: أَسأَلُكَ إِذًا يا أَبتِ أَن تُرسِلَه إِلى بَيتِ أَبي، فإِنَّ لي

خَمسَةَ إخوَة. فَلْيُنذِرْهُم لِئلاَّ يَصيروا هُم أَيضًا إلى مَكانِ العَذاب هذا. فقالَ إبراهيم: عندَهُم موسى والأَنبياء، فَلْيَستَمِعوا إلَيهم. فقال: لا يا أَبتِ إبراهيم، ولكِن إذا مَضى إليهِم واحِدٌ مِنَ الأَمواتِ يَتوبون. فقالَ له: إن لَم يَستَمِعوا إلى موسى والأَنبياء، لا يَقتَنِعوا ولو قامَ واحِدٌ مِنَ الأَموات.

تعليق على النّصّ الكتابيّ (يقرؤه أحد الوالدين): يَعتَبِر البَعض أنّ الفَقير سينالُ رِضى الله، والغنيّ سيُلقَى خارجًا. وقد يبدو للبعض أنّ الله لا يُحبّ الأغنياء أو لا يُريدنا أن نَستَمتِع بمالنا وبحياتنا. لو تأمّلنا بهذا النصّ وذَهبنا إلى ما بَعدَ الحَرف، سَنَفهَم ما يقصده الله مِن الغنى والفقر. لان المسيحية ليست ضِدّ الغِنى أو الحصول على المال ولكن الربُّ يَسوع يحثنا من خلال المثل لنعرف كيف نتعامل مع الغنى والمال: اوّلاً/ هل المال وسيلةٌ أم هو الهدفُ الذي نسعى له؟ ثانيًا/ كيفيّة استِخدام هذا المال؟ ثالثًا/ هل نَنظُر إلى الآخر المُحتاج ونَشعُر بهِ لأنّه صورَةُ الله؟ والأهم من كُلِّ هذهِ هو أنْ نَجعَل مِن يَسوع مِحورًا لِحياتِنا وليسَ المال.

ذَكر النص أسم الفَقير لَعازر، و لم يذكر اسم الغنيّ. فمَوتُ لَعازر هو انتِقالٌ لحياةٍ أفضَل، أمّا مَوتُ الغَني فكان نِهايةً وخَسارَةً حَتميَّة لكُلِّ شيء. مَوتُ لَعازر كان لِقاءً مَع الله ومشاهدةُ نورِه، وأمّا مَوتُ الغَني فكان انفصالٌ عن الله والعيشُ في الظّلمة.

صمت (يُمكن لكُلّ مُصلٍّ أن يُضيفَ تعليقًا قصيرًا)

ترتيلة أيا ربُّ رُحماكَ (جماعية، يُمكن تغييرها حسبما تَعرفه العائلة مِنَ التراتيل)

أيا ربُّ رُحماكَ وآشفِق عَلينا (١) وآقْبَلْ قرابينَنا يا رَحيمْ
وهذِهِ الذَبيحةُ تَعلو الخَطايا (كَمَا قَدْ رَسَمْتَ بفضلٍ عميمْ)٢

هوَ آبنُكَ دَومًا يُكفِّرُ عَنَّا (٢) كَما قَدْ فَدانا بِنَوعٍ عَجيبْ
أما قَدْ تَجسَّدَ طَوعًا وأجرى (دِمَاهُ الزَّكيةَ فَوقَ الصَّليبْ)٢

قراءة من كتاب الصّوم مع البابا فرنسيس (يقرؤها أحد الأبناء) بصفتنا أفراد، غالبًا ما تراودُنا التّجربة لنَكون غير مُبالين بشَقاءِ الآخرين. فنحنُ مُشبَعونَ بأخبارٍ وصورٍ مُثيرة تَروي لنا آلام البَشَر، وفي الوقت نَفسه نَشعُر بعَجزِنا عن التّدخُّل، فما العمل لكي لا نَترُك مَجالاً لِهذا الهَلَع أن يَبتَلِعَنا؟ قبل كُلِّ شَيء نَستطيع أنْ نُصلّي في شركَة الكنيسة الأرضيّة والسماويّة، فلا نُهمِلَنّ

قوّة الصّلاة لِهذا العَدد الغَفير مِن الأشخاص! ... ثُمَّ نَستَطيع أنْ نُساعِد بِمُبادراتِ مَحبّةٍ تَرمي إلى الوصول إلى القَريبين كما إلى البَعيدين، بفَضلِ مُنظّماتِ مَحبّةٍ عَديدة في الكنيسة. ويُمكن أن نُظهِر هذا الاهتمام بالآخر، بعلامَةٍ، حتى إذا كانت صَغيرة، ولكنّها واقعيّة، لِمُشارَكتِنا في إنسانيّتنا المُشتَرَكة.

رتبة السَّلام (يقرؤها أحد الوالدين): يا رَبّ السّلام، أعطِنا روحَكَ القدّوس، لِنَفهَمَ أنّ سَلام القَلب والغِنى ، ليسا في الامتلاكِ ونَهمِ الاستهلاك، بل في الانفِتاحِ والمُشارَكة مع الاخر، لا فَقط مُشارَكَة الخُبز، بل مشاركةِ شيءٍ مِن القلب، بالانتباه الاخوي الذي يُلهِم كلماتنا ومواقفنا، فنكون واهبي سلامٍ لبعضنا البعض... **يتبادَل المُصَلّون السَّلام فيما بَينَهُم بالمُصافحة أو المُعانقة وهم يُرتّلون**: سلامي أترُكُ لكُم، سلامي أُعطيكُم، لا كما يُعطيه العالَم أُعطيكُم أنا.

طلبات (يقرؤها أحد الأبناء) لِنُصلّي جَميعنا بروحِ المَحبّة الأخوية: "طوبى للفُقراءِ بالرّوح فإن لَهُم مَلكوت السماوات"

- إنَّ غِنانا ليسَ مُرتَبِطًا بالمال، وإنّما بمقدارِ ما نَجعَل مِن يَسوع المسيح مِحورًا لِحياتِنا. أعطِنا يا أبانا أنْ نَختَبِر وجودَ يَسوع في حياتِنا، ومنهُ نَنطلِق بِعلاقاتِنا. نسألُكَ يا رَبّ:
- تقول الأُمّ تريزا: "سوفَ نُدرِك في السّماء ما قَدَّمَهُ الفُقراء لنا، لأنّهم طريقُنا إلى قَلبِ الله"، ساعِدنا يا رَب على أنْ نُدرِكَ أنّ المقياس ليسَ الفَقر أو الغِنى، إنّما المقياس هو مَدى اهتمامَنا بِبَعضِنا البَعض. نسألُكَ يا رَبّ:
- الله يُحبّ الجميع، ويريدنا أنْ نَعيشَ المَحبَّة، وأنْ نَتشارَك عَطاياه، فعدم مشاركتنا يجعل الفَقر موجودًا في عالَمنا. ساعِدنا يا ربّ لنُشارِكَ إخوتنا نِعمَكَ. نَسألُكَ يا رَبّ:
- البشريّة اليوم في أمسِّ الحاجة إلى الإنسانيّة الرقيقة المخلِّصة، والعاملة بصمتٍ مقدّس، كن معنا يا رب لنقتحم هذا الميدان الرّحب ولنكن على شبه مسيحنا عوناً للفقراء والمهمَّشين والمتروكين. نَسألُكَ يا رَبّ:

الصلاة الربيّة (جماعية)

صلاة البركة الختامية (راجع ص ٨٦)

مثل الصّديق المُلِح في السؤال

تسبيح (جماعي): (راجع ص ٨٣)

صلاة الابتداء (يقرؤها أحد الوالدين): يا رَبّنا يَسوع، أنتَ تُعلمنا أن نُصليّ بثقةٍ وبدون شك، لأنّك تُعطينا أكثرَ مِمّا نسألُكَ في كُلِّ وقتٍ ولا تَبخَل علينا بنعمَتِكَ وعطاياك أبدًا. احفَظنا بمَحَبّتِكَ مِن كُلِّ شَكّ لِنبقى ثابتينَ فيكَ أنتَ الحاضِرُ والمُعتَني الدّائِم، لَكَ المَجدُ إلى الأبد.

المزمور (٦٦ /١٦–٢٠) (يُرتّل أو يُردَّد جماعيًّا بين جَوقين بالتناوب)

* هَلُمُّوا آسمَعوا يا مَن يَتّقونَ اللهَ جَميعًا / فأُحَدِّثَكم بِما صَنَعَ لِنَفْسي.

** إيّاهُ دَعَوتُ بفَمي / وعَظَّمتُ بِلساني.

* لو كُنتُ رأَيتُ إثْمًا في قَلْبي / لَما آستَمَعَ السَّيِّدُ لي.

** ولكِنَّ اللهَ قدِ آستَمَعَ لي /وأَصْغى إلى صَوتِ صَلاتي.

* تَبارَكَ اللهُ الّذي لَم يَرُدَّ صَلاتي / ولا رَحمَتَه عنّي.

** و* ولَكَ التَّسبيحُ يا الله.

تأمل في المزمور (يقرؤه أحد الأبناء) يصرُخُ المؤمن بفَمِه وقلبه، ويَرفَعُ صوته الداخلي مُمجِّدًا الله في اعماقه وفي ما حوله لان اعمال الله عظيمة جدا. وهو لا ينطق بها عن كبرياء او لتبرير ذاته، لكِن ثِقةً ويَقينًا أنه في بساطَةِ القلب يُطلَبُ الله بإخلاص. تُقدِّمَ الشُّكرَ والتّسبيح ونَهتِف لله هذا الهُتاف الّذي يَحمِلُ تَرنيما يُمجِّد اسمه، لِخيرِ البَشريّة كلها كي تَتَعَرّف على اسمِ الله وتطمئن، لان الله يستجيب لكل صلاة تُرفع بتواضع وخشية.

ترتيلة أيُّها المَسيحُ الكَلِمَةُ (جماعية، يُمكن تغييرها حسبما تَعرفه العائلة مِنَ التراتيل)

انتيفونة: اسألوا تعطوا، أطلبوا تَجدوا، إقرعوا يُفتَح لَكُم.

قراءة من انجيل القديس لوقا (١١/٥–٨) (يقرؤها أحد الأبناء) **وقالَ لَهم: مَن مِنكم يَكونُ لَه صَديقٌ فيَمْضي إلَيه عِندَ نصفِ اللَّيل، ويَقولُ له: يا أَخي، أَقرِضني ثَلاثَةَ أَرغِفَة، فقَد قَدِمَ عَلَيَّ صَديقٌ مِن سَفَر، ولَيسَ عِندي ما أُقَدِّمُ لَه، فيُجيبُ ذاكَ مِنَ الدَّاخِل: لا تُزعِجْني، فالبابُ مُقفَلٌ وأَولادي معي في الفِراش، فلا يُمكِنُني أَن أَقومَ فأُعطِيَكَ. أَقولُ لَكم: وإِن لم يَقُمْ ويُعطِه لِكونِه صَديقَه، فإِنَّه يَنهَضُ لِلَجاجَتِه، ويُعطيهِ كُلَّ ما يَحتاجُ إِلَيه.**

تعليق على النّصّ الكتابيّ (يقرؤه أحد الوالدين):ضَرَبَ الرَّبُّ يَسوع هذا المَثَل تلبية لطلب تلاميذهُ أَنْ يُعلِّمهم الصلاة، وهو يصوّر لنا الله كصديقٍ حَميم يَستجيبُ لصلاتنا، ويُعطينا طلباتنا، ويُلّبي دعواتنا، حتَّى وإن تأَخّرَ "منتصف الليل"، او كان "الباب مغلق" ولكنه بالنهاية يستجيب ويتدخّل في الوقت المناسب وبحسب حكمته هو، لا بحسب مشيئتنا نحنُ. وهنا علينا أن نُدرك أنّ الشُّكر الدّائم والتّسبيح يأتي قبل الطلبات. من الامور الّتي يُعلّمنا اياها النص ايضا: الطلب بإلحاح ولجاجة من الربِّ الاله بإيمانٍ وثقة.

صمت (يُمكن لكُلّ مُصلٍّ أن يُضيفَ تعليقًا قصيرًا)

ترتيلة إليكَ حَاجَتي (جماعية، يُمكن تغييرها حسبما تَعرفه العائلة مِنَ التراتيل)

إليكَ حَاجَتي في كُلِّ حِينٍ (١) وَفيكَ قُوَّتي رَبِّي الأمينْ
كُلُّ حَاجَتي إليكَ (الردّة) كُلُّ عَوْزِي لَديكَ
كُلُّ تُكلاني عَليكَ رَبِّي يَسوعْ
إليكَ حَاجَتي في التَجربةْ (٢) ومِنكَ نُصرَتي والغَلَبةْ
إليكَ حَاجَتي وَقتَ الصَّلاةْ (٣) فآسمَعْ لِطِلبَتي رَبَّ الحَياةْ

من المقابلة العامة للبابا فرنسيس (٢٥ أيار ٢٠١٦) (يقرؤها أحد الأبناء) يَحثّ يَسوع على الصّلاة "مِن غَيرِ مَلَل". نَشعُر كُلُّنا بالتّعب أحيانًا وبالإحباط، لا سيما حين تَبدو صلاتُنا غير مُجدية. ولكن يسوع يؤكّد لنا: إن الله، يَستَجيب لأبنائِه بسرعة، ولو أن هذا لا يعني بأنه يَفعَله بالوقت والطُّرق الّتي نُريدها نَحن. فالصّلاة ليسَت عصًا سحرية! إنها تساعدنا على الحفاظ على إيماننا بالله وعلى تسليم أنفسنا له حتى عندما لا نفهم مشيئته. ولذلك، فيسوع نفسه –الذي كان يُصلّي كثيرًا!– هو مثال لنا. يصلّي يسوع في بستان الجَتسَمانيّ للآب، وقد أنْهَكَتهُ المِحنَة الوشيكة، كي يُخلّصه من كأس الآلام المرّة، ولكنَ صَلاتَهُ مَملوءةٌ من الثّقة بالآب ويُسلّم ذاتَهُ لِمشيئتِهِ دون أيّ تَحفُّظٍ "ولكن لا كما أنا أشاء، بَل كما أَنتَ تَشاء!" (متى ٢٦/٣٩). هذا ما تَصنعهُ الصّلاة: تُحوّل الرغبة وتُشكِلها وفقًا لإرادة الله، مهما كانت، لأنّ من يصلّي يتوق أوّلاً إلى الاتِّحاد به، هو المَحبّة الرّحيمة.

رتبة السَّلام (يقرؤها أحد الوالدين): يا أبانا السّماوي، طوبى لَنا في كُلِّ مَرةٍ نَسعى فيها لِعَيشِ السّلام فيما بيننا ونَزرعُهُ في عالَمِنا، لأنّنا بذلِكَ نُدعى أبناؤكَ أنتَ مَلِكُ السّلام. إملأ قلوبنا من سَلامِكَ فنُنشِدَ لَكَ مَعَ كُلِّ الخليقة. **يتبادَل المُصَلّون السَّلام فيما بَينَهُم بالمُصافحة أو المُعانقة وهم** يُرتّلون: (يا مُعطي الحياة يا مُرشِدَ الدّروب يا غافِرَ الآثام مُخلِّصِ الشّعوب)٢

امنَحنا السّلام يا سيّد السّلام

طلبات (يقرؤها أحد الأبناء) لنهتف بقلب واحد وبثقة الأبناء: "فرحينَ في الرّجاء، صابرينَ في الضّيق، مواظبينَ على الصّلاة".

- أيُّها المُعلِّم الصّالِح، لقد أوصيتنا بالصلاة بلا إنقطاع (١تس ٥:١٧). فساعدنا لنعرف ان الصلاة بلجاجة تَحمِلُ مَعنى الإيمان والثقة في إستجابتك الدائمة، ولا تجعلنا نمل منها، فهذا يقودنا الى عدم الثقة بك. فلنُردِّد جَميعَنا بِثِقَةٍ قائلين:
- أيُّها المُعلِّم الصّالِح، أعطِنا الصّبر عندما تتأخر فى تَحقيق طَلبنا. فانت تعطينا ليس فقط ما طلبناه (٣ أرغفة) بل كُلّ إحتياجاتِنا الحقيقيّة. فلنُردِّد جَميعَنا بِثِقَةٍ قائلين:
- أيُّها المُعلِّم الصّالِح، أعطِنا روح المواظبة على الصلاة بلا فتور فَندخُل في صِلَةٍ حَقيقية مع الله الثالوث، ومَعَ الوَقت تُصبح صلاتُنا عبادَةٍ مُلتَهِبة بالرّوح، في كل الأوقات والامكنة. فلنُردِّد جَميعَنا بِثِقَةٍ قائلين:

الصلاة الربيّة (جماعية)

صلاة البركة الختامية (راجع ص ٨٦)

مثل الأمناء

تسبيح (جماعي): (راجع ص ٨٣)

صلاة الابتداء (يقرؤها أحد الوالدين): يارَبّ، أنتَ خَلَقتَنا بِحُبّ وَوَضَعتَ في كُلِّ واحدٍ وواحِدة مِنّا الكثير مِن المواهب والإمكانات، وتُريدُ مِنّا أن نَستَخدِمَها ونُطوِّرها لِنَشتَرِكَ بِعَمَلِ الخَلق مَعَكَ، فلا تَسمَح أن نتكاسَل أو أن نَخاف، بل أعطِنا الشّجاعة لِنكونَ على قدرِ المسؤولية التي أعطيتها لنا ولنَشتَرِك مَعَ الآخرين ببناءِ مَلكوتِكَ على أرضِنا بالفرحِ والحُبّ.

المزمور (٣٧ /٢٨-٤٠) (يُرتّل أو يُردَّد جماعيًّا بين جَوقين بالتناوب)

* فإنَّ الرَّبَّ يُحِبُّ الحقَّ / ولايَترُكُ أَصفِياءه.
** أَمَّا الأَثَمَةُ فلِلأَبَدِ يَهلِكون / ونَسْلُ الأَشْرارِ يُستأَصَلون
* والأَبْرارُ يَرِثونَ الأَرض / ويُسكُنونَها لِلأَبَد.
** فَمُ البارِّ بالحِكمَةِ يُتَمتِم / ولِسانُه بالحَقِّ يَنطِق.
* شَريعةُ إلهِه في قَلبه / فلا يَتَزَعزَعُ في خَطَواتِه.
** الشِّرِّيرُ يَتَرَصَّدُ البارَّ / ويَلتَمِسُ قَتلَه
* لَكِنَّ الرَّبَّ لا يَترُكُه في يَدِه/وإذا حوكِمَ لا يَدَعُه يُدان.
** أُرْجُ الرَّبَّ وآحْفَظْ طَريقَه / يَرفَعْ شأنَكَ لِتَرِثَ الأَرض وتَرَ الأَشرارَ يُستَأصَلون.
* رأَيتُ الشِّرِّيرَ عاتِيًا / كأَرزٍ لُبْنانَ مُرتَفِعًا
** ثُمَّ مَرَرتُ فلم يكُن لَه أَثَر / وبَحَثتُ عنه فلم يَكُن لَه وُجود.
* راقِبِ الكامِلَ وآنظُرْ إلى المُستَقيم / فإنَّ لِلمُسالِمِ ذُرِّيَّةً باقِيَة
** أَمَّا العُصاةُ فكُلُّهم يُدَمَّرون / وذُرِّيَّةُ الأَشرارِ يُستأصَلون.
* مِنَ الرَّبِّ خَلاصُ الأَبْرار / هو حِصنٌ لَهم في أَوانِ الضِّيق
** يَنصُرُهمُ الرَّبُّ ويُنَجِّيهم / مِنَ الأَشْرارِ يُنَجِّيهم
* ويُخَلِّصُهم لأَنَّهم به آعتَصَموا./ ولَكَ التَّسبيحُ يا الله.

تأمل في المزمور (يقرؤه أحد الأبناء): يَدعونا المُرنِّم للسير في طَريقِ الخَير لكي يَكون لنا ميراثٌ أبديّ. وعدم حسد الاشرار على نجاحهم الزمني والذي سيزول لا محالة، فنهاية المنافقين، مُخالفي الناموس هي الهاوية، فالبار رغم مصائبه الكثيرة بسبب الاشرار، الا انه لا ينتقم ولا يطلب لهم الشر، بل العودة الى الرشد والطيبة، متكلا بذلك على الرب الأمين مع احبائه، والذي قد يسمح ان تصيبهم المتاعب الى حين، إنّما لِيُعلِن رِعايَتَهُ لَهُم وانه يحفظهم الى ابد الابدين وكأنهم كتر السماء لانهم التزموا بالوداعة والاستقامة.

انتيفونة: حَسْبِي أنْ أكونَ خادِمًا في بَيتِكَ / طولَ أيامِ حَياتي.

قراءة من انجيل القديس لوقا (١٩/١١-٢٦) (يقرؤها أحد الأبناء) **وبَينما هم يُصْغُونَ إلى هذا الكَلام،**

أَضافَ إِلَيهِ مَثَلاً لأَنَّه قَرُبَ مِن، أُورَشَليم، وكانوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَلَكوتَ الله يوشِكُ أَن يَظهَرَ في ذلكَ الحين، قال: ذَهَبَ رَجُلٌ شَريفُ النَّسَبِ إِلى بَلَدٍ بَعيد، لِيَحصُلَ على المُلْكِ ثُمَّ يَعود. فدَعا عَشرَةَ خُدَّامٍ له، وأَعْطاهم عَشرَةَ أَمْناء وقالَ لهم: تاجِروا بها إِلى أَن أَعود. وكانَ أَهلُ بَلَدِه يُبغِضونَه، فأَرسَلوا وَفْدًا في إِثرِه يَقولون: لا نُريدُ هذا مَلِكًا علَينا. فلمَّا رجَعَ بَعدَ ما حصَلَ على المُلْك أَمَرَ بأن يُدعىٰ هؤلاءِ الخَدَمُ الَّذينَ أَعْطاهُمُ المال، لِيَعلَمَ ما بَلَغَ مَكسبُ كُلٍّ مِنهُم. فمَثَلَ الأَوَّلُ أَمامَه وقال: يا مَولاي، رَبِحَ مَناكَ عَشَرَةَ أَمْناء. فقالَ له: أَحسَنتَ أَيُّها الخادمُ الصَّالِح، كُنتَ أَمينًا على القَليل، فَلْيَكُنْ لكَ السُّلطانُ على عَشْرِ مُدُن. وجاءَ الثَّاني فقال: يا مَولاي، رَبِحَ مَناكَ خَمسَةَ أَمْناء. فقالَ لِهذا أَيضًا: وأَنتَ كُنْ على خَمسِ مُدُن. وجاءَ الآخَرُ فقال: يا مَولاي، هُوذا مَناكَ قد حَفِظتُه في مِنْديل لأَنِّي خِفتُكَ، فأَنتَ رَجُلٌ شَديد، تَأخُذُ ما لم تَستَودِعْ وتَحصُدُ ما لَم تَزرَع. فقالَ له: بكَلامِ فَمِكَ أَدينُكَ أَيُّها الخادِمُ الشِّرِّير! عَرَفتَني رَجُلاً شَديدًا، آخُذُ ما لَم أَستَودِعْ وأَحصُدُ ما لَم أزرَع، فلِماذا لَم تَضَعْ مالي في بَعضِ المَصارِف؟ وكُنتُ في عَودَتي أَستَرِدُّه مع الفائِدة. ثُمَّ قالَ لِلحاضِرين: خُذوا مِنه المَنا وأَعْطوه صاحِبَ الأَمْناءِ العَشَرَة. فقالوا له: يا مَولانا، عِندَه عَشَرَةُ أَمْناء. أَقولُ لكم: كُلُّ مَن كانَ له شَيءٌ، يُعْطى. ومَن لَيسَ لهُ شيء يُنتَزَعُ مِنه حتَّى الَّذي له.

تعليق على النّصّ الكتابيّ (يقرؤه أحد الوالدين): كان يسوع متوجهاً إلى أُورشليم، لكنّهُ كان ذاهباً الى كُورَةٍ بعيدة "السمّاء"، وبعد مُدّةٍ لم يُحدّدها هو، سيأتيّ ويحكم ويدين، فلماذا نُحدِّدها نحن؟ فالملكوت الذي افتتحه الرب يسوع بسره الفصحي، ختامهُ ليس وشيكاً ولا يعلَمهُ أحدٌ سوى الله، ولهذا سيترك يسوع تلاميذه واتباعه، ولكن يمنحهم (مَنَّا)، هي عبارة عن عملة يونانيَّة تُساويّ أَجر ثلاثة أشهر وجَمعُها (أَمْنَاء)، ليجعلهم في مسؤولية اكمال الملكوت وإتمامه كل حسب طاقته، في هذا المثل يقصد بها "وزنة وموهبة"، يُتاجر بها على حساب مجد اسمه، وعليهم أن يَستمّروا بها حَتّى مجيئه. يريدُ المثل أَن يقول لنا: اولا/ انَّ السيّد المسيح سيدين ويحاسب كلّ واحد على أفعاله وعلى أمانتهِ. ثانيا/ الفرح والمجد السمّاويّ يكون بحسب الجهاد الرُّوحيّ على الأرض. ثالثا/ الابتعاد عن الفكرِ الشّرير عند الانسَان الّذي يظنّ السوء بالآخر. رابعا/ يُعلّمنا الأمانة مع النفس، ثم الأمانة في العملِ والخدمة، ومَن كان أمينًا على القليل كان امينا على الكثير.

صمت (يُمكن لكُلّ مُصلٍّ أن يُضيفَ تعليقًا قصيرًا)

ترتيلة قَدِّموا لِلرَبِّ (جماعية، يُمكن تغييرها حسبما تَعرفه العائلة مِنَ التراتيل)

قَـدِّموا لِلـرَبِّ يـا أبنـاءَ اللهِ (الردّة) قَـدِّموا لِلـرَّبِّ مَجـدًا وَعِـزَّةْ
قَـدِّموا لِلـرَّبِّ مَجـدًا لاسمِـهِ أسجُدوا لِلرَّبِّ في زِينَـةِ قُدسِـهِ
أحْيَـا لِرَبِّـي يَومًـا فَيـومْ (١) أحْيَـا لِرَبِّـي لا أخْشَـى لَـومْ
بِـالروحِ طـائِعْ دَومًـا فَـدومْ أحْيَـا لِرَبِّـي يَومًـا فيـومْ

من المقابلة العامة للبابا فرنسيس (٢٤ نيسان ٢٠١٣) (يقرؤها أحد الأبناء) يدعونا هذا المثل لِنَتأمّل العَلاقة بين كيفية تصرُّفِنا بالعطايا التي تَسلّمناها من الله، وبين مَجيئِهِ الثّاني، وفيه سيسألنا عن كيفية استخدامنا لها. فهذا يؤكّد لنا أنّ زَمانَ انتظارِ مَجيءِ الرّب هو وَقتُ العَمَل – فنحن في وَقتِ الفِعل– الوَقت الّذي يَجب فيه المُتاجَرة بوزنات الله، لا من أجلِ أنفُسنا، ولكن من أجله، ومن أجل الكنيسة، ومن أجل الآخرين، انه وقت البَحث عن إنْماء الخير في العالَم، وعدم دَفنِ وزناتِنا تَحتَ الأرض، وثروتنا الرّوحية، والذهنيّة، والماديّة، وكل ما أعطانا إيّاه الرّبّ، بل أن نَنفَتِح، ونكونَ مُتضامنينَ، ومُنتَبهين للآخر. لقد رأيتُ في الساحةِ العديدَ مِن الشّباب: أليس كذلك؟ هل هناك العديد مِن الشّباب؟ أين هُم؟ أسألُكُم، أنتم يا مَن تزالون في بدايةِ مَسيرةِ الحياة: هل فَكّرتُم في الوزنات التي وَهَبها اللهُ لكم؟ هل فَكّرتُم في كيفيّة وضعِها في خِدمَة الآخرين؟ لا تدفنوا وزناتِكم! ضَعوا رِهانَكُم على المُثل العُليا، تِلك المُثل التي تَوسِّع القَلب، مُثل الخِدمة التي ستَجعَل وزناتِكُم مُثمِرة. فالحياة لَم تُعطَ لنا لِنحتَفِظَ بها لأنفسنا بغيرة، ولكنها وهِبَت لنا لكي نَهبها بدورِنا. أيُّها الشّباب الأحباء، كونوا أصحابَ روحٍ عظيمة! لا تَخافوا من أن تَحلموا بأشياءَ عَظيمة.

رتبة السَّلام (يقرؤها أحد الوالدين): أعطِنا

يا رَبّ، مواهِبُنا وإمكانياتُنا أحيانًا تَصطَدِم مَعَ مَواهِب وإمكانيات الآخرين، وهذا ما يُسبِّب المُقارَنة ثُمَّ الانقسام، فنفقد السّلام. أعطِنا أن نُنمّي ما وَضعتَهُ فينا بِحُبّ، لِخدمَةِ إخوتِنا ومُجتَمَعِنا، بروحِ العطاءِ والمُشارَكة بدل روحِ المُنافسة والحسَد. **يتبادَل المُصَلّون السَّلام فيما بَينَهُم بالمُصافحة أو المُعانقة وهم يُرتّلون:** سلامُكَ يا رَبّ أعطانا قلوبًا مِلؤها الرّجاء
حُبُّكَ يا رَبّ بعثَ فينا نفوسًا تُنشِدُ العَطاء

طلبات (يقرؤها أحد الأبناء) لِنُردِّد معًا بقلبٍ واحدٍ وبصَوتٍ واحدٍ: "يا رَبّ اسمَع صَلاتنا واستَجب دُعاءنا"

- أيُّها الآب الأزلي، أنت اعطيت لكل واحد منا مِقدارًا مِن الهِبات والعطايا، اجعَلنا كالخادم الصّالح نَعرِف كيف نَستثمرها، أنت تَعرِف كَم جاهدنا في حياتنا هذهِ مع كُلّ المصائِب والمِحَن التي نواجهُها كُلَّ يَوم. يا رَبّ:
- أيُّها الآب الأزليّ، نسألُكَ أنْ تُعطينا حكمة التصرف والتعامل فى أوقاتِ الإحتياج الشّديد والضّيقة الّتى قد تَمرُّ علينا أو تواجه الكنيسة أو العالم. يا رَبّ:
- أيُّها الآب الأزليّ، اجعلنا نُرحِب بك كما فَعَلَت مريَم العذراء أمّ ابنِك بقوة الرّوح القدس، منها نتعلم وبها نقتدي في الإيمان والرجاء، . يا رَبّ:
- أيُّها الآب الأزليّ، يا من أبدَعتَ كل الأشياءِ بحِكمة لا تُوصَف. وَوَضَعْتَ الأزمنةَ تَحت سُلطانك الذّاتي، هَبْ ظفرًا لِشَعبكَ، وبارِك بداية سنتنا الليتورجية وخِتامَها، مُحقّقا أعمالنا على وفقِ مشيئتكَ الإلَهيّة. يا رَبّ:

الصلاة الربيّة (جماعية)

صلاة البركة الختامية (راجع ص ٨٦)

مثل العذارى العشر

تسبيح (جماعي): (راجع ص ٨٣)

صلاة الابتداء (يقرؤها أحد الوالدين): أيُّها العَريس السّماوي، كل يوم أنتَ تَدعونا إلى وَليمَةِ الفَرحِ والحُبّ، لِنَشتَرِكَ مَعَكَ ومَعَ كُلِّ الملائكةِ والقديسين، ساعدنا لنجعل مَصابيحَنا مُمتَلِئةً بالزّيت دوما، وقلوبَنا يَقظةً ومُصغيةً لِنداءاتِكَ، فنثبت بالرّجاء مَهما طالَ انتِظارُنا لَكَ، لأنّكَ أمينٌ بوعودِكَ يا رَبّنا وإلَهَنا، لَكَ المَجدُ إلى الأبد. آمين.

المزمور (١) (يُرتّل أو يُردَّد جماعيًّا بين جَوقين بالتناوب)

* طوبى لِمَن لا يَسير / على مشورةِ الشِّرِّيرين

** ولا يَتوقَّفُ في طَريقِ الخاطئين / ولا يَجلِسُ في مَجلسِ الساخرين.

* بَلْ في شَريعةِ الربِّ هواهُ / وبشَريعَتِهِ يُتَمتِمُ نَهارَهُ وليلَه.

** فيكونُ كالشَجَرَةِ المَغروسَةِ / على مَجاري المياه

* تُؤتي ثَمَرَها في أوانِهِ / وَوَرَقُها لا يذبلُ ابدًا.

** فكُلُّ ما يَصنَعُه يَنجح. / ليسَ الاشرارُ كذلِك

*بل إنَّهُم كالعُصافَةِ / التي تَذروهَا الرياح

** لِذلِكَ لا ينتَصِبُ في الدينونةِ الأشْرار / ولا الخاطِئون في جَمَاعَة الابْرار.

* فإنَّ الربَّ عالِمٌ بطريقِ الأبرار / وإنَّ إلى الهلاكِ طريقَ الاشرار.

** و* ولَكَ التَّسبيحُ يا الله.

تأمل في المزمور (يقرؤه أحد الأبناء للتأمّل) يدعونا هذا المزمور والذي يسمى "مزمور المزامير" لانّه يَحتوي زُبدَة وجَوهر الحياة المسيحيّة، اي طاعةِ ارادةِ الله والثقةِ في عنايتِهِ الإلَهيّة حيث يضع أمامنا: طَريق الحياة وطريقَ الموت، البركة واللعنة ويَترُكُنا أحرارًا لنَختار. انه يَتَحدّث عن سعادةِ الإنسان الصّالح التّقيّ الّذي يَفوزُ بالجائزة الكُبرى (نعيم الملكوت) وشقاء الإنسان الشّرير الذي يظهر أنّه سعيد في العالَم لكِنَه في الواقع أتعسُ جميعِ الناس.

انتيفونة: نَحنُ ساهِرون ومصابيحُنا مشتعلة ننتظِرُ عودَتَكَ أيُّها الربُّ يسوع.

قراءة من انجيل القديس متى (٢٥/١-١٣) (يقرؤها أحد الأبناء) **عِندَئِذٍ يكون مَثَلُ مَلكوتِ السَّمَواتِ كَمَثَلِ عَشْرِ عَذارى أَخَذنَ مَصابيحَهُنَّ وخَرَجنَ لِلِقاءِ العَريس، خَمسٌ مِنهُنَّ جاهِلات، وخَمسٌ عاقِلات. فأَخذَتِ الجاهِلاتُ مَصابيحَهُنَّ ولَم يَأخُذنَ معَهُنَّ زَيتًا. وأَمَّا العاقِلات، فَأَخَذنَ مَعَ مَصابيحِهِنَّ زَيتًا في آنية. وأَبطَأَ العَريس، فنَعَسنَ جَميعا ونمْنَ. وعِندَ نِصْفِ اللَّيل، عَلا الصِّياح: هُوذا العَريس! فَاخرُجْنَ لِلِقائِه! فقامَ أُولئكَ العَذارى جميعًا وهَيَّأنَ مَصابيحَهُنَّ. فَقالتِ الجاهِلاتُ لِلعاقِلات: أَعطينَنا مِن زَيتِكُنَّ، فإنَّ مَصابيحَنا تَنطَفِئ. فأَجابَتِ العاقِلات: لَعَلَّه غَيرُ كافٍ لَنا ولَكُنَّ، فَالأَولى أَن تَذهَبنَ إِلى الباعَةِ وتَشْتَرينَ لَكُنَّ. وبينَما هُنَّ ذاهِباتٍ لِيَشتَرينَ، وَصَلَ العَريس، فدخَلَت مَعَه المُستَعِدَّاتُ**

إلى رَدهَةِ العُرْس وأُغلِقَ الباب. وجاءَت آخِرَ الأَمرِ سائرُ العَذارى فقُلنَ: يا ربّ، يا ربّ، اِفتَحْ لَنا. فأَجاب: الحَقَّ أَقولُ لَكُنَّ: إِنّي لا أَعرِفُكُنَّ! فَاسهَروا إِذًا، لأَنَّكم لا تَعلَمونَ اليومَ ولا السَّاعة.

تعليق على النّصّ الكتابيّ (يقرؤه أحد الوالدين): إنّ ما حصلَ مع العذارى العشر ليس بجديدٍ، بل هو امتداد لما عُشنَّ على الأرض، فالحكيمات يَتَمَتَعْنَ بالحياة الداخليَّة الجديدة، حياة الشّركة والاتّحاد مع العريس السماوي وهنَّ لا زلن بعدُ في الارض. امّا الجاهلات، وإن كان لهنَّ مظهر الحياة التعبديَّة بَل والكرازيَّة، فلم يَعرن الاهتمام للعيش مع العريس السمّاوي على الأرض فكانوا خارج الأبواب في الظلمة البرانيَّة. فالّذي يختار أنْ يحيا الملكوت من الآن سوف يُعاين العريس وجهًا لوجه في الأبديَّة، واما الَّذي اختار البقاء خارجًا من الان، فلَن يدخل العُرس الأَبديّ مع العريس. فما ان ينتهي النهار ويأتي اللّيل (الذي يُمثل الموت) حيث لا مجال للعمل ولا يُمكن لأَحد انْ يَستعير زيتًا من أَيّ أَحد، وبالتالي ضياع الفرصة الثمينة للّقاء بالعريس.

صمت (يُمكن لكُلّ مُصلٍّ أن يُضيفَ تعليقًا قصيرًا)

ترتيلة اضيئوا السُّرج يا إخوة (جماعية، يُمكن تغييرها حسبما تَعرفه العائلة مِنَ التراتيل)

أضيئوا السُّرجَ يا إخوَة ... قَد حانَ مَجيءُ المَسيحْ.
هو آتٍ كي يَفْتَحَ بابَ النُّورِ ... لِلأبرارِ المُنتَظرينَ في الظَّلامْ.
لَكَ المَجدُ يا ربَّ المَلائِكِ ... مَنظَرُكَ أبْهَجَ المُعذَّبينْ.
الرَّاقِدونَ في التُّرابِ عِندَ سَماعِ صَوتِكَ ... خَرَجوا إلى لِقائِكَ مُسرعينْ.
رأى الأبرارُ نورَكَ فانْتَعَشَتْ أرواحُهُم ... نَسَوا أوجاعَهُم عِندَ رؤيتِكَ.
عَلى خَشَبَةِ الصَّليبِ مُعَلَّقًا ... صَرَخوا ربَّنا هَبْنا الحَياةَ، بمَراحِمِكَ
مَجِّدوا إخوتي سيِّدَنا الرَّحيم ... ويا أُمَّ ربِّنا صَلِّي مَعَنا
لِيَكُن هُتافُنا في كُلِّ مَساءٍ ... لَكَ المَجدُ يا كَثيرَ المَراحِمْ.

من المقابلة العامة للبابا فرنسيس (٢٤ نيسان ٢٠١٣) (يقرؤها أحد الأبناء) هناك بين المجيء الأول والأخير للمسيح، هذا "الزمان الحالي"، أي هذا الذي نَحنُ نَحياه. في سياق هذا "الزمان

الحالي" يأخذ مثل العذارى العشر مكانَه. فالعريس هو الرب، وزمن انتظ مجيئه هو الزمان الذي يهبنا إياه، لنا جميعا، برحمة وبطول أناة، قبل مجيئه الأخير، إنه زمان سهر؛ زمان يجب علينا فيه أن نحافظ على مصابيح الإيمان، والرجاء، والمحبة مشتعلةً، زمان للحفاظ على القلب منفتحا على الخير، والجمال والحقيقة؛ زمان للعيش بحسب الله، لأننا لا نعرف لا يوم ولا ساعة مجيء المسيح. إن ما يُطلب منّا هو أن نبقى مستعدين للقاء –استعدوا للقاء، للقاء الرائع، للقاء مع يسوع –، والذي يعني معرفة قراءة علامات حضوره، والإبقاء على ايماننا حيًّا، عبر الصلاة، والأسرار، واليقظة كي لا ننام، ولا ننسى الله.

رتبة السَّلام (يقرؤها أحد الوالدين): يا رَبّنا يَسوع المسيح، يا مَن أعطيتَنا سلامَكَ الّذي يَختَلِف عن سلامِ العالَم، سَلامُك لا يعني السّكينة والنّوم بل هو الاستسلام بِثِقة وبدونِ قَلق، لأنّنا معكَ لا ولَن يَنقُصُنا أي شيء، أعطِنا يا رَبّ سلامَك الآنَ وإلى الأبد. **يتبادَل المُصَلّون السَّلام فيما بَينَهُم بالمُصافحة أو المُعانقة وهم يُرتّلون:**

سلامُكَ فاقَ العقول، ولا يُمكِن أن يَزول، وبالتّرنيمِ نَقول إملأنا بالسّلام.
سلام سلام لِشَعبِ الرّبِّ في كُلِّ مكان.

طلبات (يقرؤها أحد الأبناء) لِنَهتُف جَميعَنا بِفَرحٍ وابتِهاج ونُرتِّل قائلين: "تعال، تعال أيُّها الربُّ يسوع".

– ايها العريس السماوي، أعطِنا أن نَعيشَ حياتنا بالأمانةِ لكُلِّ لَحظَةٍ نؤهّل فيها للدخول إلى عُرسِكَ الابدي. مِنكَ نَطلُب:

– ايها العريس السماوي، ساعدنا لنَتَشَبّه بالعذارى الحكيمات اللواتي فضلنَّ مشاهدة وجهك وهنَّ لا زلن في هذه الحياة. مِنكَ نَطلُب:

– أيُّها العريس السماوي، إملأنا من روحِكَ القدّوس لنكونَ في استعداد دائم، فمتى ما جئتَ وَجَدَتنا ساهرين ومُستعدينَ لاستقبالِك وسُرجُنا مُضاءة بالأعمال الصّالحة. منك نطلب:

الصلاة الربيّة (جماعية)

صلاة البركة الختامية (راجع ص ٨٦)

كلمة شكر لمسيرة العشر سنوات

قبل عشر سنوات، وتزامنا مع احد تقديس الكنيسة لسنة ٢٠٠٨، صدر العدد الاول من المجلة الليتورجية، في ابرشية الموصل وكركوك وكوردستان، للسريان الكاثوليك، اخذة على عاتقها مهمة صعبة وضخمة جدا بتبنيها موضوع "الليتورجيا" في محاولة لشرح وتبسيط واقتراح ما يساعد في جعل الاحتفالات الليتورجية اكثر حيوية. عشر سنوات، وعشرات الكُتّاب والمقالات والصلوات، خُطت لتكون في خدمة القُراء وتدعم ثقافتهم الليتورجية والاحتفالية، ولا تزال تشق طريقها بعزم، رغم الصعوبات والمعوقات، متكلة على بركة الرب وجميع الخيرين والمهتمين بمواصلة الرسالة والمهمة.

فلا بد من كلمة شكر لكل من ساهم في انجاح مسيرة العشر سنوات، بدءا من صاحبي الامتياز وهيئة التحرير وجميع الكُتّاب والمساهمين سواء معنويا او ماديا. ليبارك الرب الجميع ويوفقهم في حياتهم واعمالهم. ولا بد من كلمة شكر خاصة لمركز الدراسات المشرقية بشخص الاب منصور المخلصي، لتبنيه المجلة خلال سنوات التهجير القسّري رافضا توقفها لاي سبب كان، فكانت كلمته كلمة الانبياء الذين يرون الواقع بشكل مختلف ومغاير عن الاخرين. إضافة الى انه يرافق المجلة بمقالاته الغنية منذ عددها الأول.

"فصَلُّوا مِن أَجلِنا لِتُتابِعَ كَلِمَةُ الرَّبِّ جَرْيَها" (٢ تس ٣/١)، وتستمر المسيرة لتمجيد الله الاب الخالق، والابن رب الأعياد، والروح منعش الليتورجيا ومحييها.

Index
Liturgical Magazine 10 (2017, no. 37 – 38)

On the cover page: "The church of Mar Jacob in Qaraqosh after the liberation".
On the back page: "Samaritan Woman",
Editorial: The editor in chief, "The Liturgy as a touch of God's Love" ..... 1 – 4

First Section: Studies

Sister Luma Jahoula O.P., "The Living Water (Jo. 7: 37-44)" ..... 5 – 8
Fr. Yasser Attallah, "The Betrothal of blood on Golgotha"..... 9 - 15
Fr. Emaad Anaay, "The Redeeming Voice of Jesus in the Syrian Liturgy" . 16 - 21
Mgr. Daniel Zaghib, "The Consecration of the church acc. to the Maronite Rite" . 22 - 33
Fr. Mansour al-Moukhallisi, "The Anaphora of Theodore" ..... 34 – 42
Fr. Isaac Adoonieh Tamros, "The Peace Procession acc. to the East Syrian Rite" ...43-50
Fr. Raeed Jabbo, "The Role of the Body in the Liturgy"..... 51 - 57
Dr. Afram Abood Isaac, "A Liturgical Note on an Arabic Christian text from the VIIIth c." ..... 58 – 66
Br. Carlo Kamiliri, "The Liturgy acc. to the Latin Tradition"..... 67 – 72
Sister Nazik Khalid O.P., "A biblical liturgical song"..... 73-77

Second Section: Liturgical Celebrations

Jacques Murad, "A Liturgical Event: The Acts of the Patriarchal Liturgical Committee". 78-81
The Prayer Committee (Fr. Istefanos al Katib, The Little Sisters, Rawaa Bousa, Saher Labo, Ban Rahmany), "Family Prayers". ..... 82 – 99
Fr. Yasser Attallah "Liturgical Meditation"